الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة منتوري – قسنطينة-

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم: علم النفس والعلوم التربوية والأرطفونية

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل:.....

أثر سوء المعاملة الوالدية على صورة الذات عند الطفل

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس العيادي

تخصص علم النفس المرضي للعنف

تقديـم الطالـبة :

شطـاح هاجـر

أمام لجنة المناقشة:

-البروفسور كربوش عبد الحميد.....رئيسا.....أستاذ التعليم العالي جامعة قسنطينة.

-الدكتورة عبود حياة.....مشرفا ومقررا.....أستاذة محاضرة جامعة قسنطينة.

-الدكتورة أبوساري فاطمة الزهراء.....مناقشا.....أستاذة محاضرة جامعة قسنطينة.

السنة الجامعية 2010-2011

دعاء

اللّهم إنّي أسالك فهم النبيين وحفظ المرسلين والملائكة المقربين. اللّهم اجعل ألسنتنا عامرة بذكرك و قلوبنا بخشيتك وأسرارنا بطاعتك انك علي كل شيء قدير.

اللّهم إني أستودعك ما قرأت و ما حفظت وما تعلمت فردّه لي عند حاجتي اليه،

اللّهم إني توكلت عليك وسلّمت أمري إليك .

اللّهم لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا نجحنا ولا باليأس إذا أخفقنا، وذكّرنا أنّ الإخفاق هو التجربة التّي تسبق النجاح.....

اللّهم إذا أعطيتنا نجاحا فلا تأخذ تواضعا وإذا أعطيتنا تواضعا فلا تأخذ اعتزازنا بكرامتنا

شكر وتقدير

انّ الحمدالله نحمده و نستعينه و نستهديه سبحانه جلّ ثنائه و تقدّست أسماءه ، نشكره و نتوب اليه شكرا علي رحمته و جزيلا عطائه.

أتقدم بجزيل الشكر و التقدير الي الدكتورة" عبود حياة" و التي أشرفت علي عملنا هذا ، فكانت خير مرشد لنا، نموذج للعلم و المعرفة، دائمة التشجيع و الدعم ساعدتنا بآرائها و توجيهاتها، و ملاحظاتها القيّمة. فألف شكر و تقدير.

أتقدم بالشكر الي كلّ أعضاء لجنة المناقشة ،الي الدكتورة "أبوساري فاطمة الزهراء "و بشكر خاص الي البروفسور "كربوش عبد الحميد " علي مساعدته متمنيا لنا النجاح الدائم.

أشكر المختصة النفسانية القديرة "فريطس سهيلة" علي حسن استقبالها ، تشجيعاتها و مساعدتها الدائمة لي.

الي كلّ من ساعدنا من قريب أو من بعيد علي انجاز هذا البحث.

نقول: شكرا لكم.

أهداف ودوافع البحث:

الأهداف:

نسعي في هذه الدراسة إلي تحقيق أهداف أساسية تتمثل في :

- التعمق في موضوع سوء المعاملة الوالدية من خلال تحديد مفهومها، معرفة وتحليل أشكالها المختلفة الممارسة داخل الإطار العائلي ومدي تأثيرها علي الطفل الضحية.
- معرفة النماذج الهرمية والمتعددة الأبعاد لصورة الذات.
- تحليل العلاقة الموجودة بين سوء المعاملة وصورة الذات.

الدوافع:

هناك أسباب عديدة دفعتنا إلي اختيار التعمق في ظاهرة سوء معاملة الأطفال من طرف الوالدين كموضوع للدراسة، ترجع بالدرجة الأولي إلي تفاقم هذه الظاهرة الاجتماعية بالخلية العائلية الجزائرية و بدرجات متفاوتة علي مختلف المستويات : الإهمال، سوء المعاملة النفسية، الاعتداءات الجسدية و الجنسية تواجه هذه الأخيرة بالرفض والإنكار.هذا ما تؤكده وسائل الإعلام والاتصال وإحصائيات مختلف المصالح المختصة بحماية الطفولة.

ولقد اخترنا بالتحديد ممارستها داخل الإطار العائلي باعتبار العائلة المحيط الأولي وقاعدة أساسية للتنشئة الاجتماعية يبني فيه الطفل خبراته. ويتلقى مجموعة من الأوامر والتوجيهات قصد تزويده بالمبادئ التربوية الصحيحة وتدريبه أوتوجيهه، الاّ أنّ سلوكات الوالدين إن كانت مسيئة وعنيفة ستؤثر سلبا علي الطفل سواء علي المدى القصير أو البعيد. كلّ هذه المواقف المسيئة والعدوانية في حقّ الطفل قد تمس سلبيا صورة الذات باعتبارها مفهوم أساسي في تكوين شخصية الفرد يقوم عليه نجاح أو فشل الطفل.

الفـهـــرس

مقدمة وطرح الإشكالية.....10

فرضيات البحث.....13

الفصـل الأول : العائلـة والطفـل

1. العـــائلة

ا.1- تعريف العائلة ووظائفها..... 14

ا. 2- العلاقة الزوجية.....17

ا. 3- التصورات الهوامية للزوجان الخاصة بالطفل.....18

ا. 4- الدينامية العلائقية آباء- أطفال..... 20

ا. 5 العائلة الجزائرية ما بين التقليدي والمعاصر.....22

ا. 1.5 أدوار ومراكز العائلة الجزائرية..... 23

ا. 2.5 التنشئة الاجتماعية للطفل الجزائري..... 25

II. الطفـــولة

II. 1 مفهوم الطفولة..... 27

II. 2 مراحل النمو النفسي عند الطفل.....28

II. 1.2 من وجهة نظر فرويد..... 29

II. 2.2 من وجهة نظر ميلاني كلاين..... 33

II. 3.2 من وجهة نظر رنيه سبيتز..... 35

II. 4.2 من وجهة نظر جون بولبي..... 39

II. 3 حاجات وحقوق الطفل..... 42

الفصـل الثاني: سوء المعاملة الوالدية

1- لمحة تاريخية حول سوء المعاملة الوالدية..... 47

2- تعريف سوء المعاملة الوالدية..... 50

3- أنواع سوء المعاملة الوالدية..... 51
3-1-سوء المعاملة الجسدية..... 51
3-2-سوء المعاملة الجنسية..... 55
3-3-سوء المعاملة النفسية..... 61
3-4-الإهمال الوالدي..... 64
4- النظريات المفسرة لسوء المعاملة الوالدية..... 67
4-1- المقاربة الطبيعية..... 67
4-2- النظرية العصبية البيولوجية..... 68
4-3- النظرية التحليلية..... 69
4-4- النظرية النسقية..... 70
4-5- النظرية السلوكية..... 71
4-6- النظرية الاجتماعية الثقافية.....72
5- العوامل المساهمة في ظهور سوء المعاملة الوالدية..... 75
6- آثار سوء المعاملة الوالدية علي الطفل..... 79
7- واقع سوء المعاملة بالجزائر..... 83

الفصل الثالث: مفهوم الــذات

1- تعريف مفهوم الذات.....89
2- مظاهر مفهوم الذات.....91
3- النظريات المفسرة لمفهوم الذات.....95
3-1- النظرية الظاهرية.....95
3-2- النظرية الاجتماعية.....96
3-3- النظرية الفردية.....100
3-4- مفهوم الذات في النظرية التحليلية.....109
4- مراحل تطور مفهوم الذات.....113
5- صورة الذات وتطور الهوية.....116

الفصل الرابع: منهجية البحث

1- التذكير بفرضيات البحث.....119
2- المنهج المستخدم 120
2-1- الملاحظة الاكلينكية.....120
2-2-المقابلة الاكلينبكية.....121
2-3- الاختبارات الاسقاطية.....122
2-3-1- اختبار رسم العائلة ل Corman.....123
2-3-2- اختبار GPS(نشأة ادراكات الذات لL'Ecuyer). من أنت؟.....124
3- اطار البحث.....126

الفصل الخامس: تحليل النتائج

1- حالات الدراسة.....127

ملاحظة رقم 01: نصر ا لدين

1- تقديم الحالة.....128
2- ملخص المقابلات مع الحالة.....128
3- ملخص المقابلات مع الأمّ.....129
4- تحليل المقابلات.....131
5- تحليل اختبار رسم العائلة..... 133
6- تحليل اختبار GPS.....135
7- خلاصة عن حالة نصر الدين.....137

ملاحظة رقم 02: ليلي

1- تقديم الحالة.....139
2- ملخص المقابلات مع الحالة.....139
3- تحليل المقابلات.....141
4- تحليل اختبار رسم العائلة.....143

5- تحليل اختبار GPS.....144
6- خلاصة عن حالة ليلي.....147
ملاحظة رقم 03: مني
1- تقديم الحالات..... 149
2- ملخص المقابلات مع الحالة..... 149
3- تحليل المقابلات..... 151
4- تحليل اختبار رسم العائلة..... 152
5- تحليل اختبار GPS..... 154
6- خلاصة عن حالة مني..... 156
ملاحظة رقم 04: أيمن
1- تقديم الحالة.....157
2- ملخص المقابلات مع الحالة.....157
3- تحليل المقابلات.....158
4- تحليل اختبار رسم العائلة.....159
5- تحليل اختبار GPS.....161
6- خلاصة عن حالة أيمن.....164
2- التحليل العام للحالات الأربعة.....164
الخاتمة.....167
قائمة المراجع
الملاحق
ملخص بالعربية
ملخص بالفرنسية
ملخص بالانجليزية

مقدمة وطرح الإشكالية:

يولد الطفل وهو بحاجة إلي محيط عائلي واجتماعي يرعاه ويؤمن له استقراره وحمايته، فيكون في البداية عاجز في تبعية تامة للمحيط هذا لتلبية حاجاته الأولية والثانوية. والعائلة هنا تمثل وحدة قاعدية في بناء شخصية سوية خالية من الاضطرابات النفسية يستد خل الطفل فيها أهمّ المبادئ الاجتماعية في نظام تربوي يعتمد علي جهاز معقد من مكافآت وعقوبات.

والنظام العائلي كمصدر أساسي في تحقيق الأمن والحماية للطفل والوصول به إلي أكبر درجة من الصفاء والاتزان النفسي، كان ولا يزال اليوم محيط يشكّل خطر ويهدّد كيان الطفل مع تفاقم المشاكل الاقتصادية – الاجتماعية كالفقر، ضيق السكن وأخري نفسية تتعلق بعدم قدرة الوالدين عن خلق جوّ عائلي مطمئن ومحفّز للطفل، فالآباء غير مؤهلين لتكوين عائلة ولاستقبال مخلوق برئ، فقد يحملون بنيات مرضية وماضي حافل بالاحباطات والحرمان العاطفي تظهر ثغراته خلال اتصالاتهم مع الطفل في مناهج تربوية متعددة.

ممارسة هذه الأساليب التربوية في نسق داخلي مغلق بمختلف أشكالها مهدّد لسلامة الطفل الصحية والنفسية، كلّ هذه السلوكات الشعورية واللاشعورية تدخل في إطار سوء المعاملة، والتيّ تعرفها منظمة الصحة العالمية :" سوء معاملة الأطفال تحمل كلّ الأشكال السلبية للعناية الجسدية و / أو العاطفية، الاعتداء الجنسي، الإهمال أو سلوكات ومواقف حرمان ورفض، الاستغلال التجاري وغيرها التيّ تؤدي إلي ضرر حقيقي أو محتمل علي صحة الطفل، حياته، نموه ، كرامته في سياق علاقة الثقة المسؤولية والقدرة".

تعتبر سوء معاملة الأطفال قضية اجتماعية مختلفة بسبب التباين الثقافي بين المجتمعات وربّما داخل المجتمع الواحد. فما يمكن وصفه سلوك سيّء في حقّ الطفل قد ينظر إليه علي أنّه تربية مقبولة و مألوفة في مجتمع آخر. ورغم قدم هذه الظاهرة إلاّ أنّ الاهتمام بوصفها قضية اجتماعية تستحق الدراسة وتستدعي تدّخل المجتمع عن طريق إيجاد تشريعات وقوانين لمواجهتها ولم يحدث هذا إلاّ في مطلع النصف الثاني من القرن 20 مع انطلاق مجموعة من الأبحاث في مختلف الميادين : كالطب، علم الاجتماع، علم النفس... فمصطلح سوء المعاملة ظهر لأوّل مرة مع الطبيب الشرعي A .Tardieu(1860) بفرنسا في إشارته إلي حدّة هذه الظاهرة ووصفه لمجموعة من الأعراض

الإكلينيكية وقد تبعته منشورات أخري لمجموعة من الباحثين. من هنا أصبح الاهتمام بالطفولة مؤشرا حضاريا تتسابق فيه الشعوب والدول من خلال وضع مجموعة من القوانين لحمايتهم وضمان حقوقهم والدفاع عن قضاياهم، حتّي أصبح هذا المجال مقياسا لتقدم المجتمعات في نهاية القرن 20.

ومع زيادة الاهتمام بظاهرة سوء معاملة الأطفال حقق الباحثون نتائج ملموسة في فهم هذه الإشكالية بتحليل جذورها، وعواملها وما يترتب عنها من آثار. وامتدّ هذا النجاح ليصل إلي ميادين متنوعة، إلاّ أنّ هذا النجاح لا يمنع من الحاجة الدائمة إلي البحث والنقاش في هذا الموضوع أمام التحديات والتطورات الحالية.

تفشي هذه الظاهرة في مجتمعات كثيرة ما أثبتته دراسات المنظمة العالمية للصحة في تقارير حول العنف بالمحيط الأسري، فمثلا عن سوء المعاملة النفسية سجلت الفيليبين 48% من النساء يصرّحن أنّ معاقبة أطفالهم تشمل التهديد، الهجر والانقطاع عنه. في الشيلي 8 % فقط من الأمهات يذكرن لجوءهن إلي التهديدات، الضرب، الإهمال، العزل والإهانة..... في كينيا: الإهمال من أكثر مظاهر سوء معاملة الأطفال الواضحة، 29 %من الأطفال يصرّحن بإهمال الآباء لهم. كندا دراسة وطنية بينت 19% تتعلق بإهمال جسدي، 12% الهجر والحرمان، 11% إهمال علي المستوي التربوي،18% ضحايا لاعتداءات جسدية. هذا هو واقع الطفولة في العالم أرقام ومآسي، ولكنّ السؤال المطروح ما هو واقع سوء المعاملة بالجزائر؟ وما هي وضعية البحوث والدراسات؟

في المجتمع الجزائري يظهر انتشار واضح لهذه الظاهرة من الماضي إلي الحاضر، ما منع المختصين تأكيد نسبة زيادتها أو نقصانها، فالموضوع بصفة عامة من الطابوهات ومن الأمور الحساسة تحول العائلة هنا منع أي تدّخل وتصريح عن الضحايا. دراسات قليلة تخص هذه الظاهرة بالرغم من تجند العديد من الباحثين مساهمة منهم في التحليل والتوضيح، ومحاولة تقليل تفاقم أعراض جديدة في المجتمع. منهم رسالة الدكتوراه للأستاذ (كربوش عبد الحميد 2001) حول سوء المعاملة الجسدية وآثارها علي المعاش النفسي للطفل الجزائري ورسالة أخري للأستاذة (عبود حياة 2007) تخصّ العنف الجنسي وآثاره علي صورة ذات الطفل.

مجموعة الأنظمة التربوية الصارمة والأفكار السلبية التي تناقلتها العائلة الجزائرية أثرّت علي الدينامية العلائقية أب– أم– طفل، كذلك الضغوطات والتوترات النفسية الناتجة عن عدم تحقيق أدوارهم بمثالية مع عسر وظيفي يتكون بفشل مبكر للوظائف الزوجية والوالدية يؤدي إلي تدمير العائلة واستنزاف حاد للسيرورات العلائقية والطفل هنا ككبش فداء ضحية لهذه الاتصالات المرضية في النسق العائلي لا يفهم معاني هذه الأساليب ولما هو بالتحديد؟

وما ينجم عن هذه الجرائم الممارسة في حق الطفولة بمختلف أشكالها جسدية، جنسية وسوء المعاملة النفسية والإهمال آثار وصدمات جسدية ونفسية علي المدى القصير أو البعيد. ولقد اخترنا صورة الذات كمتغير أساسي ناتج عن سوء المعاملة الوالدية والتي تتمثل في مجموعة من الادراكات و التمثيلات الشعورية واللاشعورية يبنيها الطفل بنفسه عن ذاته من خلال نظرة المجتمع إليه وأدواره العائلية والاجتماعية، فللعائلة مع حصيلة خبراته أثر كبير في بناء شخصيته أو بمعني آخر في بناء هويته، ومفهوم خاص عن ذاته وأمام بناء هذه الصورة من مختلف التمثيلات التّي يتدخل فيها الوجدان ويعطيها قيمة ايجابية قد يتعرض الطفل كضحية أساسية لمختلف أشكال سوء معاملة الوالدين التّي تمس نموه النفسي العاطفي والعقلي وتحول دون تكوين صورة ايجابية عن ذاته. الشيء الذي دفعنا للبحث: من هو الطفل المساء معاملته؟ ما هي العلاقة بين سوء المعاملة الوالدية وصورة ذات الطفل؟ وكيف لهذه الاعتداءات باختلاف أشكالها أن تخلق صورة مشوهة وسلبية للطفل؟ كيف يكوّن الطفل الأساليب المسيئة في حقه كادراكات شعورية أو لا شعورية تؤثر علي صورته الذاتية؟

وقد اعتمدنا في بحثنا علي قسمين أساسين: قسم نظري حاولنا التطرق فيه إلي الجوانب النظرية المتعلقة بموضوع البحث، يشمل ثلاث فصول أساسية تخص العائلة والطفل، سوء المعاملة الوالدية بمختلف أشكالها، النظريات المفسرة لها والآثار الناجمة عنها وأخيرا مفهوم الذات.

أمّا القسم الثاني التطبيقي يتعلق بمنهجية البحث يحمل دراسة ميدانية ل 4 حالات أطفال ضحايا لسوء المعاملة من طرف آبائهم طبقنا علي الحالات اختبار رسم العائلة، وتقنية GPS "من أنت" ؟ ل L'Ecuyer وهذا ما يتناسب مع أعمارهم ويسمح لنا بالكشف عن ما مدي تأثير سوء المعاملة علي الصورة الذاتية للطفل.

- **فرضيات البحث:**

الفرضية العامة:

توجد علاقة سلبية بين سوء المعاملة الوالدية وصورة ذات الطفل.

الفرضيات الاجرائية:

1- تؤدي سوء المعاملة الوالدية الي ضعف تقدير الذات.

2- تؤدي سوء المعاملة الوالدية الي الاحساس بالنقص.

3- تؤدي سوء المعاملة الوالدية الي ضعف تأكيد الذات.

تعدّ العائلة خلية طبيعية أساسية ومقدّسة في كلّ المجتمعات الإسلامية تخلق برابطة علائقية رسمية بين الزوجان تقوم علي الوفاء والإخلاص، يتكامل كلا من الشريكين في بناء مشاريع جوهرية كمشروع إنجاب طفل إلي الحياة ما يفرض عليهما أدوار ووظائف يتبناها كلا منهما كأمّ وأب.

يولد الطفل ويتطور منذ الأيّام الأولي من الحياة في محيط ثقافي مميز له أنظمة وقوانين موضوعة من طرف الجماعة. والطفل كعنصر أساسي في هذا الفوج الإنساني يشكّل منبع سعادة وتحقيق ذات كلا من الشريكين، ونظرا لكونه نتيجة البناء الهوامي، فالنظام الاتصالي والتفاعل العلائقي آباء– أطفال ينتظم حول حركات الرغبة والرفض.

وهذا ما سنعرضه بشيء من التفصيل في هذا الفصل الخاص بالعائلة والطفل ذلك بالتطرق إلي أهمّ تعريفات العائلة ووظائفها، حياة الزوجان وعلاقاتهم بالطفل، دون أن ننسي العائلة الجزائرية وأثر التحديث علي تحولاتها الجذرية، ثم الطفولة في تطورها ومراحل النمو النفسي للطفل، حاجاته وحقوقه.

I. العـــــائلة:

I. 1– تعريف العائلة ووظائفها:

يختلف العلماء في وضعهم تعار يف للعائلة نظرا لاصطدامها بعوامل ثقافية واجتماعية كنظام الزواج، شكل التنظيم العائلي، الأدوار والوظائف التّي يؤديها أفرادها... بوصفها مؤسسة اجتماعية بالرغم من اشتراكها في النشاط الجنسي الذّي يضمن حفظ النوع البشري.

يعرّفها Williams : " العائلة هي المؤسسة الأساسية التّي تشمل رجلا أوعددا من الرّجال يعيشون زواجيا مع امرأة أو عددا من النساء ومعهم الخلف الأحياء وأقارب آخرين وكذلك الخدم".
(Williams E ,1970 ,p106) . هذا التعريف يركّز أساسا علي أشكال التنظيم العائلي وأنواع الزواج الممكنة: الزواج الجمعي، نظام تعدّد الأزواج، نظام تعدّد الزوجات..... ويغفل عن وظائف وأدوار العائلة وكذا صور التفاعل الاجتماعي التّي تقع بين أفرادها.

أمّـا Sillamy يقـول:" العائلـة هـي مؤسسـة بيولوجيـة تقـوم حـول الجنسـية والميـولات الأموميـة و الأبوية باختلاف أشكالها حسب الثقافات: عائلة أحادية الزوج، عائلة متعددة الزوجات..... لها وظيفة أساسية، هي ضمان والحفاظ علي أمن وسلامة أفرادها وتزويدهم بالعادات والتقاليد، والمبادئ التربوية الخاصة بالفوج الاجتماعي". (Sillamy N, 2004, p110)

والعائلة كمؤسسة اجتماعية باختلاف قوانينها وأنظمتها تتكون من أفراد لكلّ واحد تاريخه الشخصي وعلاقاته الفردية. هي منظمة جماعية علائقية تحافظ علي توازن المستوي الاقتصادي و الدينامي لكلّ فرد، إذ يجد مكانه في تكامل هيكلة مرنة. والطفل أيضا له مكانة لكن في بعض الأحيان يجد هويته انتقالية في هيكلة منتظمة بطريقة مرضية ذات نسق مغلق تفقده الاتزان. فالعائلة إذا تخلق من طرف القانون تحافظ علي خبرات الأجيال والأنا الأعلى الجماعي من: حضارة أو مجتمع أو تمدن. (Puyelo R ,1991)

وهكذا فالعائلة هي جماعة اجتماعية بيولوجية، تتكون من أشخاص بينهم رابطة زواجيه، ينتج عن هذه الرابطة من النسل إضافة إلي أدوار الزوج والزوجة أدوار جديدة كأب وأمّ، تقوم هذه الجماعة علي أساس إشباع الحاجات البيولوجية، العاطفية والاجتماعية لكلّ ذكر وأنثي.

لهذا النسق العائلي وظائف متعدّدة تتمثّل فيما يلي:

- **الوظيفـة البيولوجيـة:** تعدّ العائلة مؤسسة شرعية لها غاية بيولوجية تضمن من خلالها الاستمرار والحفاظ علي النوع الإنساني بطريقة طبيعية، قانونية ودينية لقوله (ص):" تزوّجوا الودود الولود فإنّي مكاثر بكم يوم القيامة" رواه الترمذي. يعتبر البيولوجيون هذه الوظيفة المرتبطة بغريزة الإنتاج من المقوّمات الأساسية للعائلة، فإتيان الطفل يحافظ علي أمن واستقرار عاطفي للزوجان. وبهذا العلاقة الزوجية تحدّدها الدوافع الغريزية ومبدأ التكاثر الذّي يحفظ به النوع الإنساني.

- **الوظيفة النفسية:** إضافة إلي ارتباط العائلة بالغريزة البيولوجية تعتبر أيضا كمحيط نفسي، عاطفي يجد فيه كلّ فرد الأمن والطاقة وتقاسم وجداني يتأسس علي التفاعل العميق بين الزوجان والأطفال. لقوله تعالي:" ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة

إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون" الروم 21. فالشبكة العائلية تنتظم ضمن توزيع وتقاسم الأدوار بطريقة متكاملة ومتماثلة تساعد علي تقييم نفسي للفرد وانتقاله إلي مراحل يتقبل فيها أدواره ومسؤولياته.

- **الوظيفة الاجتماعية:** باعتبار العائلة كمؤسسة تقوم علي عقد أخلاقي وقانوني يكوّن إطار مستمر بين الزوجان، فالصّلات المتعدّدة لا تتمثل في روابط الحب والأمن، بل لها دور اجتماعي. (Aroua A ,1990) تسمح للطفل باكتشاف العالم عن طريق التعلم وردود أفعال تبني فرديته كشخص مختلف عن الآخرين (Château J et al, 1970) .فالعائلة مكان لاكتساب مختلف المعارف ومناهج جديدة يواجه فيها وضعيات ويطوّر سلوكات مكيّفة.
. (Baudier A ., Celeste B, 2005, p95-105)

فمن خلال التربية والتنشئة الاجتماعية تتولي العائلة مهمّة تطبيع الطفل علي خصائص المجتمع وعلي كلّ مستويات التطور من البسيط إلي المعقد، تتميز هذه العملية بتعلم واكتساب الأنماط السائدة في المحيط ككلّ بما يمثله من عقيدة ولغة، عادات وتقاليد. فالعائلة بوظيفتها التربوية تحقق التماسك والاتزان الأخلاقي من حيث تلقين السلوك والآداب العامة والامتثال للمعايير والقيم بمقتضي الأطر المحددة التي تحافظ علي الكيان الاجتماعي. في قوله (ص): " أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم فانّ أولادكم هديّة إليكم". والعائلة كجزء من المجتمع تمتلك وظيفة انتقالية في إرسال التمثيلات والقيم الاجتماعية عبر مواقف تربوية تواكب العصر في تغير تام لا تعود دوما إلي عوامل شعورية نابعة عن تخمين وعقلانية، بل لها أيضا عوامل لا شعورية عميقة تبتعد عن الموضوعية وهذا يرجع بطبيعة الحال من جهة إلي: مواقف الفرد اتّجاه الأبوّة أو الأمومة، تصور مفهوم الأدوار الوالدية. ومن جهة أخري : الاستجابات العميقة التي يثيرها الطفل وما يمثل بالنسبة للوالد المربي. فالعائلة كمحيط نفسي اِجتماعي مفتوح يعطي للطفل نظرة عن المجتمع ومحاولة إدماجه وحمايته باختلاف الوضعيات، الأدوار والوظائف.

- **الوظيفة الاقتصادية:** للعائلة دور اقتصادي يتمثل في توفير ضروريات الحياة وتحقيق الاكتفاء الذاتي لأفرادها " الصغار منهم والكبار"، تشكّل نظام اجتماعي لتبادل المصالح والمساعدات الاقتصادية والرعاية المادية في تقسيم العمل بين الرجال والنساء، الكبار والصغار.

وأخيرا علي الرغم من اختلاف صورة العائلة من مجتمع لآخر وبالرغم من التغيرات التي مسّت نظام العائلة في مختلف الأنشطة إلاّ أنّها تشترك في وظائف أساسية معترف بها في المجتمعات القديمة و المجتمعات المعاصرة ذات إنتشار عالمي.

I. 2- العلاقة الزوجية:

يمثل الزواج إضافة إلي أنّه حدث رسمي واجتماعي " عائلي وديني" هو أيضا تأسيس للخلية العائلية يتعلق بنضج المسؤوليات الأخلاقية والقانونية للزوجان، يصون كيان وآداب الفرد والمجتمع، إحساس متبادل يقوم علي العاطفة، الوفاء.....يحضّر له خلال سنوات علي المستوي التربوي، النفسي والمادي(Aroua A,op.cit) . فتكوين الزوجان يرجع إلي التنشئة الاجتماعية للأفراد وتطبيقاته في أدوار اجتماعية ثقافية. يحمل عوامل شعورية أو لا شعورية يقوم عليها اختيار الشريكين لبعضهما وعوامل أخري اجتماعية، ثقافية وحتّى اقتصادية. فالحركة الرسمية للزواج تتكامل مع التمثيلات العائلية والفوج الاجتماعي الأصلي، يوجد تفاعل متشابك بين البنية النفسية للأفراد في النضج العاطفي والتأثير الرمزي الاجتماعي والثقافي، كما يعتقد Girard أنّ اختيار الشريك يكون من طرف الفوج العائلي وحتّى المحيط الاجتماعي، يظهر كمسيطر إلاّ أن الشخص لا يعتقد أبدا أنّه تحت سيطرة وإجبار المحيط لكنّ حرية الطابع العفوي والعاطفي يعبر بها عن اختياره ورغباتها الذاتية.(Lemaire J.G, 1970, p 45) .

هذا المشروع الشعوري أو اللاشعوري للزوجان يصون الوجود الدائم ويسجّل الرغبة في الخلود و دوام استمرار أصولهم من خلال الاندماج الجسدي والروحي، تجمع بينهما روابط عاطفية وروابط بيولوجية ترتبط بالإنتاج وأخري قانونية تفسر بالتضامن المادي وتماثل في الحقوق والواجبات .

(Liberman R, 1979, p26-30) هذه الروابط العاطفية لا تخضع للقانون فحسب بل لقانون إلاهي له أبعاد مقدسة لقوله تعالي:" هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهن" البقرة 187.

إن دينامية الزوجان تميل إلي استقرار رغبات الحب التي تفرض نضج عاطفي واعتراف بالاختلاف بين كلا من الشريكين تحقق هذه الحالة العاطفية إسقاط من فضاء ترابط إلي فضاء تكامل كمنبع لكلّ القوة الالتحامية واتفاق نفسي يكمن في تبادل الطاقة العاطفية الانفعالية والنزوية أين كلّ موضوع يبحث عن الآخر (Merdaci M,2010, p42-44)، لكنّ هذه الدينامية ليست حرّة بل يحكمها تاريخ كل عائلة وماضي الشريكين والطفل هنا يشارك طبيعيا في هذه الدينامية الزوجية يعتبر كالشخص

الأول الذّي يساهم في تعديل طبيعة التفاعلات في العلاقة الثنائية كشاهد ومدرك لكلّ الصراعات الزوجية الانتقالية منها أو الكامنة يكون فيها ضحية كمهدد ومرفوض في غياب السند العاطفي، كون أنّ الطفل يمثل مكان نضج كلا من الشريكين وحماية للرجل مثل المرأة تتجلي في الكمال النرجسي وتحقيق الذات وثراء الحب الكائن بينهما في أن يصبح ثلاثي الأبعاد.

I. 3- التصورات الهوامية للزوجان الخاصة بالطفل:

❖ **الرغبة في الطفل:**

إنّ الرغبة في الإتيان بطفل إلي الحياة هي رغبة مسجلة في اللاشعور تحت اسم الحاجة إلي ضمان الحياة وانتقال الجينات من جيل إلي آخر، فالطفل هو إرادة وحاجة كلا الشريكين، رمز لحبهما و كثمرة للّذة والرضي المتقاسم بينهما في الحياة .(Duche D.J, 1983, p24-25)

لكلّ طفل بناء هوامي خيالي وأحاسيس خاصة به، فالعلاقة الزوجية تحكمها قوانين الإنجاب ما يؤكده Winnicott في أنّ الوالدين بحاجة إلي أطفال حقيقين لتطور علاقاتهم الروحية.
(Winnicott D.W,1957,p132-127).وقد وضّحت أبحاث النظريات التحليلية والنسقية أنّ الطفل يتمثل في الأحلام والحياة الهوامية للأمّ والأب، يدرج مكانه الرمزي في حوار وفكر الوالدين هذه الرغبة لا يختص بها الزوجان فحسب بل حتّي المجتمع والعائلة. (Merdaci M,op.cit)حيث يدمج هذا الجسد داخل الخيال الأمومي ويمتلك مكان في أسطورة عائلية، تقول في هذا الصدّد Anulagnier: «هذه الأسطورة تخلق من طرف الآخرون يضعون الجديد القادم في مكانه" .(Liberman R,op.cit,p50-59)

وتكتسي ولادة طفل طابع هام في ملأ الفجوات الخيالية وإثراء الوظائف الاجتماعية للزوجان يترجم تضامن نفسي ووظيفي، يعيد تنظيم الصلات العاطفية للزوج وشبكات عديدة من التقدير والتبعية.

ولهذا فالطفل غير المرغوب فيه يخرج من الحركات الاجتماعية للرابط العائلي والاجتماعي ولا يمكن أن يكون موضوع الحوار والاتصالات يبقي علي مستويات الرفض والإنكار النفسي.
. (Merdaci M,op.cit)

وقد نجد هناك اختلاف بين الأطفال من نفس الوالدين باختلاف البناء أو الارصان الخيالي والوظيفة الجنسية فلا يمكن ضبط هذه الأحاسيس دوما في نفس السياق الخيالي والانفعالي، حسب Winnicottتعود إلي عوامل لا شعورية مدّمرة تصاحب نزوة الحب المعبر عنها جسديا.

❖ **تصور الطفل " الحمل والولادة":**

يظهر الأب كشخص ثانوي في الثنائية أمّ – طفل خلال مراحل الحمل، الولادة والرضاعة إلاّ أنّ الدراسات القديمة كشفت عن تغيير في سلوكاته تشمل تظاهرات نفسية جسدية بعد علمه بحمل الزوجة يسمي « le syndrome couvade » يرجع إلي عوامل عديدة : كغيرة الرجل أمام الطفل المنافس، تقمص الزوجة المريضة، هذا وقد بيّن Malinowski أن تفسير هذا التناذر يرجع لاهتمام أبوي مبّكر فهو كمشارك بكلّ طقوس الحمل والولادة الخاصة بالمرأة .(Duche D.J, op.cit, p24-33) وتحدّث Winnicott عن ضرورة الحضور المبكر للأب خلال الأشهر الأخيرة من الحمل بتمثيله " للغطاء الواقي" ويرجع الفشل في هذا الدور كعامل مفجر لذهان النفاس.

(Davis Y,Wallibridge D,1992,p125-127)

أمّا المرأة الحامل وصف المحللين إحساسها بالامتلاء، وخروج الطفل هو تمديد أمومي علي المستوي اللاشعوري كقضيب ترفض الأمّ الابتعاد عنه، هذا ما يؤيد التبعية للطفل لتجنب الإحساس العميق بالنقص. فعلاقة الأمّ مع الرضيع ترجع إلي المحيط المبكر المستدخل من طرفها إذا كان فقير تجد صعوبة في إنتاج طفل كامل وحي علي المستوي الهوامي، ما يخلق اضطرابات علائقية مع الطفل منذ المرحلة الجنينية. فتجارب الطفولة لها تأثير علي نوعية الأمومة لا توجد خبرة مفقودة حسب Winnicott، بل تبقي ذكريات تؤثر عليها حين تبنيها لدور أمومي، إذ يصف Winnicott حالة الأمّ خلال الحمل واستمرارها أسابيع بعد الولادة بمصطلح " القلق الأمومي الأولي" يتضمن حساسية مفرطة تسمح لها بالانفصال عن اهتماماتها الشخصية وتوجيهها للطفل التّي تتطور بالمشاركة الجسدية والتصميم اللاشعوري تعيد فيها كلّ الخبرات المتراكمة في الماضي وبنائها في الذات .(Winnicott D.W,1992

ولهذا فالولادة تتطلب تحضير نفسي للأمّ بعد انقطاع عن موضوع له صورة علي المستوي الخيالي والهوا مي، تختلف مشاعرها باختلاف أشكال عملية الولادة، فالصعبة منها قد تؤدي إلي رفض

الطفل يعيش كمضطهد ما يشير إليه M .Lynch بوجود عند أغلبية الأمّهات المسيئات المعاملة ولادة صدمية عنيفة وصعبة.

I-4- الدينامية العلائقية آباء- أطفال:

❖ **العلاقة أم – طفل** : إنّ حضور الأمّ خلال السنة الأولي من الحياة أمر ضروري للتطور النفسي العاطفي للطفل كون أنّها الموضوع المفضل في كلّ استثماراته كوجه تعلق استنادي، يستند إليه الطفل لإشباع حاجاته الفيزيولوجية منها والنفسية وتكوين شبكة اتصالية في هذه الثنائية تشكل نظام و" قناة مرور المعلومة ومنتقل الرسائل يكون هذا ضمن" طبيعة دائرية" (Liberman R,op.cit). فالأمّ تمارس حضور نشيط ومحرّض لمستويات استقبال وحساسية الطفل من خلال الاتصال البصري، السمعي، الجلدي..... تضمن احتفاظ ونمو أساسي في حياته النفسية والجسدية

ولادة طفل جديد لا تمثل فعل بيولوجي فقط بل موضوع مادي لجسد خيالي في مكانه الرمزي. الأم تستثمر الطفل عاطفيا عند أخذه لثديها وخلق معه شبكة نظام اتصالي.(WinnicottD.W,op.cit) كلّ هذا يعزز نظرية «Le holding» ل Winnicott تتعلق وظيفة الدعم الأمومي بمفهوم نفسي كسند للأنا خاصة في مرحلة التبعية المطلقة فقبل الاندماج الطفل بحاجة إلي هذه المثيرات في تفاعل دائم ينتقل فيها من التبعية المطلقة إلي الاستقلالية.

(Davis Y., Wallbridge D, op.cit)

❖ **العلاقة أب – طفل:** يؤكد الباحثين ضرورة الحضور المبكر للأب في الثنائية أمّ – طفل فيظهر في السنة الأولي من الحياة كشخص غائب علي المستوي العاطفي إلاّ أنّ Winnicott وضّح دوره الغير مباشر في مساندته للأمّ في إحساسها بسعادة واكتمال فكريا وجسديا ما يسمح لها بتطوير خبرات جيدة مع الرضيع .(Winnicott D.W,1957,p130) كما له دور ضروري علي المستوي الرمزي في تجسيد القانون والحفاظ علي سلطته والأوامر التّي تترجمها الأمّ بمعاملتها ومواقفها كممثل عنه تسقط الدور الحقيقي له، فيظهر دوره بطريقة رمزية في إعطاء "الاسم" يأتي لقطع الثنائية أم– طفل والدخول في الثلاثية الأوديبية، حسب Lacan اسم الأب يستند إلي الوظيفة الرمزية التّي تمثلها الأمّ من خلال الحديث عنه بفرض قانونه وخطابه فحضوره ضروري لتكوين الثلاثية الأوديبية

(Lemaire.L,1977,p284) وقد وضّح Freud بدوره المكانة الهامة لحضور الأب في الثلاثية الأوديبية بوقف العلاقة الالتحامية أم– طفل هنا تحضر الثلاثية تختلف الأدوار من الوظيفة الأمومية إلي الأبوية تتقطع الثنائية وتتميز بمشاعر متعارضة وصراعية، كما يعرفها لابلانش وبونتاليس: "هي مجموعة الرغبات المنظمة للحب والكراهية .....يشكل الأب نموذج تقمصي أساسي لنرجسية الطفل يساهم في بناء شخصية صلبة ومستقرة بدخوله إلي الأسطورة العائلية. (Duche D.J, op.cit, p 78–83) وهكذا فللأب دور أساسي في تقوية الرابط العلائقي والوصول بالرضيع إلي طفولة مثالية، ضروري خلال السنة الأولي من الحياة نظرا لمواقفه الايجابية التّي تختلف عن الرجال الآخرين وكرابط للطفل مع العالم الخارجي.

يظهر من هنا الأهمية القصوى للسلطة الأبوية وخاصة في حالات فقدان الأب أو الإلغاء الرمزي لدوره الحقيقي كالتفكك العائلي، إلاّ أنّه بالرغم من أهمية الوظيفة الأبوية لا يمكن نفي أهمية الوظيفة الأمومية كمحرّك أساسي للتطور النفسي العاطفي للطفل، فلا ننسي أنّ الدراما الخاصة بالطفل خلال السنوات الأولي هي نتيجة حرمانه من الأمّ، فهذا الرابط البيولوجي بين الأمّ والطفل حسب رأي Rudoff Schaffer من الممكن تعويضه بأشخاص آخرين يكوّنون روابط تعلق فيمكن للوظيفة الأمومية أن تمارس من طرف الرجل أو المرأة، ومنع الرّجل من تبني هذا الدّور حسب رأيه يرجع إلي عوامل ثقافية.
(Davis Y., Wallbridge D, op.cit,p87) . وفي هذا السياق أيضا أكدّ البيولوجيون أن سيرورة الولادة ليست مقدسة فيمكن استبدال الرّحم بمحيط اصطناعي، فكلّ العوامل تؤكد أنّه ليس بالضرورة أنّ تكون الأمّ البيولوجية امرأة. ولكنّ هذا يتنافى مع الطبيعة الإنسانية فوضع الطفل في محيط اصطناعي لا يمكن أن يعادل رحم الأمّ، هذا المنبع الحيوي من إبداع الخالق يسمح بتطوّر الجنين ضمن حياة غريزية منبعها العفوية ينتج عنها روابط قوية تملأها روح الغريزة الأمومية والإحساس بالأمن والاستقرار، كما أنّ الوظائف والأدوار بين الأمّ والأب خلال السنوات الأخيرة هي أسطورة وهمية ومخرج وسيط غير صحي. فتوزيع الأدوار والمسؤوليات لا يكون في إطار السيطرة والامتياز أو المساواة فكلا منهما مشاركا في الحقوق والواجبات، وتبقي هذه الأدوار متأثرة بالثقافات. في المقارنة بين الأب والأمّ نجد أنّ الأب يظهر في مداعبته وأرجحته للطفل أمّا الأمّ في تزويده بالعناية الجسدية والعاطفية إلاّ أنّ هذا لاينفي حضور الأب المبكر كما يقول Winnicott خلال السنوات الأولي من الحياة ويعتبر حضوره لوحده أساسي وليس

كمضاعفة لحضور الأمّ علي عكس R. Schaffer فدوره غير ملموس، إلاّ أنّه يمثل علي المستوي الرمزي: القانون، السلطة والحماية الذي يبرز خاصة في الثلاثية الأوديبية. ويمكن أن تتميز هذه العلاقة بين الفوج آباء – أطفال باضطرابات ذات نشوء مرضي غالبا ما تؤدي إلي اضطرابات التوازن العائلي، فنجد داخل فوج الأمهات كما سمّاهم Porot:" الأمهات المعتديات":

الأمّ المتسلطة: التّي تبالغ في طلباتها مع عدم احترام لأنوثتها، جدّ عدوانية اتجاه الرجل لا تستقبل قواعد الزوج، غالبا ما تتزوج رجلا ضعيف.

الأمّ الصارمة: لا تجيد التعامل مع طفلها مفرطة في إعطاء الأوامر وفرض أنظمة صارمة لها. الطفل بالنسبة لها كموضوع إشباع تظهر عاطفة مزيفة تخفي كره وحقد غير مستقبلة للولادة وتعاني من خيبة أمل بعد مجيء الطفل.

الأمّ الرافضة: رفضها للطفل والبقاء للعديد من الساعات في عزلة تخضع لفراق صدمي مع الأمّ مهجور وغير مرغوب فيه، ويختلف الرفض حسب A. Freud من أمّ لآخري فقد يكون رفض عن إرادة سيئة من طرفها أو الي رفض له علاقة بمرض الأمّ أو التناوب بين الرفض والقبول لإحيائه لصراعاتها الطفولية (Freud A, 1976, p194).

أمّاعن الآباء فنجد، **الأب غائب** : استقالته من دوره، توّلد اضطرابات في السلطة الأبوية وهذا يرجع إلي الحضور الدائم للأمّ أوعدم قدرته علي تحمل المسؤولية.

الأب الصارم: صرامة الأب تتميز في رغبته الدائمة أن يمتلك أطفاله مراكز مثله أوأعلي منه، الطفل كممثل للأنا الأبوي.

الأب القاسي: إظهار القسوة والكره بالإضافة إلي الاستبداد والعنف كما أنّ له سلوك مضطرب وخانق يخفي استبداد تحت مظهر حبّ مخفي. (Ajurriaguerra, 1974,p859)

I. 5- العائلة الجزائرية ما بين التقليدي والمعاصر:

تعتبر العائلة هي الخلية القاعدية والنواة المنتجة للمجتمع ولكيانه الروحي والمادي كما جاء في قانون الأسرة الجزائري: تتكوّن من أشخاص تربط بينهم صلة الزوجية وصلة القرابة. فالعائلة الجزائرية

كتركيبة اجتماعية عرفت تحولات كبيرة في خصائصها وأدوارها الاجتماعية ناتجة عن احتكاكها الثقافي الذّي اكسبها طابعا آخر انتقلت فيه من النمط التقليدي إلي المعاصر، ويعرّفها بوتفنوشت:" هي أسرة ممتدة يعيش في أحضانها عدّة أجيال، عدّة أسر زواجيه تحت سقف واحد" الدار الكبري" عند الحضر و " الخيمة الكبرى "عند البدو (مصطفي بوتفنوشت، 1984،ص 37) وهذه الأسرة الممتدة يشرف عليها رئيس واحد بيده السلطة المادية والروحية.

أمّا L.Debzi et R .Descloitres يعرفانها:" علي أنّها جماعة منزلية تدعي"العائلة" مكوّنة من الأقارب القريبين الذّين يشكلون وحدة اجتماعية، اقتصادية قائمة علي علاقات الالتزام من تبعية و تعاون" (Debzi L., Descloitres R, 1963, P29) وعليه فالعائلة هي نتاج اجتماعي بيولوجي للأجيال ترتكز علي القرابة "العصبية" وعلي التراث.

I.1-5- أدوار ومراكز العائلة الجزائرية:

بالنسبة لمفهوم الأدوار يقول P. Watzlawick:" إنّ النسق العائلي أو المجموعة الصغيرة هي في نظام اتصالات غير عشوائية بل في رسائل متكررة وعلي نفس الوتيرة فوراء كلّ رسالة دور له اتجاهين متجانس لمهام كلّ فرد في الكلام أو الفعل، وهي كذلك نوع منظم في قنوات علائقية في أحد وضعيات الفرد داخل الجماعة". (Castellan Y, 1993)

إنّ مصطلح العائلة هو مصطلح جرّ معقد يحمل في طيّاته الكثير من القيم الروحية المقدسة عند كلّ فرد جزائري، يخضع لمبادئ التماسك الداخلي والخارجي الذّي يعد أساسي في النظام العائلي: العائلة الجزائرية هي أسرة موسعة، بطريقيه الأب فيها والجرّ هو القائد الروحي للجماعة العائلية، ينظم أمور تسيير التراث الجماعي يمتلك مكانة تسمح له بالحفاظ عليه بواسطة نظام محكم. ذات نسب أبوي فالانتماء والميراث يبقي في خط أبوي ينتقل من الأب إلي الأبناء.الشيء الذّي يميز اتصالات العائلة الجزائرية مبادئ الانقياد وتشابك الحياة الاجتماعية التّي تبدو كأنّها تخنق الحياة الاجتماعية لكنّها لا تعاش كضغط بل محافظة علي التضامن الاجتماعي وتعبير الفرد عن أصالة شخصية.

(مصطفي بوتفنوشت، مرجع سابق) يشير فيها النظام الأبوي إلي طبيعة توزيع السلطة داخل العائلة. الأساسي في هذا النظام هو هيمنة الرجل علي المرأة وهيمنة الكبار علي الصغار مما يعني توزيع السلطة هرميا علي محوري الجنس والسن، ويرتبط هذا النظام جذريا بالعائلة الممتدة أبويا.

(ثريا التركي، هدي رزيق،1995، ص12) .

أمّا عن العلاقة بين الرجل والمرأة ليست في تعارض اجتماعي بل في تآلف وتكامل ضروريان للمبادئ الأساسية : تماسك عائلي، شرف عائلي وتدعيم للقيم العائلية، فالمرأة لا تعدّ امرأة إلاّ بإتمام وظيفتها البيولوجية فهي صفاء وشرف العائلة وأداء دورها الاجتماعي بصفة حقيقية، ومع تقدم السن يصبح لها جزء من سلطة الأب بعد أن أفنت حياتها كموضع احترام وتقدير، يقول في هذا الصدد Bendahman(1984) :"مكانة المرأة في العائلة التقليدية جدّ غامضة لا تكتسب السلطة إلاّ بزواج أبنائها "(Kerbouche,2001,p 16). أمّا الرّجل في العائلة كناقل للقوانين، العادات والأحكام التقليدية يمثل رجل الدين معلّم يسهر علي تعليم القرآن والمبادئ الدينية، كما يمثل السلطة الاقتصادية ويدير التراث المشترك وتقسيم المهام.

علي عكس التحديث الاجتماعي الذّي مس المجتمع الجزائري نلمس فيه تغيير وتقليص في حجم النظام الممدد إلي النظام النووي وصغر حجمها، حيث يقول بوتفنوشت: " بأنّ العائلة لم تعد تأخذ شكلها التقليدي وهذا بسبب البناء الاجتماعي العام". فالعائلة النووية أصبحت واقعا وطموحا في آن واحد في ظل التحولات التّي عرفها المجتمع، كما أنّ العائلة في شكلها العصري ترفض السلطة الأبوية التقليدية و تتحدّاها.العلاقة بين الزوجان تطورت علي نحو من النقاش والحوار تبدي المرأة برأيها أمام زوجها علي عكس الماضي في الغرفة الزوجية، فالأب المتسلط حلّ محله الأب المتفهم وتحوّل من رئيس تسلطي إلي رئيس ديمقراطي بالمشاركة في اتخاذ القرارات بسبب المستوي الثقافي للعائلة وانتشار لغة الحوار والنقاش في إبداء الرأي خاصة وقد أصبح الأبناء ذو كفاءات وخبرات تمكنّهم من تحقيق حاجاتهم الاجتماعية و المهنية، فالابن بات رجل متحررا من الوصاية الأبوية قادر علي المبادرة والاستقلال التام في حياته كونه أصبح يفوق الأب سياسيا وثقافيا، فالأب محافظ والابن تقدمي.

أمّا البنت في البنية العائلية المعاصرة اليوم لم تعد هي البنت أو الزوجة المنعزلة فقد أصبحت متحررة مدنيا من الناحية النفسية الاجتماعية ومطيعة لأبيها اجتماعيا. يستدعي تحوّل العائلة من النمط

الممتد إلي النووي تحوّلا في نظام السلطة ومنظومة العلاقات من الأبوية إلي زواجيه وفي إطار العلاقات الجديدة أصبحت المرأة تضطلع بالإضافة إلي أدوارها التقليدية أدوار جديدة مكتسبة .

(Haider F, Atton N,1967) تتحمل مسؤوليتها تأخذ علي عاتقها مصير بيتها هو دور واضح ومعترف به، لكن دورها المنزلي لا يمنعها من ممارسة دور اقتصادي في تسيير الميزانية وهذا يرجع إلي وعيها الاجتماعي ومستواها الثقافي الذّي تساهم به في اتخاذ القرارات الخاصة بمصير العائلة.

(Aroua A, op.cit). ما أكدّته دراسة "محمد ربزاني: مشاركة الزوجة في صنع القرار داخل العائلة والتكفل بمهام الاتصالات الخارجية كقضاء شؤون عائلتها، شراء الملابس للأطفال.... إلاّ أنّ مشاركتهم ليست بالقدر نفسه في كلّ المجالات بل في تفاوت من مجال آخر.(Rabzani M ,1997,p199).

وهكذا فالمجتمع الجزائري التقليدي يشهد ما يسمي " بالصدمة الحضارية أو الثقافية" جرّاء دخول الاستعمار الاستيطاني واحتكاك الثقافة التقليدية بالثقافة الغربية، هذا الطوفان الإيديولوجي الذّي هزّ أسسها الثقافية وانخراطه في مسيرة التغيير والتحديث التّي انعكست علي نمط الإنتاج المعيشي من قطاع زراعي رعوي إلي صناعي حديث وفي النزوح الريفي نحو التحضر والتمدن. كانت هذه كلّها عوامل لها انعكاسات علي بنية وحجم العائلة وعلي منظومة العلاقات الداخلية والاجتماعية. فالعائلة الجزائرية تتجه نحو النمط النووي وتطورها لم يسير في شكل خطي بل عبر فترات تماوج إلاّ أنّ هذا لا ينفي استمرار الأشكال الممتدة والموسعة في التواجد.

I.5-2- التنشئة الاجتماعية للطفل الجزائري:

يختلف نموذج التنشئة الاجتماعية المخصصة للذكور في العائلة الجزائرية التقليدية عن النموذج المخصص للبنات، فتعمل من خلال هذه العملية التربوية المستمرة علي تطبيع شخصية الذكر علي أساس الأدوار المتوقع بها في العائلة والمجتمع عند تبنيه لدور الراشد. دوره كرجل يقوم علي قاعدة الاعتماد علي الذات والاتزان والصّلابة والسيطرة ، ويعتبر الزوج أو/ الولد المعيل الأساسي للعائلة ينتظر منه أن يؤمّن احتياجاتها (Zerdoumi N,1976) تميل العائلة عادة إلي أن تغرس في نفسية الذكر أنّ مكانته أفضل من مكانة أخته وأنّ الحرّيات المخولة له أكبر بكثير من الأخت كما توضّح "فاطمة

المرنيسي" يبدأ بمراقبة تصرفاتها خارج المنزل، ويفرض عليها عقابه إذا انحرفت بسلوكها عن المعايير و الحدود المرسومة لها.

أمّا البنت فتحرص الأمّ علي تدريبها للقيام بالأشغال المنزلية وإتقانها والتأكيد علي قيمة الشرف والعفة التّي تنصب خاصة في خصائصها المورفولوجية" العذرية" وأن لا تظهر مفاتنها في حرصها علي ارتداء ملابس محتشمة " القندورة" في البيت وعند وصولها إلي سن البلوغ مع النضج الجنسي تشتد الرقابة وتحاط علاقة الفتاة بالجنس الآخر بعدد من الموانع القوية، وأخيرا التبعية والخضوع لجنس الذكر، فالتنشئة الاجتماعية التقليدية تسير وفق نموذج اجتماعي محدّد مسبقا تستمد مضامينه وأساليبه وطرقه ومشروعيته من العادات والتقاليد والمعتقدات الشعبية والدينية.

أمّا في العائلة الجزائرية المعاصرة وفي ظلّ التحولات الاجتماعية وتأثرها بالثقافة الغربية لم تعد التنشئة الاجتماعية للذكر والأنثى تأخذ المنحي التقليدي في تزويد الطفل بالقيم الاجتماعية، كما تصف F. Dolto (1985) في مقدمة كتابها « la cause des enfants » وضعية الأطفال في العالم تقول:" الآباء يربّون أطفالهم كأمراء يديرون الشعوب" وهي تماثل وضعية الطفل الجزائري، ما يؤكده Bendahman (1984) الطفل في العائلة المعاصرة هو طفل "ملك"(Kerbouche, op.cit, p19) له دور أساسي واكتسب حرية مطلقة يحظى بوعي الأب والأمّ اللّذان يتبعان في تربيته منهجا كلاسيكيا وعلميا مع اهتمام أكبر بالجانب النفسي عمّا كانت عليه في العائلة التقليدية. فأطفال الجيل الحالي يلجأون إلي الحوار والتعبير، علي عكس الجيل الماضي الذي يتبّع الصمت وحتّي الهروب. فطفل الجيل المعاصر هو شريك للراشد وفي تطبيعه الاجتماعي يعتمد أساسا علي وسائل الإعلام والاتصال كعامل أساسي في انقطاع العائلة عن الحوار ومعايشة الحرارة العاطفية والتربوية. وفي ظل ابتعاد كلا الوالدين إلي عالم الشغل حتّي وإن كانت المرأة ماكثة بالبيت إلاّ أنّ الحرص علي القيم الاجتماعية كالسابق مثل: التقيد بالحشمة في الزي واللباس ومظاهر السلوك ... بدأت تتناقص شيئا فشيئا أمام المناداة بالمساواة بين الذكر والأنثى في كلّ الحقوق" اللباس، التعليم، تقسيم المهام...." ما أدّي إلي صرف نظر الرجل " الذكر" عن تلك المراقبة الزائدة علي الأنثى داخل الفضاء الواسع للتعليم في الجامعات واختلاط كلا من الجنسين ما سمح بتبادل الحديث والأفكار، هذه التصرفات غالبا ما تؤدي إلي استغراب الوالدين وعدم رضاهم في

صراع بين الأجيال، إلاّ أنّ هذا التغيير في نوعية التنشئة الاجتماعية لا ينفي وجود بعض العائلات تتبع المنحي التقليدي خاصة في مناطق البدو.

II. الطفـــولة:

II. 1 مفهوم الطفولة:

من خلال دراستنا لمفهوم الطفولة وتطوره عبر التاريخ، نجد أنّ الطفل كان ولايزال عرضة لمختلف أشكال الضرب والإهمال سواء داخل الإطار الاجتماعي أو العائلي، ذلك لضعفه وهشاشته ووجوده تحت رعاية وحماية الراشد. يصفها(1976) Llyod De Mausse بقوله :" تاريخ الطفولة هو كابوس يكشف عن مستوي عالي من سوء معاملة الأطفال بتعذيبهم، قتلهم، هجرهم، والاعتداء عليهم جنسيا" (Llyod De Mausse,1976) ففي الحضارة العربية نجد أنّ جذورها تمتد إلي العصور الجاهلية التّي كانت تصل إلي حدّ القتل، كما هو الحال في وأد البنات خوفا من العار والإنفاق.
(جبرين علي الجبرين،2005 ،ص13) وهو الأمر الذّي حرمته الشريعة الإسلامية لقوله تعالي:"وإذا بشر أحدكم بالأنثى ظلّ وجهه مسودّا وهو كظيم يتوارى بين القوم من سوء ما بشّر أيمسكه علي هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون" النحل 58-59 . وقوله أيضا:"وإذا الموؤودة سئلت بأيّ ذنب قتلت" التكوير 8-9.

ويتماثل في هذا المواطن الروماني " ربّ العائلة" بالعربي في الجاهلية فله الحق في موت أو حياة ابنه، بيعه لأنّه معاق، هجره وله احتمالات كبيرة لاختيار النسل وذلك برفض ابنه البيولوجي وتبني طفلا آخر، وفي ظل النظام القديم أب العائلة هو دائما رمز السلطة والقوّة فله الحق المطلق في تصحيح القانون وذلك بالدفع باعتقال أبنائه بحجة أنّ لديه قضايا خطيرة فللذكر 30 سنة سجنا وللأنثي 25 سنة فظلّت الطفولة حالة من الاستعباد لا يعتبر فيها الطفل كموضوع له حقوق بل في تبعية تامة وخضوع للراشد كما يصفه PH.Ariès كحيوان صغير" mignot " ضحية لمختلف أشكال الاعتداء.
(Duche D.J, 1983)

إنّ بدأ الاهتمام بالطفولة يرجع إلي اكتشافات علم النفس التحليلي فقد أظهر قيمة الطفل وأهمية الطفولة كمرحلة أساسية في التطور النفسي العاطفي للفرد كراشد كما ندّدت (1985) F.Dolto في

كتابها"La cause des enfants" بضرورة احترام الطفل والمعاقبة بشدّة علي الاعتداءات الممارسة علي الأطفال كالاغتصاب، زنا المحارم..... أمّا PH. Ariés في كتابه حول «الطفل والحياة العائلية في ظل النظام القديم" يبيّن الجهل التام لحدود الطفل. وأنّ مفهوم الطفولة هو اكتشاف معاصر يرجع إلي القرن 18 حيث ظهر الاهتمام الواضح بتعليم الآباء لأطفالهم باعتبار المدرسة وسيلة تربوية (DucheD.J, op.cit) فمفهوم الطفولة هو حديث بظهور مصطلحات محددة في القرن 18 "Bambin" و" Marmot " وفي القرن 19 إضافة مصطلح Bébé".

يعرّفهاSillamy N:" الطفولة هي مرحلة من الحياة تمتدّ من الولادة إلي المراهقة عبر مراحل مختلفة تضمن له نمو نفسي وعقلي متوازن" (Sillamy N,2004,p100). أمّا Calapared يقول: " الطفل هو ليس طفلا لأنّه صغير، هو طفلا ليصبح راشد"(Osterrieth P.A,1997,p28)

وابتداء من القرن 20 برزت ثقافة جديدة اتجهت إلي الاهتمام بالطفولة فظهرت العديد من المؤلفات في مختلف العلوم كالطب علم الاجتماع، علم النفس، المؤرخون وحتّي الروائيون. إلاّ أنّه وبالرغم من الاهتمام الواضح بالطفل كفرد ذو كيان إنساني يمتلك حقوقا برزت في إعلان ميثاق حقوق الطفل عام1989 ، فلا زالت وضعيته هشّة في كلّ أنحاء العالم يستمر في معاناته من ظلم الراشدين فهو ضحية لسوء التغذية، الأمية، الاستغلال الاقتصادي والجنسي، الهجر، التعذيب والقتل كالهند، الباكستان، أفغانستان، الصين، البرازيل..... والجزائر أيضا هي واحدة من عديد البلدان تنضم إلي قائمة سوء معاملة الأطفال.

II. 2- مراحل النمو النفسي عند الطفل:

إنّ النمو هو سلسلة متتابعة ومتماسكة من تغيرات تهدف إلي غاية واحدة هي اكتمال النضج (محمد مصطفي زيدان، 1992) والنمو بهذا المعني هو التطور التدريجي من مستويات بسيطة إلي مستويات معقدة في شكل عمليات متتابعة، تؤدي إلي التفاعل تكشف عن إمكانيات الفرد بطريقة علمية (Sillamy N,2003,p354). ولكي نفهم مراحل النمو النفسي عند الطفل لابدّ من تحديد مفهومه و نعني به الديناميكية العلائقية التي تسمح ببناء سوي ومتكيف للذات مع الذات، وللذات مع المجتمع.

وقد اهتم العديد من العلماء بهذا الجانب من النمو لما له من أهمية في حياة الفرد كطفل وكراشد في المستقبل منهم:Freud,J.Bowlby ,M.Klein,R.Spitz الذّي تبني نظرية نمائية معقدة ومركبة

في مستوياتها النفسية، واستخدامه لمنظومة من المفاهيم المعقدة كاللبيدو، الأنا الأعلى، الأنا والهو، وهو يري أنّ الطفل يمرّ بمراحل بسيكولوجية ذات طابع لبيدي تتمثل في:

II. 2-1- من وجهة نظر فرويد Freud":

❖ المرحلة الفمية (من الولادة إلي عامين) :

يصف Freud المرحلة الفمية " Stade Orale" أو الافتراسية" Cannibale " كأولي مراحل التطور اللبيدي ففيها يسود ارتباط اللذة الجنسية بإثارة الفجوة الفمية والشفتين التي تلازم الغذاء، ويري أنّ هذه اللذة الفمية الشفوية هي غلمية ذاتية حيث يتخذ الفرد من جسده بالذات موضوع جنسي وأنّ أوضح سمة لهذا النشاط هي: أنّ النزوة الجنسية لا تتجه نحو أفراد آخرين ولكنّها تحصل علي الإشباع من بدن الفرد بذاته" (ج لابلانش، ج.ب. بونتاليس، 2002،ص 472)

فنشاط المصّ يتخذ قيمة نموذجية تتيح ل Freud أن يبيّن كيف يكتسب النزوة الجنسية وتشبع من خلال الغلمة الذاتية بعد أن كانت تحصل علي الإشباع بالاستناد إلي وظيفة حيوية، ومن ناحية أخري فانّ تجربة الإشباع التّي تقدم النموذج الأوّلي لتثبيت الرغبة علي موضوع ما هي إلاّ تجربة فمية. وهكذا تبقي السمات الرئيسية لعملية المص حسب :Freud

- متصل باحدي الوظائف البدنية الحيوية (التغذية) .
- ليس له بعد موضوع جنسي، ولذلك فهو غلمي ذاتي.
- أن هدفه الجنسي خاضع لسيطرة منطقة مولدّة للغلمة.

وقد حاول K.Abraham أن يفرّق بين أنماط العلاقة الفاعلة في المرحلة الفمية إلي مرحلة امتصاص مبكرة وسابقة علي التجاذب الوجداني، ومرحلة فمية سادية ترافق ظهور الأسنان حيث يتخذ فيها الاندماج منحي تدمير ممّا يتضمن تدخل التجاذب الوجداني في علاقة الموضوع.

يتضمن نشاط العضّ والافتراس تدمير للموضوع، ويلازم هذه المرحلة هوام التعرض للافتراس و التدمير من طرف الأمّ (ج.لابلانش، ج.ب.بونتاليس، نفس المرجع) ويعدّ الفطام بمثابة الصراع العلائقي النوعي الذّي يرتبط بحلّ المرحلة الفمية، ولقد أشار J.Lacan أنّ الفطام لا ينفصل عن العملية الأمومية

كما أكدّ علي بعدها التقليدي، يتميز بالامتداد إذ تستمر إلي حوالي سنتين وأوّل إحباط حقيقي يعيشه الطفل هو الفطام كما يري الدكتور بن إسماعيل: "أنّ الفطام يعدّ أول إحباط يعيشه الطفل الجزائري الذّي كان من قبل جدّ مكافئ". (مزو بركو ،2005،ص46) وينتقل من الفمية إلي الشرجية.

❖ **المرحلة الشرجية (بين عامين إلي أربع سنوات):**

تتميز هذه المرحلة بتنظيم اللبيدو تحت صدارة المنطقة الغلمية الشرجية، حيث تصطبغ علاقة الموضوع بالدلالات المرتبطة بوظيفة الإخراج (الطرد ، الإمساك) وبالقيمة الرمزية للبراز. يصف Freud سمات الغلمة الشرجية عند الطفل في عمليتي التغوط وإمساك المواد البرازية ليكشف لنا عن إحساسات اللّذة التي يشعر بها الطفل في تلك المنطقة الشرجية، فالطفل يعامل محتويات الأمعاء كأنّها جزء من بدنه. ويمثل تعليم النظافة عند الطفل أوّل تجربة هامة في حياته للانضباط ولسلطة خارجية يحدث من جرّاء هذا الاصطدام بالسلطة صراعا هام بين نزوات الطفل والحاجز الخارجي، وقد ميز K.Abraham نمطين متعارضين من السلوك اتجاه الموضوع: حيث ترتبط الغلمة الشرجية بطرد البراز في الطور الأول، أمّا الطور الثاني فترتبط الغلمة الشرجية بالإمساك بينما النزوة السادية بالسيطرة والتملكية.
(ج لابلانش و ج.ب. بونتاليس، مرجع سابق،ص471). وترتبط القيمة الرمزية للعطاء والمنع في هذه المرحلة بنشاط التبرز، حيث أثبت Freud في هذا المنظور التعادل الرمزي ما بين : البراز=الهدية=النقود، ويشكل هذا الارتقاء من طور لآخر حسب Abraham تقدّما نحو حب الموضوع، وانطلاقا من الغلمة الشرجية بدأت تبرز فكرة تنظيم لبيدي ما قبل تناسلي وبيّن Freud الصلة القائمة بين سمات الطبع عند الراشد في خصائص ثلاثة تتمثل في : (العناد، الترتيب، التقتير، البخل) وبين الغلمة الشرجية عند الطفل كامتداد لهاته المرحلة.

❖ **المرحلة القضيبية (بين أربعة إلي ست سنوات):**

تأتي هذه المرحلة من التنظيم الطفلي للبيدو بعد المراحل الفمية والشرجية حيث يقول Freud: لقد قمت بإدخال مرحلة ثالثة في نمو الطفولة تأتي بعد التنظيمين ما قبل التناسلية، وهذه المرحلة تستحق بالفعل أن توصف بأنّها تناسلية بظهور موضوع جنسي، لكنّها تتميز عن التنظيم النهائي للنضج الجنسي

في ناحية أساسية فهي تعرف نوعا واحدا من الأعضاء التناسلية يتمثل في العضو الذكري ولهذا سميت بالمرحلة القضيبية من التنظيم. (فيصل عباس،1997)

يحتل القضيب أهمية متساوية عند كلّ من الصبي والبنت فبالنسبة للذكر هو مركز الإثارة واللذة من خلال تهيجه، كما أنّ البظر عند الفتاة هو نظير المنطقة التناسلية الذكرية وقابليته للتهيج تضفي علي نشاطها الجنسي طابعا ذكريا.هذا كلّه ما يؤكد صحة النظرية الجنسية الطفلية ل Freud التّي تفترض أنّ المرأة مثلها مثل الرّجل تحوز قضيبا. ويمكن تمييز هذه المرحلة تبعا ل Freud كما يلي:

✓ يلعب وجود مرحلة قضيبية دورا أساسيا لعقدة الأوديب، ذلك أنّ أفول عقدة الأوديب في حالة الذكر مشروط بتهديد الخصاء.

✓ تعد الأمّ هي الموضوع الأوّل للحب كان في الأصل متعلقا بالثدي ثم يأخذ شيئا فشيئا طابع زنا المحارم، نتيجة لذلك يكشف الذّكر عن تجاذب وجداني اتجاه الأب في الرغبة من التخلص منه أو أخذ مكانه كنموذج تقمصي يجب تقليده.

هذه الوضعية التيّ يطالب فيها الذكر "بالامتلاك الجنسي" للأمّ ويظهر أحاسيس عدوانية اتجاه الأب تحمل اسم " عقدة الأوديب" وتنطبق هذه الظاهرة ذاتها عند البنت في موقفها من الأمّ ويقول Freud: " إنّ عقدة الأوديب هي العقدة النواتية للأمراض العصابية، وهي تكوّن الجزء الأساسي من مضمونها تمثل القيمة التّي يصل إليها النشاط الجنسي الطفلي والتّي تؤثر نتائجها تأثيرا حاسما علي النشاط الجنسي للراشدين" (ج. لابلانش و ج.ب بونتاليس، نفس المرجع،ص 356-357).

- **عقدة الخصاء:**

إنّ التنظيم القضيبي يشغل مكانة مركزية باعتباره ملازما لعقدة الخصاء، كما تتحكم في مسألة عقدة الأوديب من حيث الطرح والحلّ ويبقي تطور العقدة الأوديبية ينتج عنها إحساس آخر يتمثل في خوف الطفل من تعرضه إلي عقاب متمثلا في الاخصاء إذا استمر في رغبته بامتلاك الأمّ ما يولّد لديه قلق خصاء شديد « L'angoisse de castration »ويتصور الذكر الخصاء عند ملاحظته للأعضاء التناسلية الأنثوية ظنا منه أنّ الفتاة تعرضت إلي بتر هذا العضو.

أمّا عند الفتاة مثلها مثل الذكر تتخّذ الأمّ بالنسبة لها أهمية بالغة إذ ينحصر الجزء الأكبر من علاقة الطفل بمحيطه بعلاقته مع أمّه، كنموذج وقدوة في المرحلة ما قبل أوديبية، أمّا في المرحلة الأوديبية تكشف عن غياب العضو الذكري وتحمل الأمّ المسؤولية ما يؤدي إلي ضعف نزوتها وحبّها اتجاهها، ذلك أنّ حبها كان منصبا علي أمّ قضيبية لا علي أمّ مخصية وبهذا تختار الأب كموضوع للحب علي اعتبار أنّه قادر علي منحها هذا العضو.(ج. لابلانش و ج.ب، بونتاليس، نفس المرجع).

وهكذا يختلف موقع عقدة الخصاء بالنسبة إلي عقدة الأوديب عند كلا من الجنسين: فهي تطلق عند البنت البحث الذي يؤدي بها إلي الرغبة في العضو الذكري الأبوي، مكونة بذلك لحظة الدخول في الأوديب واستبدالها للرغبة في الحصول علي العضو الذكري بالرغبة في الإنجاب حسب المعادلة الرمزية قضيب= طفل ويكبت المركب الأوديبي لعوامل عديدة منها: النضج، استحالة امتلاك الأب. أمّا عند الذكر فهي نهاية الأزمة الأوديبية من خلال تحريم الموضوع الأمومي عليه وقلق الخصاء يتجاوزه بتقمص الأب والدخول في مرحلة الكمون ويعجّل بهذا تكوين الأنا الأعلي.

❖ **مرحلة الكمون (من ستة إلي اثنا عشرة سنة):**

وتمثل فترة توقف في تطور الجنسية، وعملية واسعة وحادّة من الكبت لا تشمل فقط كبت رغبات المراحل ما قبل الأوديبية وهواماتها فقط بل أيضا ذكريات الأحداث السابقة، إنّ طاقة اللبيدو لا تزول في مرحلة الكمون إلاّ أنّها تنزاح عن موضوعها الأوديبي وتتحول الطاقة عن استخدامها الجنسي كليا أو جزئيا نحو أهداف أخري غير جنسية كتكوين علاقات صداقة، ألعاب رياضية، اكتساب الثقافة.... ففي هذه المرحلة الأنا قوي يعمل من أجل التحكم في النزوات مستعملا ميكانيزمات دفاعية كالتسامي و التكوين العكسي.

وهكذا تكون الجنسية في هذه المرحلة كامنة وعند وصول الطفل إلي سن البلوغ تنشط من جديد النزوة الجنسية وتنتقل من الشبقية الذاتية إلي الموضوع الجنسي، كما يحدث كذلك خضوع كلّ الميولات النزوية الجزئية التيّ كانت تستند إلي مناطق شبقية مختلفة لأولوية المنطقة التناسلية، هكذا يدخل الطفل في المرحلة التناسلية.

II. 2-2- من وجهة نظر ميلاني كلاين M. Klein:

اتجهت M.Klein في وضعها لمفهوم النفسية عند الرضيع إلي اللعب كوسيلة للتعبير الطبيعي و المفضل للطفل بين 3-4 سنوات، حيث تقول: "بفضل اللعب يترجم الطفل بطريقة رمزية هواماته، نزواته وتجاربه المعاشة". من وجهة نظر M. Klein يوجد تلاحم مبكر بين النزوات اللبيدية والنزوات العدوانية يعبر عنه منذ الولادة من خلال النشاطات الأولي عن طريق المص والعض، وتؤكد هذا بقولها:" منذ الولادة يوجد أنا بدائي ناضج في صراع بين نزوات الموت ونزوات الحياة، النزوات اللبيدية للحب و النزوات العدوانية". إذن حسب M.Klein ينشأ القلق من العدوانية وبما أنّ الاحباطات اللبيدية تزيد في الميولات السادية، فاللبيدو الغير مشبع ينتج عنه بصورة غير مشبعة القلق إذ يظهر القلق الاضطهادي "شبه عظامي – فصامي" وبعدها القلق الخوري الاكتئابي هاتان الوضعيتان في نشاط دائم لا يتخلص الفرد منهما بإمكانه النكوص في أي وقت.

❖ **الوضعية شبه عظامية – فصامية (0-3 أو 4 اشهر):**

في هذه الوضعية يكون الرضيع في علاقة مع موضوع جزئي، خاصة ثدي الأمّ الذّي يسقط عليه كلّ النزوات اللبيدية " نزوات الحياة" وكذلك النزوات العدوانية المتعلقة بالسادية الفمية " نزوات الموت" التي تكون جدّ عنيفة. ونتيجة لهذه الإسقاطات النزوية ينقسم الثدي إلي موضوع " طيب" وموضوع "سئ"، في حالة جلب اللذة هو الثدي المحبوب يوجه نزوة الحياة إلي الخارج، أمّا في حالة الألم يصبح محبطا و يتحول إلي ثدي سيء مكروه واضطهادي ركيزة لنزوة الموت. هذا الانقسام تسمّيه M. Klein بالانشطار الذّي يسمح للرضيع بالدفاع ضد القلق وعزل الموضوع السيء في الوجود.

كما أنّ هناك ميكانيزم آخر منبعه الإسقاط الأصلي لنزوات الموت يتمثل في التقمص الاسقاطي بإسقاط كلّ ما هو سيء نحو الموضوع بغية تدميره وامتلاكه في نفس الوقت الذي يحدث فيه انشطار الموضوع وانشطار الأنا يصبح الرضيع يخاف من أن يدّمر من طرف " الموضوع السيء" المستجيف الذّي يسقط نزواته العدوانية، ما تسميها M. Klein بالوضعية" شبه عظامية- فصامية "

(Golse B, 2008,p66-68) . ذلك أنّ الميكانيزمات المستعملة في هذه الوضعية للدفاع ضد القلق هي نفسها المستعملة في الذهان الفصامي والعظامي. اذن تسيطر النزوات التدميرية وقلق الاضطهاد علي هذه الوضعية.

❖ **الوضعية الخورية الاكتئابية:**

في هذه الوضعية الطفل قادر علي معرفة الموضوع الكلّي تبعا للنضج الفيزيولوجي والي تنظيم أحسن للادراكات يسمح له بالتعرف علي الأمّ كموضوع كلّي متمايز عن ذاته، تارة حاضرة وتارة غائبة. بهذا تخف حدّة الانشطار ما بين الموضوع السيّء والطيب تصبح الأمّ ككل محبوبة ومكروهة في آن واحد كما يختبر الطفل في هذه الوضعية التجاذب الوجداني المولد للشعور بالذنب، حيث يحب أمّه الذّي هو بحاجة إليها وفي تبعية كلية لها كما يكوّن اتجاهها عدوانية ومشاعر كره لعدم إرضائها الدائم لرغباته الشيء الذّي يجعله يخاف من تدميرها وفقدانها وهذه الإحساسات بين الحب والكره للموضوع ينتج عنها ما تسميهKlein بالوضعية "الخورية- الاكتئابية.

(Deldine R,Vermeulen S,1988,p51) في رأي M.Klein أنّ هذه السادية الطفلية قد تدّمر، تؤذي وتجلب الهجر علي مستوي عالم الطفل الهوامي، ويصاحب هذه السادية مشاعر حادّة للذنب وأول تظاهرة لنشأة الأنا الأعلى علي عكس Freud الذّي يعتبر أصل ظهوره هي عقدة الأوديب، وبعذا تظهر تكوينات عكسية من خلال عمليتي صدّ العدوانية واصلاح الأضرار اللاحقة بالموضوع.

في هذه الوضعية ميكانيزم الإصلاح واللّعب عند الطفل هو بداية نشاط سامي ونبيل إذ يوجّه جزء من طاقته النزوية اتجاه مواضيع خارجية، وقد وضعت M.Klein لعبه متكررة بالبكرة " Coucou le voila" مع الرضيع التّي ترمز إلي فقدان وعودة الأمّ، تكرار هذه الخبرات الايجابية هي عامل أساسي لمساعدة الطفل علي تخفيف مشاعر الفقدان والاستياء، فحسب Freud: "..... الطفل الصغير لم يبلغ بعد للقيام بالتمييز بين الغياب العابر والفقدان النهائي اللارجعي" (Golse B,op.cit) وبهذا تضعف الميكانيزمات الاسقاطية في هذه المرحلة بينما تتضاعف الميكانيزمات الاجتيافية في نفس الوقت تكف حدّة الانشطار وتميل إلي الإدماجية " تركيز النزوات العدوانية اللبيدية علي نفس الموضوع" ويتجاوز الوضعية الخورية عند اجتيافه بصورة مستقرة ومطمئنة للموضوع " الطيب " تتميز هذه الأخيرة ب: - اندماج الأنا – التجاذب الوجداني- القلق الاكتئابي.

❖ **عقدة الأوديب:**

تختلف M. Klein عن Freud في هذه المرحلة حيث يبدأ الصراع الأوديبي للطفل في النصف الثاني من العام الأول، في هذه الحالة تنشأ عند الطفل مشاعر الغيرة والعدوانية نحو الأب والأم، حسب M.Klein تظهر في سن مبكرة جدّا معرفة لا شعورية عن العلاقات الجنسية الوالدية هذا ما يجعل المشاعر العدوانية والنزوات التدميرية لا توجه للأمّ فقط بل نحو الأب أيضا.

يتخيل الطفل أنّ أمّه موافقة علي العضو الذكري" للأب" ويؤمن أنّ العلاقات الجنسية الوالدية هي علاقات أساسا فمية ذلك ضمن المعرفة اللاشعورية للعلاقات الجنسية الهوامية التيّ تكوّنها النزوات الفمية ، هذا ما يجعله يتخيل أنّ الأمّ تستدخل العضو الذكري يبقي داخل جسدها.
(Golse B, op.cit, p141-143) حسب M.Klein هذه المراحل من الصراع الأوديبي ليست مدركة في هذه المرحلة من النمو كما تكون عليه فيما بعد: ذلك أنّ الطفل لا يمتلك إلاّ وسائل محدودة للتعبير عن انفعالاته والعلاقات الموضوعية لا زالت غير واضحة، جزء كبير من استجابات الطفل غير موجهة لمواضيع حقيقية بل هوامية، فتكوين الأنا الأعلي، تكوين العلاقات الموضوعية والتكيف مع الواقع هم نتيجة لتفاعل عمليتان حسب M.Klein: إسقاط النزوات السادية واجتياف المواضيع.

II. 2-3-من وجهة نظر سبيتز René Spitz:

ركز Spitz من خلال أبحاثه ونظريته علي مراحل وتاريخ العلاقة الموضوعية والاتصال الإنساني، فوضع ثلاثة مراحل أساسية:

❖ **المرحلة ما قبل الموضوعية: 0-3 اشهر:**

للتعريف بهذه المرحلة فهي تماثل مرحلة النرجسية الأولي ل Freud أي مرحلة الشبقية الذاتية وقد استعمل Spitz مصطلح اللاتمايز الذي يقصد به أنّ المولود الجديد غير "منظم" في مجالات الإدراك

- النفسية والجسد غير منفصلين.
- المحيط غير مستدخل، إذن مصطلحات الداخل والخارج غائبة.عدم الإحساس بالاختلاف الكائن بين أجزاء الجسد.
- تجاهل العالم المحيط به: عدم معرفة المولود الجديد للموضوع اللبيدي وغياب نشاطات نفسية وعقلية ،إذ كلّها عواطف لا متمايزة.

إنّ لعامل النضج دور هام في تطور القدرة العقلية بصفة تدريجية إذ تسجل المثيرات الداخلية و الخارجية التّي تعتبر كجزء من الإدراك من خلال التبادل العلائقي أمّ– طفل، فعل/رد فعل/ فعل. ما يؤدي بالطفل إلي التنسيق ودمج الإدراك، حيث يتعلّم تدريجيا بفضل استجاباته لمختلف المثيرات الآتية من العالم الخارجي توجيه سلوكه. في هذه المرحلة يكون الرضيع مدرك للمثيرات الخارجية كالحلمة المجلبة للذة والابتعاد عن الألم، وهذا الإشباع يكمن في المجال البصري وهنا يكوّن أوّل إشارة " الإشارة والخبرة".

تعتبر المنطقة الفمية منطقة بدائية مرتبطة باليد ومنبع الأحاسيس، كما إنّها أول خبرة لتكوين أحد الأنوية الأولي للأنا، فالطفل يحس بالحلمة في فمه ويري في وجه أمّه، هذين المدركين " اللمسي الفمي والادراك البصري" هما بداية الاتصال الموضوعي وتشكيلة الموضوع. إذن يكون الطفل في هذه المرحلة في حالة لا تمايز لا يستطيع التمييز بين الأنا واللأنا بين النزوات والموضوع وبهذا لا يأخذ عالم الرضيع معني الانفصال عن مثيرات داخلية ذات قيمة وجدانية تأتيه لإرضاء حاجاته الفيزيولوجية أو الوجدانية.

❖ المرحلة الممهدة للموضوع (3–6 أشهر):

إنّ المدرك البصري المعروف في الشهر الثاني من طرف الطفل هو الوجه الإنساني، بفضل عامل النضج الفيزيولوجي والتطور النفسي بإمكان الطفل استعمال جسده للتعبير عن إحساس نفسي يستجيب بالابتسامة سواء لشخص يعرفه أم لا. في هذه المرحلة الطفل غير قادر علي تمييز وجه الأمّ عن الوجوه الأخري بل الاستجابة إلي الوجه الإنساني في شكل إشارة « Gestalt Signe » الموضوع اللبيدي غير مؤسس إنّها المرحلة الممهدة للموضوع.

ظهور الابتسامة هي ظاهرة لسلوك واضح من خلال تعدد العلاقات أمّ / طفل تخلق جوّ انفعالي هذه المواقف الانفعالية والعاطفية للأمّ لها دور حقيقي للتعلم في هذا العمر. فالأمّ هي مقدمة للمحيط . يستجيب الطفل لوجه إنساني حتّي وإن كان قناعا بشكل وجه إنسان " رمزي" .

نتائج تطور وتأسيس أوّل ممهد للموضوع هي متعددة تشمل:

- المولود يصبح قادر من استقبال المثيرات الداخلية إلي إدراك المثيرات الخارجية.
- الطفل ينتقل من مبدأ اللذة إلي مبدأ الواقع.
- بما أنّ الطفل يعرف وجه إنسان وله آثار ذكريات تتشكل، يرجع Spitz بهذا إلي الموقعية الأولي ل Freud يقول:" بأنّ الجهاز النفسي يتقدم إلي الشعور، ماقبل الشعور واللاشعور".
- قادر علي نقل استثماراته النزوية من وظيفة نفسية لأخري وآثار ذكراوية لأخري، يرجع إلي الموقعية الثانية ابتعاد الأنا عن الهو واكتساب أنا فردي كما يسميه Freud " أنا جسدي" يبدأ بالتوظيف ينفصل عن الأمّ " أنا ثنائي" .(Golse B,op.cit,p55-62)

تحدّث Spitz عن الثنائية أمّ /طفل وركز علي الاتصال الموجود في هذه العلاقة كالمواقف الشعورية أو اللاشعورية التي تعتبر كمجموعة من التبادلات تؤثر بطريقة دائرية، يعيش الطفل احباطات متكررة تتبع باشباعات: عواطف اللذة تظهر بالابتسامة أو عواطف اللالذة يعبر عنها بالدموع. هذه العواطف المشبعة لها دور في تأسيس الموضوع كذلك عاطفة الإحباط مهمة لتطور الطفل وإكسابه استقلالية كبيرة.

إنّ الاستجابة بالابتسامة في هذه المرحلة لا تعدّ عاطفة فحسب بل هي أيضا مظهر نشاط نزوي ضمني وأوّل تطور للفكر ومنظم للنفسية. ظهور أو الجواب بالابتسامة يكوّن نموذج وقاعدة كلّ العلاقات الاجتماعية الخارجية. نحو الشهر السادس يدمج آثار الذكريات وارتباط الأنا يتيح دمج الصور ما قبل الموضوعية (جيّد وسيء) لإعطاء صورة أمومية نحو النزوات العدوانية واللبيدية الموجهة وتفاعل النزوتين يولّد الموضوع اللبيدي وبهذا العلاقات الموضوعية.

❖ **مرحلة الموضوع اللبيدي:(من6-12 شهرا)**

في الثلاثي الثالث من الحياة يجد الطفل نفسه أمام وجه غريب يرفض أي اتصال مصحوب بالقلق انّه أول تظاهر للقلق سمّاه Spitz ب " قلق الشهر 8". هذا التظاهر هو المنظم الثاني للنفسية و الذّي يوضح تأسيس علاقة موضوعية حقيقية، فالأمّ هي الموضوع اللبيدي المفضل عند الطفل ليس فقط في المجال البصري ولكن قبل كلّ شيء في المجال العاطفي. (Golse B, op.cit) في هذه المرحلة يتطور الطفل في المجال الإدراكي، الحسي والعاطفي كظهور مواقف انفعالية مختلفة : الغيرة ، الغضب، السعادة، والأنا يبني ويركز اتجاهاته مع الهو من جهة والعالم الخارجي من جهة أخري، هذا المنظم الثاني للنفسية والخوف من الغريب يميز الأمّ كموضوع لبيدي عن المواضيع الأخرى.

كما ركزّ Spitz أساسا علي التقمص حيث تصبح الأمّ كنموذج تقمصي للطفل في تقليد لكلّ حركاتها ووضعياتها، هذا التقليد يسمح له ببناء صورة عن ذاته وعلاقاته المستقبلية يكون مصاحبا بدفاعات موجهة للأمّ كالحركات، الإشارة بالرأس، تظهر في نهاية السنة الأولي مع اكتساب حرية واستقلالية جديدة سمّاها Spitz باكتساب "لا" /Non le. في هذه المرحلة الطفل في صراع من التعلق اللبيدي بأمّه والخوف من فقدان الموضوع وفي مقابل هذا الصراع يبحث الطفل دوما عن حلّ إذ يتطور التقمص للموضوع اللبيدي ويستجيف دفاعاته في الأنا ويعبّر عن عدوانيته بمواجهة الأمّ هذا ما يرجع بنا إلي تقمص المعتدي ل Freud. A.

إنّ تقمص المعتدي أو "المحبط "كما سماه Spitz يتمثل في مجموعة من الأفعال تخلق للطفل سلبية وتدفعه إلي ارتكاب أفعال فرضت عليه الإحباط. فالطفل هنا يستجيف الحركة لكنّ لا يستجيف الفكر الشعوري والعاطفة لأنّه لا يعرف بعد أسباب " لا" علي المستوي العاطفي يحدث ما بيّنه Spitz بقوله: " أنت لست لي أنت ضدّي". يظهر هنا توظيف النفسية الذّي يوافق مبدأ الواقع، فهو في صراع بين الأنا والموضوع الذّي يحرّض "لا" فالطفل من خلال هزّ الرأس يحقق تجريد للرفض والإنكار وحسب Freud(1925) : " إنّ هذا الإنكار هو إبداع من الأنا موجود في وظيفة الحكم". كما يعتبر هذه الخطوة هي مرحلة بدائية لتأسيس الأنا الأعلى. وسيطرة Le Non" في السنة الأولي هو إشارة لتكوين المنظم النفسي الثالث وأوّل مصطلح مجرد مكتسب من طرف الطفل، وأوّل تعبير سيميائي Sémantique أي اللغة عن بعد وبداية الاتصال اللفظي الملاحظ خلال السنة الأولي من الحياة.

تكلمّ Spitz في مقدمة ما سماه ب " علم النفس التحليلي للسنة الأولي" عن العلاقات الموضوعية للطفل مع الأمّ من خلال ملاحظات أتاحت له اكتشاف أساس الظواهر المرضية الطفولية المرتبطة باضطرابات العلاقة الثنائية أمّ– طفل في حالة فقرها من الجانب الكمي والكيفي يظهر ما سمّاه Spitz بأمراض التسمم النفسي كالكوما، مغص الشهر الثالث، الاكزيما الطفلية، أمّا في حالة الحرمان العاطفي الجزئي خلال السنة الأولي يظهر الاكتئاب الخوري والحرمان العاطفي الكلّي يظهر الاستشفاء ذو تشخيص خطير.

II. 2-4-من وجهة نظر بولبي. John Bowlby:

اهتم J.Bowlby باضطرابات الأطفال الذين ينشئون في مؤسسات الرعاية وملاجئ الأيتام والذّي تظهر لديهم مشكلات وجدانية متنوعة بما فيها عدم القدرة علي تكوين صداقات، فقد لاحظ أنّ هؤلاء الأطفال غير قادرين علي الحب لافتقادهم فرصة تكوين تعلق قوي بصورة الأمّ في الطفولة المبكرة فالتعلق هو حاجة بدائية وأساسية لتطور الشخص.

❖ **تطور سلوك التعلق:**

اعتبر المحللون " الثدي" كموضوع تعلق، ويعتبر البعض الابتسامة، النظر، الصوت، اللمس و المداعبة تلعب دورا هاما في التعلق ، وبمجيء J.Bowlby أعطي أهمية لهذه المفاهيم كشرط أساسي في العلاقة أمّ– طفل. فسلوك التعلق يولد من نسق ومن ردود أفعال قديمة:" مص، حفر، متابعة، التصاق، صراخ....". تعمل هذه الأنظمة مؤقتا مثال: المص يشارك في التغذية ولا يؤدي حركات فارغة بل حركات الاتصال والتوجيه بعدها إلي حركات الالتصاق المتتالي " منعكس الحفر– Le reflex de Fouissement كحفر الأرض بالوجه موجود عند الحيوانات، ويعتبر كمنعكس توجيه الطفل لثدي الأمّ، ونجد أيضا " منعكس القبض Reflex Gasping"حيث يتعلق بإصبعه علي الموضوع بعدها يتبع الضوء ثم الصوت (Denis P ,1978,p502-503)

هذه الأنظمة في تطور تدريجي تتطلب عناية أمومية، فكلّما يكبر الطفل يتطور النسق ويصبح سلوكه غني: ابتسامة، مناداة، مناغاة ومحاولات اتصال مع وجه تعلق وعلي أساس هذا التبادل ينشأ و يتطور هذا الرابط .

ركزّ Bowlby(1958) علي نظرية" السلوك الغريزي" مفترضة من طرف Lorenz من خلال دراسته للحيوان تحت اسم" البصمة " يقول إنّ العلاقة أمّ– طفل هي المنتج لكثير من الأنظمة السلوكية خلال تفاعلاته يكوّن فكرة عن من يقوم علي رعايته وهذه الأنظمة تعدّل وتضبط السلوك الغريزي . (Bowlby J, 1978, p246). إنّ سلوك التعلق هو حاجة بيولوجية، فطرية ومكتسبة تبقي طوال الحياة وتظهر تحت أشكال رمزية: رسائل، اتصالات هاتفية، مهمة عند الإنسان لوظيفتين:

وظيفة الحماية: والحماية تكون من الراشد في قدرته التامة علي الدفاع عن الطفل ضدّ كل الاعتداءات.

الوظيفة الاجتماعية: يتغير التعلق خلال دورة الحياة، من اقتراب الأمّ ثم الغرباء ثم الأفواج و بهذا يصبح عامل مهم في بناء شخصية الطفل كالغذاء في حياته الفيزيقية ولكي يكون دور الوظيفة ايجابي يجب أن

– يبدأ الطفل بالاتصال مع أمه ثم يصبح قادر علي اكتشاف محيطه.

- تأسيس أنظمه طبيعية بين الطلبات الحقيقية له وقدرة الأمّ علي الاستجابة بطريقة فعالة، فالأمّ هنا تمثل الموضوع الأول كرمزية للمحيط الخارجي في تفاعل تدريجي واستجابات تكرارية تؤدي إلي تطور الإدراك تدريجيا قبل السنة الأولي يسمح للطفل الاعتراف بفردية الشخص الأمومي.

- ضمان هذا الدور مع العمر لكنّ الحرص علي الضياع يخلق القلق ويؤدي إلي الاكتئاب

(Golse B, op.cit, p 62)

❖ **أنـواع التعلـق:** هنـاك 4 أنـواع مـن التعلـق وصـفتها Ainsworth بعد تطـوير نظريـة Bowlby باسـتخدام تقنيات لقياس التعلق:

التعلق الآمن	نمط (A)	- استكشاف البيئة أثناء تواجد الأمّ، الاحتجاج والمعارضة عند فراقها. - الارتياح عند عودة الأمّ والسعي إلي الاقتراب والتواجد معها.
التعلق غير الآمن "التجنب"	نمط (B)	- تجاهل الأمّ عند وجودها بالحجرة. - الطفل يبدي عدم ارتياحه للمواساة واستقلالية كبيرة إلي غاية تجاهل الأمّ عند الرجوع.
التعلق غير الآمن، المقاوم أو المعارض	نمط (C)	- انزعاج واستياء بسيط عند مغادرة الأم الحجرة، تناقض و مقاومة الاتصال البدني بالأمّ فور عودتها.
التعلق اللآمن المفكك أو غير الموجه	نمط (D)	-غموض فيما يتعلق بالإقدام والإحجام عن الأمّ أثناء تواجدها " التأرجح بين الاقتراب والابتعاد"

في هذه المراحل التّي تخص النمو النفسي العاطفي للطفل تتميز كلّ مرحلة ل Freud بمستوي من النضج النزوي واستناد النزوة الجنسية في كلّ مرحلة إلي بعض أجزاء الجسد التّي تتحول إلي مناطق شبقية. ويعتبر الإحساس باللذة الناتج عن هذه المناطق ذو طابع جنسي، كما ركز علي العلاقة الثنائية أمّ– طفل من اللاتمايز إلي التمايز وتحقيق الاستقلالية بعد التبعية المطلقة وارتباطه بعلاقات مع العالم الخارجي والأب كأهم شخص لقطع الثنائية والدخول بالطفل إلي الثلاثية الأوديبية . وقد انتقدت عقدة الأوديب من طرف العديد من الباحثين ك Lévi–Strauss والذّي ينفي ضرورة انطباقها علي كلّ أطفال العالم وتحدّث في كتابه Les structures élémentaires de la parenté(1949) عن زنا المحارم كموضوع محرم في عقدة الأوديب. وقد اختلفت M.Klein عن Freud في عقدة الأوديب توضح حضورها المبكر عند الطفل. إلاّ أنّ كلا من مراحل المحللين النفسانيين يبقي تفسيرها علي أساس هوامي، ولهذا جاء المنهج التجريبي معارضا للاتجاه التحليلي من بينهم Spitz, Bowlby ركزا كلا منهما علي

أهمية العلاقة الثنائية أمّ – طفل وما ينجم عنها من آثار ضارّة علي التطور النفسي العاطفي للطفل في حالة اضطرابها أو الحرمان من الموضوع اللبيدي فقد أثبت هذا بتجارب حقيقية علي الأطفال اليتامى، ركز Bowlby علي العلاقة أمّ – طفل كرابط بيولوجي يثري من خلاله تراكم الخبرات، كنموذج اجتماعي للطفل في علاقاته إلاّ أنّه أغفل دور الأب كشخص له أهمية في هذه الثنائية بالرغم من إثباته إمكانية تعدّد أوجه التعلق.

II. 3-حاجات وحقوق الطفل:

تعتبر الحاجة كشرط ضروري للطبيعة والحياة الاجتماعية تفترض الإشباع السريع بالنسبة ل Maslow توجد حاجات أساسية يؤدي عدم إشباعها في الطفولة إلي اضطرابات في النمو وعدم القدرة علي مواجهة مصاعب الحياة. تظهر هذه الحاجات في تشكيلة نفسية بيداغوجية ضمن مواقف تفاعلية آباء– أطفال ونموذج نفسي يشمل: الحاجات العاطفية، المعرفية والاجتماعية.

3-1- الحاجات العاطفية:

إنّ الحاجات في المجال الوجداني تأخذ جذورها من الحاجة إلي الانتماء العائلي الذّي يدعوا إلي استمرارية التاريخ العائلي والاجتماعي. فمن غير الممكن التطور دون تعلق وقبول أو استثمار من المحيط. فهذه المبادئ الثلاثة تشكل الأقطاب الأساسية في هذا الميدان.

- **<u>التعلق</u>:** درس من طرف Bowlby(1969) يؤكد أنّ غياب هذا الرابط خلال المرحلة الحرجة بين الثلاث سنوات الأولي قد يكون سببا في الانعدام الكلّي لتكوين علاقات وجدانية عاطفية متكاملة مع الآخرين، فتكوين الرابط الاجتماعي يتأسس علي استمرارية ودوام سلوكات التعلق " الوظائف الأمومية.... وكما يري Montagner(1988) أنّ فقدان التعلق في المرحلة الحرجة يكون له خطر كبير في التوازن العاطفي وقد أيده في نفس الفكرة Ainsworth(1988) من خلال الملاحظة أنّه من الممكن جدّا التعلق بشخص آخر غير الأمّ وأن تكون هناك تعلّقات متعددة سواء من الجنس الذكري أو الأنثوي، فوسائط التعلق تنمو خاصة بمعية حاسة الشم والملامسة الجسدية والتفاعلات السمعية، فالحالة الوجدانية للأمهات هي دليل قوي لنوعية التعلق أم– طفل.

(Pourtois P.J,2000,p31)

- **القبول:** تخلق النظرات الايجابية للمحيط العائلي محيط وجداني عاطفي آمن إذ أنّ الرسائل تعطي للطفل فضاء يمكنّه من الاختلاف عن الآخرين في أنّ له مكان ينمو في ظل الثقة والاستمرارية، يتعرّف من خلاله إلي نماذج عائلية كون أنّ التفاعل آباء– أطفال مقبول.
- **الاستثمار:** يندرج في محيط المشروع الأبوي الذّي يتقابل مع جميع التمثيلات التّي يرضاها الأبوين لأبنائهم. هذا يكمن في مقدار الحب الذّي يحملونه لطفل خيالي، فالمشروع الوالدي هو مشروع اجتماعي يقود إلي القيم والقواعد، كما أنّه ظاهرة معقدّة ينمّي قواعد متعاكسة يدعو الأوّل فيها لإعادة الإنتاج " كن مثلنا" والآخر " لا تكن مثلنا"، فالمشروع الوالدي الشخصي لا يكون دوما بصورة متناغمة، والطفل عادة محل ضغوط عديدة هدفه الأساسي هو البحث عن حلول لإدماج عناصر متباينة تتقاطع فيه.

3– 2 الحاجات المعرفية:

إنّ الحاجة للانجاز والتكامل تترجم أهمية الميدان المعرفي في تطور كلّ فرد والقدرة علي فهم محيطه ، إذ تظهر عوامل ذات أهمية قصوى للطفل كالحاجة إلي (حب المعرفة– الفضول.....) و التّي يمكن تلبيتها عبر سلوكات ونشاطات محفزة بالدعوة إلي الإثارة، التجربة والتعزيز

- **التحفيز:** له دور كبير في عملية التعلم، فأغلبية المختصين النفسانيين أوضحوا أهمية التحفيز في السنوات الأولي من عمر الطفل يساعده علي إعطاء معني لأفعاله ويخلق وسائط أو صلة مع معرفته السابقة فهو ينشئ الوعي وينمّي الرغبة للفهم من طرف الاستراتيجيات المستعملة.

- **التجريب:** يري علماء البيداغوجيا أنّ التجربة هي القاعدة الأساسية لنظرياتهم التربوية، فالتجربة هي الدافع برغبة إلي فهم ما يدور حوله أو ما يوجد من أشياء حقيقية، والتيار الطبيعي يري أنّه تعبير لأفعال ضمن محيط يرغب في تغييره مما يسمح له التحرّر من واقع المحيط.

- **التعزيز:** يري السلوكيين أنّ التعزيز هو حدث ينتج عن استجابة معينة، فالتعزيز يؤخذ كنظرة كلية و متكاملة لتربية الطفل. وتكثيف الاستجابات الحسنة يعزّز السلوكات التّي نريد لها الزوال، فعلي المرّبي أن يستثمر هذه السلطة أو مدّ التأثير الايجابي للمعلومات علي سلوك الطفل وأفعاله.

3-3- الحاجات الاجتماعية:

إنّ كلّ فرد في سياق بناء نفسه له حاجة أساسية، ألا وهي الاستقلالية الاجتماعية، تمرّ عبر ضرورة أن يكون الفرد له القدرة في التميز عن الآخرين ضمن سيرورات الاتصال والاحترام هدفها تكوين أطر يشعر فيها بالانتماء إلي الوسط الأصلي وتشجعه للانفتاح علي العالم الخارجي.

- **الاتصال:** إنّ حركة الاتصال أساسية في التطور الاجتماعي للفرد وتظهر بصفة مبكرة عند الطفل فعملية التفاعل الاجتماعي مع محيطه تحفز تعلّم كلا من اللغة وتثري التفاعل. ففعل الاتصال هام لنمو الطفل الاجتماعي كلّما كبر يكون للحوار أهمية كبري، في سن 12-13 التبادل آباء- أطفال يفتح آفاق أخري ويخلق مجال من السمع والتفهم لعالمه حتّي يتمكن من مواجهة خوفه وآلامه.

- **الاحترام والاعتبار:** للطفل حاجة إلي الشعور بأنّه عضو ذو قيمة له دور في المجتمع الذّي ينتمي إليه يعترف بشخصيته وقدراته ومؤهلاته الخاصة، ما يؤكده F.Fukuyama (1992) في أنّ الاعتراف بالرغبة يكوّن جزء اندماجي في الشخصية الإنسانية، وقد أجريت العديد من البحوث في هذا الصدد التّي توضح الصلة القائمة بين الصورة والذات ونظرة الآخرين في بناء رغبات الطفل وأدواره ونظمه بطريقة ايجابية هذا ما يؤكده Rogers في ضرورة وأهمية إعطاء وإظهار التقدير للطفل.
- **البنية:** تتمثل البنيات في مجموعة من قواعد ضبط مهام كلّ فرد في المنظومة العائلية، بالنسبة ل Minuchin(1974): البنية العائلية هي شبكة المطالب العملية التيّ تنظم كيفية التفاعل بين أعضائها، وهذا المجال يوضح معاني الحدود أو النواهي، وهي خطوط مادية ووهمية مسطرّة داخل الفريق العائلي .(Pourtois J.P, op.cit, p35) هذا وتختلف هذه البنيات من المرونة إلي الصرامة لها أثر علي المستوي الاجتماعي للطفل، فالوالد المنتهج لطرق عقابية عنيفة يولّد مشاكل سلوكية للطفل، كذلك التربية المتساهلة وغياب معايير تربوية تؤثر هي الأخرى بصفة سلبية وتبقي هذه المعايير مهمة في وضع مبادئ أساسية لبناء النمو العاطفي، المعرفي والاجتماعي للطفل.

أمّا عن الحقوق:

يظلّ الطفل فردا ذو مكانة هامة في المجتمع له كيان إنساني يتضمن حقوقا أساسية. تضمن له حق التمتع بروح السلم والحرية، الكرامة والنشوء في بيئة عائلية يسودها جوّ من السعادة والمحبة والتفاهم.

يعد النصف الثاني من القرن 20 هو الفترة الذهبية للدفاع عن حقوق الطفل وظهور العديد من التشريعات في هذا الجانب مستمدة من الحضارات الإنسانية في مقدمتها الحضارة الإسلامية وتشريعاتها المتعددة في حماية الطفل هذا ما يقارب 1400سنة من اعترافها بحقوق الإنسان بوجه عام والطفل بوجه خاص، هي حقوق الاهية ثابتة ودائمة بحكم الشريعة والطبيعة.

كما أشارت أيضا اتفاقية الأمم المتحدة في إعلانها العالمي لحقوق الإنسان، أنّ للطفولة الحق في رعاية وتكفل خاص بها بمشاركة 192 دولة بسنة 1989 وبدأ نفاذها في 1990 مع مناصرة المنظمة الرائدة في العالم لها. تضمنت الحقوق الأساسية للطفل التي تشمل ما يلي:

- حق الطفل في الحياة وفي اكتساب اسم، جنسية، ومعرفة والدية منذ ولادته وتلقي رعايتهما.
- حق الطفل في توفير الرعاية الخاصة به بسبب عدم نضجه البدني والعقلي واحتياجه إلي وقاية وعناية صحية.
- حق الطفل في مستوي معيشي ملائم لنموه البدني والعقلي والروحي والاجتماعي أي تأمين ظروف المعيشة اللازمة لنموه.
- حق الطفل في التعليم وتنمية قدراته العقلية والدينية.
- الحق في حرية الفكر والوجدان والدين، والقدرة علي تكوين آرائه الخاصة بالتعبير عنها بحرية كما نعطيه فرصة الاستماع .
- الحق في الراحة أثناء ووقت الفراغ والقيام بأنشطة ثقافية وفنون ومزاولة الألعاب.
- الحق في حمايته من الاستغلال الاقتصادي والجنسي. هذا ما نصّ عليه البروتوكول الاختياري للاتفاقية في سنة 2000 عن حق الطفل في حمايته من الاستغلال الاقتصادي ومن أداء أي عمل يحتمل أن يكون خطيرا ويعرقل تعليم الطفل أو يضرّ بصحته ونموه الجسدي والعقلي أو الروحي و الاجتماعي والقضاء علي الاتّجار الواسع بالأطفال واستغلالهم في البغاء والمواد الإباحية.

وفي الأخير تبقي العائلة كمنظمة إنسانية وخلية قاعدية تهدف أساسا إلي تحقيق التوازن العائلي في تفاعل مع المحيط لمحاولة التكيف، إلاّ أنّ هذا النسق قد يتعرّض إلي مخاطر داخلية أو خارجية تهدّد توازنه كظاهرة سوء المعاملة ومعاناة الطفل (الضحية) من قسوة وظلم الراشدين خلال مختلف مراحل حياته وعلي مستويات مختلفة، هذا ما سنعرضه بالتفصيل في الفصل الثاني.

يمثل الطفل العنصر الجوهري في بناء العائلة. كموضوع للإشباع والكمال النرجسي للزوجان وبالتالي فمن الضروري تزويده بالعناية المادية المعنوية الأخلاقية الصحية والأمنية لسدّ حاجاته ويتحقق بذلك الصفاء النفسي.

إلّا أنّ هذا الصفاء قد يخلّ توازنه ظواهر عديدة كظاهرة سوء المعاملة الوالدية والتّي تعدّ كشكل من أشكال العنف الأسري كان الطفل فيها ولا يزال ضحية لرغبات وصراعات الراشد خلال كلّ الفترات التاريخية ، لها مفهوم اجتماعي يتغيّر من مجتمع لآخر فالمجتمع الجزائري تحكمه عوامل كثيرة تتداخل فيما بينها في تفاعل مستمر تتعلق بظروف اقتصادية واجتماعية، نفسية وثقافية كان نتاجها أنماط مختلفة من الإساءة على المستوى النفسي العاطفي الجسدي والجنسي. تمارس بطريقة شعورية إرادية أو لاشعورية تحت شكل تناذرات وسلوكات عدوانية عنيفة مختلفة، تم تحليلها من طرف العديد من الباحثين نظرا لنتائجها الضارّة على الطفل كشخص يمتلك حق العناية والعيش بسلام.

إلاّ أنّنا لا نستطيع تحليل هذه الآثار الحادّة من قبل التعرض إلى التعريف بظاهرة سوء المعاملة الوالدية والعوامل المساهمة في ظهورها وتحديد أنواعها المختلفة وهذا ما نسعى إلى تحليله في هذا الفصل.

1- لمحة تاريخية حول سوء المعاملة الوالدية:

من خلال دراستنا للتاريخ الإنساني لسوء المعاملة، نجد أنّ الطفل كان ولايزال عرضة لمختلف أشكال الاعتداء والإهمال، هذا لضعفه وهشاشته ووجوده تحت رعاية وحماية الراشد.

مصطلح سوء معاملة الطفل ظهر لأولّ مرة من طرف الطبيب الشرعي A. Tardieu (1860) بفرنسا، حيث قام بنشر أطروحته حول انتشار سوء المعاملة اتجاه الرضيع والطفل في بلدان متقدمة بوصفه للأعراض الإكلينيكية الظاهرة ودراسته أيضا للعنف الجنسي اتجاه هذه الفئة من المجتمع ل 339 حالة زنا محارم تحمل عنوان " انتهاك الآداب" في الفترة الممتدة ما بين 1878-1879 باعتبارها مشكلة

اجتماعية.(Rouyer M., Drouet M, 1986,p9). فلقد كانت هذه الخطوة من طرفTardieu كدرجة هامة دفعت بالباحثين إلي النظر في موضوع الاعتداء علي الأطفال.

كمّا ظهّرت منشّورات(1946)Caffey الّتي يصّنف مّن خلالهّا مختلّف الكسّور المتعرض لها الطفل، وعمله أيضا مع (1953)Silverman في تحديد الآثار الحادة لسوء المعاملة والقائمة علي علم النفس التجريبي والسلوكي. كماتّم وضع أطفال وآباء تحت الملاحظة العلمية كشفت عن حالتهم الصحية والعسر الوظيفي الشخصي الذّي من شأنه أن يؤدي إلى تبني سلوكات عدوانية اتجاه الطفل. فقد كانت هذه الفترة جدّ هامة مع ظهور جريدة الجمعية الطبية الأمريكية في مقال مشهور ل: Kempe, Steele, F Silverman, Doroegmueller (Pelletier S,2004,p13)

قد كان لهذا المقال دورا في تحقيق درجة من التطور في التاريخ العصري لسوء المعاملة الملحقة بالأطفال وتبني السلطات العامّة البحث في هذه الإشكالية المعقدّة وبناء جدول إكلينيكي لتشخيص سوء المعاملة وبصفة خاصة معاناة الآباء من مشاكل صحية، عقلية، اقتصادية واجتماعية.

اشتهر (1962) Silverman بوضع " تناذر الطفل المعتدي عليه" وبيّن الفضل الذّي يرجع ل Tardieu في توضيح كلّ المظاهر الاجتماعية الطبية والطب عقلانية لسوء المعاملة. وتابع أعماله بدراسة إشعاعية لكسور عند أطفال ضحايا لسوء المعاملة يوضح فيها: اختلاف الكسور من طفل لآخر ومن عمر إلى آخر. وعلى الفريق أطباء علماء النفس وعلماء الاجتماع توعية السلطات المعنية لحماية الأطفال من الخطر المحيط بهم.(Rouyer M., Drouet M, op.cit, p14).

بعدها انتقلت الأبحاث إلى دراسة أنواع أخرى لسوء المعاملة كالاعتداء الجنسي، الإهمال و الحرمان المفرط. وفي نهاية القرن 20 وبداية 21 تطورت الأبحاث إلى مصطلحات أخرى كحسن المعاملة" ل (2000) Gabel Metal والرجوعية ل (2003) Anaut ذلك بتحليل العوامل التّي تسمح للأشخاص المتعرضين لسوء المعاملة إعادة بناء حياتهم بعد تعرّضهم لصدمة، ومن جهة أخرى تحديد أسباب الوقاية التّي يجب تطبيقها.(Cothnet S., 2004)

وهكذا كان لأطباء الأطفال الفضل الكبير في الكشف عن سوء معاملة الطفل من خلال دراسات إشعاعية توضح مختلف الكسور والصدمات الجسدية، والاعتماد على علم النفس التجريبي والسلوكي

معارضين لما أتى به المحللين النفسانيين ك:Ferenczi و Freud اللّذان فضّلوا الأحلام والهوامات عن الحقيقة وذلك للوصول إلى اللاشعور.

تحدّث Freud عن وجود الجنسية الطفلية وأكدّ على أهمية الذكريات خلال تحليل مشاهد إغراء الطفل من طرف الراشد، وأصرّ Ferenczi على وجود العنف والاعتداء الجنسي داخل العائلة. ما أثار اهتمامهم العنف من طرف الآباء وزنا المحارم الممارس بشكل مخفي. وقد أعطى علماء النفس أهمية كبرى للعلاقة الثنائية أمّ– طفل وبيّنوا النتائج السلبية للحرمان العاطفي في عمر مبكر كFreudو Spitz في وصفه لاضطراب العلاقة أمّ– طفل صنف الأمراض النفسية الناتجة عن الحرمان العاطفي الكمي أو الكيفي الكلّي والجزئي.

اعترف كل من Freud,Bowlby,P.Greenacre أنّ لسوء المعاملة الوالدية قيمة صدمية على الطفل. Winnicott درس العلاقة بين السيكوباتي والحرمان العاطفي أمّا Bergeret تحدّث عن العنف الأساسي كعنف فطري ضروري لحفظ الوجود والكمال النرجسي للفرد.

بعد هذه الدراسات بدأ أطباء الأطفال الاهتمام بالرضيع والاضطرابات السيكوباتية وأثر الوظيفة الأمومية على النمو النفسي والشخصي للطفل. وهكذا لم تبقى ظاهرة سوء المعاملة على اهتمام فئة من المختصين بل أصبحت مدروسة من طرف كلّ من له اهتمام بالطفل على اختلاف مشاربهم ورؤاهم مؤرخون، روائيون، وعلماء الاجتماع .

المؤرخون ك:Badinter, J.E Chenais في " تاريخ العنف" ، PH. Ariès في كتابه حول الطفل والحياة العائلية في ظلّ النظام القديم. D Gil مختص في علم الاجتماع يري أنّ العنف هو رد فعل الفرد بموجب القواعد الاجتماعية والثقافية للمجموعة المنتمي إليها دون نفي أهمية العوامل النفسية في ظهور السلوكات العدوانية اتجاه الطفل.(Rouyer M., Drouet M, op.cit,p12) أمّا في مجال الأدب رواية " عومار" ل Mohamed Dib، " البؤساء"ل Victor Hugo، " شعر الجزرة" ل J.Renard...قد أشاروا من خلالها إلي معاناة الأطفال وخطورة هذه الظاهرة الاجتماعية.

وأخيرا بعد هذه المسيرة التاريخية لسوء معاملة الأطفال نجد أنّ الدراسات في تطور تام، فبعد نبذ وإهمال هذه الفئة الضعيفة في القديم ومعاملتها دون مشاعر وأحاسيس. التفت لها الكثير من العلماء

بتوضيح أهمية الرعاية والعناية الوالدية على النمو الشخصي كذلك التشخيص والعلاج ومحاولة حماية و ضمان الحقوق الإنسانية للأطفال.

2- تعريف سوء المعاملة الوالدية:

إنّ مصطلح سوء المعاملة الوالدية له معاني كثيرة يدخل في نطاق واسع من الصعب تحديده. تصادفنا إشكالية تعريفه لما يحمله من مفاهيم تختلف من مجتمع لآخر ومن وقت لآخر عبر تطور التاريخ الإنساني. فلكلّ فترة تاريخية هندسة ثقافية واجتماعية كما تسميها " فاطمة المرنيسي " تتدخل فيها معتقدات ومبادئ عرقية أخلاقية وقانونية. بناءا عليها يتم تحديد مفهوم لسوء المعاملة فما يعتبر سلوك تربوي توجيهي في محيط اجتماعي ما، قد يعتبر سلوك عدواني واعتداء في حق الطفل في محيط آخر. وهكذا تتضارب الآراء ويبقى هذا المصطلح يكتنفه بعض الغموض في رسم الحدود الواضحة له .

تعرّف المنظمة العالمية للصحة L'OMS (1999) هذه الظاهرة:" سوء معاملة الأطفال تحمل كلّ الأشكال السلبية للعناية الجسدية و/ أو العاطفية ، الاعتداء الجنسي، الإهمال أو سلوكات ومواقف حرمان ورفض، الاستغلال التجاري وغيرها التّي تؤدي إلى ضرر حقيقي أو محتمل على صحة الطفل حياته نموه، كرامته في سياق علاقة ثقة، المسؤولية والقدرة".(Kurg E.G et Autres, 2002, p65)

أمّا الاتفاقية العالمية لحقوق الطفل بالأمم المتحدة ONU(1980) تعرّفها: " هي كلّ أشكال الاعتداء العنيفة كالعنف الجسدي والعقلي. الهجر أو الإهمال كلّ المواقف العدوانية والتوجيهية الخاطئة أو الاستغلال و العنف الجنسي من طرف ممثلين يكون الطفل تحت رعايتهم أو شخص يثق فيه". (Perche O, 2007, p117)

وأخيرا يعرفها(2003)Rudolph's S.D: " إنّ سوء معاملة الأطفال تشمل كلّ أشكال الاعتداء الجسدي والجنسي، الإهمال وسوء المعاملة النفسية والعاطفية.(Rudolph's S. D ,2003 ,p463)

كما ركزت الملاحظة العالمية للحركة الاجتماعية L'ODAS في تعريفها للطفل المساء معاملته بوصفه: " أنّه ضحية العنف الجسدي، الجنسي، القسوة العقلية والإهمال الحاد لها آثار خطيرة على نموه الجسدي والنفسي". (Brigitte C.R , Meunier B, Epelbaum C,2001,P10)

وهكذا كما قلنا سابقا تختلف الآراء ووجهات النظر في وضع تعريف مثالي لسوء المعاملة إلاّ أنّه من خلال هذه التعاريف نجدها تصب في إطار واحد هو أنّ " الطفل بحكم ضعفه ونظام هشاشته يفرض عليه أن يكون في تبعية للمحيط وفي حاجة دائمة إلى رعاية وحماية الراشد ومن طرف كلّ من له سلطة عليه نخص بالذكر هنا العائلة والتّي ينتج عنها في الحالة المرضية كلّ أشكال الاعتداء الجسدي أو الجنسي، الإهمال وأخيرا سوء المعاملة النفسية.

3- أنواع سوء المعاملة الوالدية:

لسوء المعاملة الممارسة على الطفل أشكالا أشرنا إليها سابقا من خلال تعريف منظمة الصّحة العالمية L'OMS تتمثل في: سوء المعاملة الجسدية، سوء المعاملة الجنسية، سوء المعاملة النفسية و الإهمال.

3-1- سوء المعاملة الجسدية:

تعتبر سوء المعاملة الجسدية من أكثر أشكال الاعتداء المعروفة والمباشرة، التّي يمكن تشخيصها والكشف عنها بصور إشعاعية. ويختلف الاعتداء على الأطفال حسب متغيرات عديدة :عمر الطفل سلوكاته وسماته، شخصية الوالدين بالإضافة إلى ظروف محيطيه أخرى. ويشمل هذا النوع من سوء المعاملة كلّ أشكال الضرب والتعذيب والقتل المبكر تصنف على شكل تناذرات متعددة يصفها كلّ من Silverman,Caffey ,Münchhausen:

*** تناذر Silverman أو تناذر الطفل المعتدي علية:**

لقد أثار تناذر الطفل المعتدى عليه اهتمام الكثير من الأبحاث الطبية أكثر منها نفسية اجتماعية ظهر مع Silverman (1953). ويعرّفه Kempe(1962) كمجموعة من الكسور المتعددة وآفات كبيرة ناتجة عن الضرب في أعمار مختلفة. (Collectif, 2000, p14) ويشمل الأعراض الإكلينيكية التالية:

1- كسور العظام الصدرية الداخلية، كسور غضروفية والتواءات الفك أو تجزئة مفاصل الكتف أو الكوعين نتيجة الجذب.

2- الآفات أو الأضرار الجلدية تشمل الكدمات بالصدر الوجه الفخذين الرقبة (علامات لخنق الطفل) الجروح (العضّ، الخدش، الضرب بالحزام أو السوط) الحروق أو الكي بالنار أو السيجارة أو الحديد على مستوى الأرداف، الأوراك وجدار البطن.

سقوط الشعر L'opécie ذلك بنزعه أو نتف بقع من الشعر دائرية أو مستطيلة Pseudopéladique دون فقدانه تماما.(Ferraie P.P, Bonnet G,2002, p76)

3- الصدمات الجمجمية: تظهر في تناذر الرضيع المرتج، كسور جمجمية، استسقاء دماغي، اضطرابات الوعي، الأضرار المخاطية الأنفية والبصرية.(Senterre J., 1996, p447)

إنّ تشخيص سوء المعاملة الجسدية يقوم على معيارين أساسين :

-تفسيرات لا عقلانية وغامضة من طرف الوالدين.

- وجود أضرار في مختلف الأعمار، كتأخر المشي بسبب وجود كسر في عظامه.

(Perlemuter G, Quevauvilliers J, perlemuter L, 2009)

***تناذر (MSBP[1])Munchausen par procuration:**

اعترف الأطباء منذ سنوات بوجود حالات نادرة تتمثل في اصطناع مرض جسدي أو عقلي دون وجود أسباب لهذا الاضطراب، يسمي بتناذر Münchausen أو تناذر Meadow. وقد سبق وصفه من طرف الطبيب الانجليزي Asher R (1951) في مجلة طبية « Le Lancet » تحمل مقالة يصف فيها 3 حالات لمرضي أظهروا سلوك غريب يتمثل في انتقالهم من طبيب لآخر وذلك لعلاج أمراض لا وجود لها إلاّ في مخيلتهم. (Sauvagnaut F, 2007, p145)

بعدها Meadow. R(1982) وصف حالتين من الأمهات نجحتا في إقناع الأطباء بعد تزوير تحاليل طفل الحالة الأولى وتسميم الحالة الثانية لطفلتها بكميات كبيرة من الصوديوم وإظهار اهتمام متواصل بأطفالهم الذّي يخفي اضطراب نفسي خطير(Marcelli D,2006 ,p570)

وقد وصفMunchausen في مذكرته" المريض " حالة الفتاة Julie Georgy يقول: أنّه خلال

[1] (MSBP) Munchausen syndrome by Proxy.

علاجها المتواصل والعمليات الجراحية ليس لإصابتها بمرض بل البحث عن عامل رئيسي لهذا المرض والذّي لا يوجد إلاّ في مخيلة أمّها(Nevid J ., collectif, 2003.p 157)

ويعرف تناذر Munchausen على أنّه: " اضطراب نفسي مصطنع يتعلق بحالة مرضية أو شخص مقرب بالدرجة الأولى "الأمّ" ذلك بالتسبب للطفل في أذى جسدي ونفسي وهذا لجذب الانتباه أو الحصول على فوائد ثانوية أخرى" ويسمى بتناذر " التخلف الوالدي " أو تناذر الموت المفاجئ"

(Perlemuter G. Quevauvilliers J, perlemuter L, op.cit p 657)

إنّ تشخيص هذا التناذر يقوم علي 4 معايير وضعها Rosenberg:

- إصابة الطفل بأمراض مصطنعة من الوالدين خاصة الأمّ .
- طلب حصري من الوالدين بإجراء اختبارات وعلاج الطفل بمختلف الطرق.
- إنكار أصل وسبب المرض من طرف الوالد المسؤول.
- زوال الأعراض فور ابتعاد الطفل عن الوالد، وغالبا ما يكون الوالد المسؤول قريب من المجال الطبي (Baccino,2006,p115)

*** تناذر الرضيع المرتج[1](SBS):**

ويتمثل في رّج الرضيع أقل من سنة أو 6 أشهر هذا ما يؤدي إلى تحرّك الدماغ بشكل دائري داخل الجمجمة، ولأنّ عضلات الرقبة هشة لم يكتمل نموها فهي لا تعطي دائما دعما للرأس ما يحدث تمزقا في الأوردة التّي تربط طبقة الأمّ الجافية بالأمّ العنكبوتية وينتج نزيفا شديدا. فهز الطفل يجعل المخ يتخبط بالجمجمة ما يسبب تمزقها (Bouvilles A ,2002,p85-87)

هذه الجروح الناجمة عن قوة الاهتزازات سببها حركات عنيفة بين التسارع والتباطؤ لرأس الرضيع من طرف أشخاص لا يمتلكون القدرة على المراقبة والسيطرة على انفعالاتهم. له نتائج لارجعية تتمثل في:

- أورام دموية تحت الأمّ الجافية، نزيف دموي لشبكية العين، تأخر حسي حركي عميق، شلل نصفي Hémiplégie، كسور العظام، تخلف عقلي، العمى أو الصمم .

[1] (SBS) syndrome du bébé secoué.

- اضطرابات سلوكية: أطفال حصريين، هيجان، والأغلبية معدل QIأقل من المعدل كما تصاحبهم غالبا صعوبات مدرسية(Pizza S.D., Dan B, 2001 ,p437-439)

من الصعب الكشف عن هذا التناذر لصغر سن الطفل، وأخذه في حالة غيبوبة من طرف الوالدين ووجود علامات إكلينيكية لا تتفق مع تاريخ المرض يشخص بسوء معاملة " رّج الطفل"، كذلك جهل الوالدين بهذا التناذر ولذلك فمن المستحسن إضافته في الدفتر الصحي الخاص بكلّ طفل لتنقص شدّته.

***قتل الأطفال - L'infanticide:**

تعتبر ظاهرة قتل الأطفال قضية نفسية اجتماعية جدّ معقدة، وجريمة في حق الطفل ممارسة منذ القديم عند كلّ الشعوب والمجتمعات. هذا ما تؤكده مختلف المراجع والبحوث مثلا عند الهنود يقول Alfred Metraux:" لا يوجد شعب في العالم يطبق ظاهرة القتل بطريقة نظامية كهنود شاكو، فالأمهات يحكمن بالموت علي الطفل وذلك برفض إرضاعه". هذا القتل كشكل من أشكال سوء المعاملة الجسدية (Jeambrun P., Sergent B, 1991,p 351)

قسمّه البعض إلى نوعين أساسين:

Le néonaticide : هو قتل المولود حديث الولادة في أقل من 24 سا في أغلب الحالات لا يظهر المعتدي، إلاّ انه من وجهة نظر Resnik (1970): تتميز الأمهات برفض الحمل وعدم النضج. و حسب Brosovsky et Flit (1971) خلال ولادتهم يصطدمون بالواقع وعدم القدرة على الإنكار ينتج عنه عسر وظيفي حاد يؤدي بهم إلى قتل الطفل بالإضافة إلى عوامل أخرى " كالأمّ العزباء، حالات اكتئابية لا تعويضية...

Le Filicide : هي كلمة لاتينية Filuisأو Filsو يقصد بها قتل الطفل من طرف أمّه أو أبيه خلال 6 أشهر الأولى بعد الولادة، امّا بالخنق، التسمم، الغرق، من طرف الأمهات بينما الآباء يستعملون مناهج أكثر شدة كالضرب الطعن والسحق.(Ajurriaguerra.J,1974).

ويرجعه البعض إلى القتل الغيري l' infanticide altruiste الذي عرّفه perussel. G (1923) " هو قتل في فائدة الضحية من خلال حب أمومي للتخلص من معاناة وقدر قاسي بحجة أنّ الموت أهون عليه من الحياة"(Ajurriaguerra J,op.cit) ويعود هذا الشكل إلى إخفاء رفض الأمّ، أو حقيقة

عدم قدرتها على بناء علاقات حميمية مع الطفل. وهكذا يبقى القتل موقف عدواني لا إنساني اتجاه الطفل مهما تعددت أشكاله أو العوامل المؤدية إلى ممارسته.

2-3- سوء المعاملة الجنسية:

يظلّ موضوع الجنس وممارسته من الطابوهات، ومن الأمور المحظورة التّي يصعب الحوار و التناقش فيها وهذا يعود إلى تأثره بمجموعة من العوامل الثقافية عادات وتقاليد كلّ مجتمع كالأحكام القبلية التّي كرستها ثقافتنا في المجتمع الجزائري العيب، العار، الحشومة، كلام الناس ... كلّها جعلت مناقشة هذا الموضوع صعب ومعقد من طرف المجتمع ووسائل الإعلام ما أدّي الي تفاقم في عدد الضحايا الذّين لا يمتلكون القدرة في الدفاع عن أنفسهم والتعبير عن معاناتهم النفسية الداخلية. وتتعدّد التعاريف لهذا الشكل من سوء المعاملة إلاّ أنّ الباحثين فضلّوا تعريفين أساسين مكمّلان لبعضهما.

تعرّفها المنظمة العالمية L'OMS:" هي الاستغلال الجنسي للطفل كضحية للراشد أو شخص أكبر منه في فائدة إشباع حاجاته الجنسية. وهذا الانحراف يمكن أن يأخذ أشكالا عديدة: اتصال هاتفي صور جنسية مغرية، علاقات أو محاولة اتصالات جنسية، اغتصاب، زنا المحارم، دعارة للقصر، والتبصصية".(Criville A et al, 1996, p27)

أمّا Kempe فيقول: "يعرف الاعتداء الجنسي بمشاركة الطفل أو المراهق القاصر في أفعال و نشاطات جنسية لا يستطيع فهمها، غير مناسبة لتطوره النفسي الجنسي بإجباره عن طريق العنف أو الإغراء أو يتجاوزون بها محرّمات اجتماعية".

(Griville A et al,op.cit,p27)

وبهذا نحدّد أشكال الاعتداء الجنسي حسب طبيعة ممارسته:

1- خارج الإطار العائلي: التحرش الجنسي كالاحتكاك المداعبة والتقبيل الجنسي للطفل.

- الاستعراضية : بعرض المعتدي لعوراته الجنسية وصور إباحية للطفل.
- الدعارة: وتتضمن اندماج الطفل في سلوكات جنسية بهدف الحصول على الكسب المادي و قد يحدث عن طريق المعارف، الجيران والمدرسين.

2- داخل الإطار العائلي: تتمثل في مجموع سلوكات زنا المحارم داخل الدينامية العلائقية (أب- بنت) (أخ- أخت).(أمّ- ابن)

ونظرا لتعارض هذه الأفعال مع عمر وحاجات الطفل المعرفية العاطفية والاجتماعية فهي تكوّن تهديد خطير على نموه وتطوره تظهر آثارها على المدى البعيد والقصير تتمثل في :

-الآثار الجسدية: أضرار بالمناطق الجنسية أورام دموية بالبطن، آلام أثناء التبول وتوسعها في المهبل و فتحة الشرج، جروح والتهابات المسالك البولية، أمراض جنسية معدية.
(Haeseovoets Y.H,op.cit,p129)

- اضطرابات بسيكوسوماتية: كالقهم العقلي، آلام بطنيه.
- اضطرابات النوم: أرق، كوابيس، رعب ليلي.
- اضطرابات سلوكية: العزلة، أنماط سلوكية غير مقبولة اجتماعيا كالمشاغبة Bulling، انطواء حول الذات، ضعف تقدير الذات.
- اضطراب في التركيز والتعلم، الشعور بالذنب، الخواف، تعاطي الكحول والمخدرات.
- اضطرابات تخصّ الجنسية: سلوكات ومحاولات اغرائية، استمناء متكرر، الاعتداء الجنسي على طفل آخر . (Horassus N.,Mazet.PH,2004)

ونعرض هنا صورة من سوء المعاملة الجنسية داخل الإطار العائلي لما له من تأثير سلبي على السيرورات الوظيفية والأدوار العائلية بالدرجة الأولى على الضحية تتمثل في:

❖ **زنا المحارم-L'inceste :**

يعتبر زنا المحارم كموضوع طابو عند كلّ الشعوب والمجتمعات وقد برز تحريمه في الأديان العادات وتقاليد المجتمع كمحرّم وممنوع، يصعب تجاوزه مع فرض عقوبات على المعتدي الخارج عن الطبيعة الإنسانية. فقد كان ولا يزال هذا الشكل من الاعتداء الجنسي محطّ اهتمام الكثير من الباحثين في مختلف الميادين. أعطوا تحليلات تفسّر هذا المحرّم:" كأطباء، أنتربولوجيين، علماء الاجتماع، محللين نفسانيين وسلوكيين، ذلك لخطورة نتائجه على الباحثين.

فيقولM.Achich:"في البلدان العربية المسلمة إعطاء أو هبة الحليب لطفل ثم لآخر تخلق علاقات محرّمة أو تمنع الزواج من الذّي تغذّي معه من نفس الثدي". فممنوع تزوّج الأمهات، الأخوات البنات، أخوات بالرضاعة. لقوله تعالى:" حرّمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وبنات الأخ .....وأخواتكم من الرضاعة ..." النساء الآية 23.

أماّ الأطباء أظهروا خطر الترابط الدموي فالأمراض أو الجينات الوراثية الكامنة تظهر بصفة خاصة عند الآباء بعد ممارسة هذه العلاقة. (Rouyer M .,Drouet M,op.cit,p172)

والطبيعيين يرجعون أصل قانون تحريم زنا المحارم هو طبيعي وفطري، بعدها أصبح ديني و أخلاقي ثقافي، فلاحظوا عند أغلبية القرود سلوك طبيعي يتمثل في تجنب زنا المحارم، فهي ظاهرة فطرية وطبيعية موجودة عند الإنسان والحيوان .Vidale H.M(1984) في دراسته لزنا المحارم يؤكد:" غياب عند فصيلة الفئران، الغوريلا، الدجاج علاقات جنسية في الفوج العائلي بطبيعة سلوكية. فيؤمن أنّ الإنسان خاضع لحتمية اختيار شريكه خارج الإطار العائلي.

بعض المحللين النفسانيين اعتبروه كطريقة دفاعية ترجع إلى عقدة الأوديب من خلال تحليل داخلي مرضي يقول S.Freud بوجود غريزة "طبيعية" وميول لزنا المحارم في الطفولة ثابتة وقد اختار أسطورة الأوديب لتوضيح هذه النزوة. أمّا B.Malinowski يعتبر العكس النفور من زنا المحارم ليس ظاهرة "طبيعية" لكنّها تخلق من الثقافة والتّي تمثل إسكيمة معقدة لاستجابات ثقافية. (Ajurriaguerra ,op.cit,p1058)

وبالنسبة لـ C.Lévi.Strauss إنّ تحريم زنا المحارم في الإنسانية يرجع إلى تجاوز أنظمة الثقافة والطبيعة وتحريمها يرجع للمحافظة على حياة الفوج والمؤسسات الزوجية.

ويعرّف Furaiss(1984) زنا المحارم :" هو شكل من أشكال الاعتداء الجنسي على الطفل من طرف أي راشد له دور أبوي في الإطار العائلي" (HaeseovoetsY.H,op.cit,P128). وتأتي هذه العلاقات المحرمة نتيجة الكثير من العوامل في كلّ المجتمعات والعائلات التّي تعاني من مشاكل اقتصادية : كأزمة السكن، وعوامل أخرى نفسية مرضية التّي ترجع بالدرجة الأولى إلى السمات الشخصية للوالدين .

فالأب الممارس لزنا المحارم حسب(1986) Drouet و Rouyer يظهر كرجل مثالي خالي من العيوب له اتصالات قليلة مع الآخرين، متملّك في المنزل وله صورة سلبية اتجاه الزوجة. أو يتعلق بنوع

آخر ضعيف وتابع لزوجته، غير قادر على السيطرة على نزواته في إثارة جنسية متتالية وله ميول للإعتداء على الأطفال وفي كلّ الحالات يوجد عدم نضج نفسي وجنسي ظاهر أو مخفي.

أمّا الأمّ فتوصف كشخصية غير ناضجة، سلبية "إهمال جسدي"، لها تقمص أنثوي غير صالح كانت نفسها ضحية رفض أمومي لم يتم فيه تحديد هويتها لا تقبل دورها كأمّ مستقبلية أمام الواجبات العائلية، ولا كزوجة حيث تقوّض للبنت دور الزوجة والعاشقة لأبيها(Criville A et al,op.cit) من خلال كلّ الأبحاث هناك اتفاق أنّ زنا المحارم.

- **أب – بنت** : هو الأكثر ظهورا من زنا المحارم أمّ – إبن. غالبا ما يختار الأب البنت الكبرى كشريكته الأولى وتبدأ العلاقة ما بين 5 إلى 14 سنة. الأب هنا يجبرها على الخضوع للحب والطاعة كصورة للقوة والسلطة، تستعمل هذه الوضعية لاغتصاب الحدود الجسدية والجنسية للفتاة في علاقة سادو – مازوشية كعلامة عميقة لتطور شخصي مضطرب. كما يشير إليه R.Gaddin:" يوجد انهيار نرجسي الذّي ينتج توقف أو تشوه سيرورة نضج الشخصية أمام زنا المحارم أب– بنت، فتمثيل ترجمة هذا الفعل الجنسي هو تحقيق الهوامات الأوديبية والتّي هي عامة مرتبطة باضطرابات نفسية متكررة . (Rouyer M., Drouet M , Op.cit , P204)

إن موقف البنت من هذه العلاقة غالبا ما يكون سلبي، لكن في بعض الأحيان هناك مراهقات يكملن لعب الدور كما يقول Lakianowicz:" البنات لسن دائما ضحايا بريئات". و من وجهة نظر Al و J.Noel يمكن تقسيم زنا المحارم إلى 3 أشكال حسب درجة تقبل الفتاة:

1– زنا المحارم المعاش كاضطهاد وتهديد.

2– زنا المحارم المتقبل لكن يبقى صراعي.

3– زنا المحارم المدمج دون صراع ولا أعراض: العلاقة في هذه الحالة تكون مبكرة ، والإشباع النزوى جدّ هام أمام غياب الأعراض يكون متبوع بتعقيم الأنا فقد لاحظ الباحثين عند أغلبية المراهقات تجمد وذلك لحفظ الكمال النرجسي بامتلاك الرّجل وغياب مستمر للأنا الأعلى (Ajuriaguerra J, op.cit,p1058–1062)

أمّا الأم وراء سلبيتها وغيابها توجد رغبة في العناية والحفاظ على تماسك العائلة، تحتل مكان القائد وترفض تدّخل المصالح الاجتماعية، فانفجار العائلة وتفككها يؤدي بها إلى حالة اكتئابية.

- **زنا محارم زوج الأمّ – ابنة الزوجة:** يشبه زنا محارم أب – بنت، فإذا قام البديل بتربية الطفل في السنوات الأولى تكون العلاقة ارتباطية، أما إذا أتى مؤخرا للبنت فيكون له طابع عدواني واندفاعي، وموقف الأمّ هنا متناقض بين الغيرة اتجاه البنت واتهامها أو التعلق خوفا من فقدان الزوج.

- **أب – ابـن:** يكون غالبا على شكل استمناء أكثر منه جنسية مثلية، هم شخصيات جدّ مضطربة مع وجود ميولات للإعتداء على الأطفال.

- **أمّ– ابن :** يظهر عند أمّهات يعشن لوحدّهن مع الطفل غير ناضجات، مهجورات. فيكون الطفل كموضوع لملأ الفراغ العاطفي، حسب(1986) Rouyer و Drouet الأمّ تنام مع إبنها و تشاركه في أفعال غلمية (مداعبة، مص) تنتظر منه تبني دور نشيط ، لكنّه شريك غير مرضى لا يمتلك غالباوسيلة للتعبير عن الحنان دون مشاركة جنسية (Angélino l,op.cit ,p40)، هذه العلاقة المضطربة حسب S.Lebovici مولدّة للذهان عند الطفل.

- **أمّ . بنـت :** من النادر تشخيصه، وهو يتعلق بأمّ اكتئابية مضطربة تعيش علاقة غلمية مع البنت، يمكن أن تكون هي نفسها ضحية لمداعبات وإثارات جنسية من طرف أمّها، وهو عموما فعل من طرف أمّ معزولة دون حياة جنسية (Angelino l , op.cit ,p41)

- **زنا المحارم : الجدّ – الحفيدة :** هو كأب ممارس لزنا المحارم ويرجع إلى العته، الخرف نادرا ما يكون كسبب مباشر، فالميولات المحرمة موجودة مسبقا والعته كعامل مفجر.

- **زنـا المحـارم : عـمّ – ابـن الأخ :** يظهر العمّ في كلّ مؤلفات Freud في مكان الأب في وضعية خاصة، قريب وبعيد في نفس الوقت لا يتقاسم بصفة دائمة الحياة العائلية. يكون غالبا صغير السن يتمتع بإجبار ابن الأخ على أفعال جنسية محرمة كما في أغلبية أشكال زنا المحارم، أمّا الآباء يظهرون فرح اتجاه هذه العلاقة الحميمية بين العمّ والابن أين يعاني فيها الطفل من الإجبار والخضوع و عدم القدرة على الكلام.

- **زنـا المحـارم: إخـوة – أخـوات :** إنّه لمن الصعب تشخيص هذا الشكل ، فهو نادرا كموضوع مشار إليه من طرف الوالدين، فتقرير Québec : يوضح بعدم وجود ضرر إذا كان بين أطفال في نفس

السن بصفة ألعاب جنسية ،على عكس علاقة أخ وأخته كبيرة في السن والتّي لها طابع زنا المحارم، يرتكز وجود هذه العلاقات المحرمة بالعائلات التّي تعطى مظهر السواء مندمجة اجتماعيا بصفة جيدّة تحكم بمبادئ أخلاقية وتربوية جدّ صارمة، فالتبادل بين الأطفال والآباء يتركز على الحاجات المادية والنجاح المدرسي لا يتحدثون عن الجنسية، وهنا المراهقين يعانون من الصراع بين النزوات الجنسية و القانون الأخلاقي الصارم وبهذا المرور إلى الفعل الجنسي يكون إمّا بوحشية وإذلال لأخ صغير أو أكثر

حبّ مع أخ قريب في السن وفي حالات أخرى يتقاسم الأطفال مشاعر الهجر والحرمان الناتجة عن مشاكل عائلية وصرا عات والدية .

يتعرض الطفل إلى صدمة من هذه التجربة لا يفهم معناها، يبقى أسير التكرار لهذا الفعل الذي يؤدي به إلى منطقة علائقية محرمة ينجم عنها صراع نفسي مستحيل خاضع للخوف، وغير قادر على كبت و احتمال أفكاره أو التحكم في تهديدات المعتدي، يعزل الوجدانات المرتبطة بالسلوكات الاعتدائية التي يعاني منها فالأنا ضعيف (قلق، إحباط، يأس، الشعور بالوحدة) هذا ما يؤكده

Ferenczi(1932) :" الأطفال يحسون نفسيا وجسديا بلا حماية ودفاع، شخصياتهم مازالت ضعيفة من أجل القدرة على الاجتياح حتىّ في أفكارهم. القوة والسيطرة الساحقة للراشدين تجعلهم في صمت وبكم، لكنّ هذا الخوف إذا أصاب نقطة الذروة يجبره على الخضوع أوتوماتيكيا لإرادة المعتدي ويصبح خاضع لرغباته بتقمص كلّي للمعتدي... وهذا يختفي كحقيقة خارجية ويصبح نفسي داخلي ".

(Haeseovoets Y.H, op.cit, p63)

إنّ ميكانيزم تقمص المعتدي يسمح للطفل لعب دور المشاركة أو التعاطف أحسن من أن يرسل له صورة الأب الغير محبوب فالضحية مرتبط بتعلق عاطفي أو رابط لبيدي بالمعتدي. هذا ما يثبت طوال مدّة المقاومة ورفض المساعدات ويظهر مع ميكانيزم تقمص المعتدي النكوص الذّي يسمح للطفل بالرجوع إلى مرحلة مبكرة يخلق فيها وضعية تبعية آمنة.

وهكذا توضح ظاهرة زنا المحارم إدماج واختلاط بين الأدوار الجنسية والأجيال داخل العائلة، فهذه الأخيرة تتميز بغياب الثلاثية الأوديبية المستقرة ذلك باستدخال التمييز بين الجيل والجنس ومنع

علاقات محرّمة مع الأب. فالكشف عنها يؤدي إلى فقدان مكانة العائلة في المجتمع ولا يزال هذا الشكل من الاعتداء تحت تصورات اجتماعية وثقافية من الصعب الانسلاخ عنها.

3-3- سوء المعاملة النفسية:

إنّ سوء المعاملة النفسية لم تحظى باهتمام الباحثين الذّين ركزوا على الجانب الأسري والحقوق الأساسية للطفل، ظنا منهم أنّ لهذا الشكل من سوء المعاملة ليس له آثار بقدر ما تؤثر الأشكال الأخرى الجسدية والجنسية ...

وبالرغم من وجود حالات لم تتعرض لأيّ نوع من سوء المعاملة الجسدية أو الجنسية لكنّها تعاني من الإحساس بالنقص وعدم الثقة والشعور بالذنب نتيجة استخدامها كموضوع للاعتداء وانتهاك لحقوقها الإنسانية.

فإهمال المجتمع ومختلف وسائل الإعلام لهذا الشكل من العنف باعتباره أمر تافه جعل هذه المشكلة تتفاقم يوما بعد يوم فأصبح نمطا من أنماط الحياة وثقافة مجتمع بأكمله تحت خلايا عائلية، وفي إطار العلاقة الدينامية آباء – أطفال تمارس بشكل طبيعي دون الشعور بالذنب والإحساس بهذا المخلوق الذّي بدوره سيؤسس عائلة.

تختلف سوء المعاملة النفسية عن الجسدية والاعتداء الجنسي، ذلك لصعوبة تحديدها وظهورها بمختلف المواقف العنيفة من طرف الراشد أو المربي، فالعوامل الثقافية تؤثر في اختيار الآباء لطريقة تأنيب أطفالهم، ولهذا وجد الباحثون صعوبة في وضع تعريف خاص بها لخضوعها لمجموعة من التغيرات حسب:

Lopez G ,Tzitizis(2004) تعود إلى العمر، الجنس، الإطار الممارسة فيه وحتىّ ثقافة المجتمع.

ويعرّفها كلّ من Hart et Brassard (1987): " أنّها كلّ أفعال الرفض والإهمال المحكوم عليها من طرف الجماعة والخبرة المهنية كمعاملة نفسية جدّ ضارة. تكون على المستوى الفردي أو الجماعي من طرف أشخاص لهم سلطة على الطفل يمكن أن تؤثر على المدى القصير أو البعيد، على السيرورات الوظيفية السلوكية المعرفية العاطفية وحتّى الجسدية ".

(Tarabulsy G.H, Provost H.A , 2008, p87)

أمّا Gabel (1996) يقول: " هي أنماط من السلوكات المتكررة من طرف الوالد أو الراشد المسؤول عن رعاية الطفل يحس فيها أنّه غير محبوب، غير مرغوب فيه، وليس له قيمة، وأنّه في خطر وأنّ قيمته الحقيقية تكمن في تلبية وإرضاء حاجيات الآخرين" (Hooland H.V, 2006, p19)

كما يسميها البعض في المقاربة الاتصالية ب "صدمة الكلام" لوجود تشويه خلال الكلام وأنواع السب و الشتم والاحتقار تؤثر على الطفل، وتظهر رمزية الخطاب الموجه على شكل أعراض سلوكية جسدية وكوابيس.....

وقد قام الباحثين Amendees P.P(1994) Garbarino et Al (1986) بوضع تعريف محدّد في هيكل نظامي يحمل أنواع سوء المعاملة النفسية بعد القيام بتشخيص فارقي جدّ صارم، و استخدام أدوات تقييمية. وتشمل كلّ مواقف الرفض، العزل، التجاهل، الاعتداء اللفظي.....

- **الرفض:** يجمع كلّ السلوكات التّي تشمل عدم اعتراف الوالدين بشرعية رغبات وحاجات الطفل كانسان له حقوق مادية ومعنوية. تظهر هذه المواقف بغياب العاطفة والحنان وإرسال إحساس بأنّه عائق أو خطا في هذه الحياة.

- **العزل:** وذلك بقطع الصلات الاجتماعية للطفل من طرف الراشد وعزله عن كلّ المجتمع سواء باللعب مع أقرانه وحرمانه من الصداقة أو المشاركة في كلّ حوارات ونقاشات العائلة وممارسة نشاطاته الاجتماعية إلى غاية إحساسه بالوحدة وذلك بغلق باب الغرفة عليه أو في حجرة معزولة من المنزل.

- **التهديد:** يعيش الطفل في جوّ مليء بالخوف والتهديد من طرف الوالدين. كالتهديد بالموت أو العقاب الشديد أو بالإهمال والهجر وغيرها من المواقف الاضطهادية.

- **التجاهل :** الراشد يحرم الطفل تزويده بكلّ المعلومات التّي تساهم في بناء نموه الفكري و الشخصي، ذلك بعدم الرد على كلّ الأسئلة العادية التّي تراود الطفل في عمره فهذه المواقف المقصودة تؤدي إلى محو اسم وشخصية الطفل في غياب العاطفة واللامبالاة الحادة.

- **إفساد التنشئة الاجتماعية:** يحرّض عند الطفل بروز ميولات عدوانية وفساد أخلاقه بمنعه أن يكون اجتماعي خاضع لمبادئ وقوانين الجماعة، فهو ضحية لاضطرابات الراشد السيكوباتي الذّي ينقل له أخلاق فاسدة وإكسابه لقيم مقولبة. فالمقبولة منها تكون مرفوضة بالنسبة له.

- **الاعتداء اللفظي:** يكون الطفل في هذه الحالة ضحية لمواقف عدوانية وألفاظ سخرية إرادية تمس كماله الشخصي. تتمثل في إعطاء تسميات رمزية كناية عن مدى قباحته ولا قيمة له مثير

للاشمئزاز وتكون إهانات أمام الجميع تحط من قيمة الطفل وإحساسه بالنقص والتقليل من حبه لذاته غالبا ما يكون تابعا للرفض.

- **القمع :** يتمثل في تكليف الطفل بمتطلبات وامتيازات تفوق قدراته ومستواه الفكري بوضعه في إطار يجعله دوما يحس بالنقص والفشل مهما زادت قدراته فالرغبة المفرطة وأنانية الوالدين تحطّم رغبة الطفل في الإبداع والمثابرة كما تكون هذه المتطلبات ذات معنى سلبي متبوعة بانتقادات غير محتملة . (Haeseovoets Y,2003. Baccino E,2006)

وقد تأثر DSM بالنموذج النسقي والتفاعل بين أفراد العائلة وعلم النفس الإكلينيكي، حيث طرح التساؤل حول المحيط العائلي المضطرب وهذا يعني أنّه لا يكتفي بوصف وتصنيف الأعراض الظاهرة و تشخيصها أي الاهتمام بالجانب الفردي للضحية، بل يجب تحليل وفهم السمات الشخصية للمعتدي وتحليل العلاقات الأسرية الداخلية والممرضة التيّ تتضمن أنواع كثيرة من المواقف المسيئة.

وهكذا تبقى ممارسة سوء المعاملة النفسية اتجاه الطفل في كلّ الطبقات الاجتماعية والمحيطات الثقافية والتعليمية كالعائلة باعتبارها مجموعة من المواقف المسيئة يكون فيها الطفل كرهينة لسدّ و تعويض الاحباطات والصدمات الطفولية المكبوتة ومكان لإسقاط أحاسيس الكره والضغينة ومختلف أنواع الاستياء ما يشعره بالإهمال والشعور بالذنب لأنّه غير محبوب ومرغوب فيه كذلك سيطرة مواقف مقصودة تشمل محو وإزالة اسم الطفل.

3- 4- الإهمال الوالدي:

تقول Anna Freud: " يولد الأطفال بطاقة عادية، وهم بحاجة لاستقبال رعاية جسدية كافية والانتماء إلى عائلة سليمة تحسن استقبالهم وتزويدهم بالعاطفة وسند متواصل لقدراتهم وكذلك التعرف على آباء مقبولين داخل الجماعة".(Rouyer M., Drouet M, op.cit, p84)

هذه المقدمة ل A.Freud توضح لنا أنّ الطفل بحاجة تامة إلى الرعاية والعناية الوالدية الضرورية التيّ تشمل المستوى الجسدي، الانفعالي، الصحي والتربوي. والتيّ قد يكون مغفل عنها من طرف المحيط وبذلك توصلنا إلى ظاهرة الإهمال الوالدي كشكل من أشكال سوء المعاملة تتميز هذه الأخيرة بأنواعها المتعددة التيّ تمس حياة وكيان الطفل.

يعرّفها كلّ من Polansky et Chalmers (1981): " هي حالة يكون فيها أحد الوالدين أو أي شخص مسؤول عنه، بترك الطفل يعاني بطريقة إرادية وعمدية من الإهمال ونقص في تلبية الحاجات التّي تعتبر أساسية لتطور القدرة الجسدية، الفكرية والعاطفية للفرد ".(Pelletier C, 2004,p2)

أمّا Ethier يعرّفها" هي الفشل المزمن في تلبية حاجات الطفل والتّي تشمل الصحة، النظافة، الوقاية، التربية أو الحياة الانفعالية" (Dessibourg C.A, 2009, p14)

ويشمل بهذا الإهمال الوالدي العديد من الأشكال وعلى مستويات وأنظمة ذات طابع جسدي، طبي، تربوي وعاطفي.

1- الإهمال الجسدي: يتمثل في :

- **<u>الإهمال الغذائي</u>** : ويظهر في الحرمان أو نقص المعيشة التّي تؤدي إلى تأخر في النمو و أمراض جسدية تختلف حسب شدّتها.

- **<u>الإهمال في اللباس:</u>** يخضع اللباس لمبادئ وقواعد ثقافية واجتماعية فمظهر الطفل يكشف عن هويته والثقافة المتبناة من طرف العائلة ويمكن أن يؤثر هذا على دوره ومكانته الاجتماعية كما له علاقة بالمناخ الطبيعي ويؤثر هذا كلّه على كماله النرجسي وإحساسه بالنقص في حالة جعله كموضوع استهزاء وتهميش من طرف الجماعة.

- **الإهمال في النظافة** : يعاني الطفل من جانبين أساسين: جانب صحي بتأثير الأوساخ على صحته وتطوره. وجانب نفسي اجتماعي كانبعاث رائحة كريهة من الطفل وعدم نظافته تجعل أقرانه ينفرون منه فيبقى معزولا اجتماعيا ومحل استهزاء ما يؤثر على صورته الذاتية ونتائجه المدرسية.

- **الإهمال المحيطي:** يتعلق هذا الشكل بالمسكن الغير لائق وآمن تنعدم فيه الشروط الضرورية لحماية الطفل وصحته من الحوادث والأمراض.

- **الإهمال الأمني:** يشير إلى نقص الانتباه واليقظة لكلّ الأخطار المحيطة بالطفل والكشف عن مشاكل في تعليم الطفل قانون المحرمات وحرصهم على حمايته من أخطار داخلية وخارجية.

- **الإهمال الطبي :** يتعلق هذا الشكل بإهمال الزيارات الطبية التّي تمنع من متابعة النمو الصحي السليم للطفل حيث لا يملك دفتر صحي أو سجل طبي خاص به توضح فيه كلّ الفحوصات الطبية.(Haeseovoets Y.H, 2003, p91-96)

2- الإهمال العاطفي:

يتمثل الإهمال العاطفي أو الانفعالي في غياب الاهتمام والرعاية والاتصال، كذلك غياب مشاعر ايجابية والأمن والاستقرار داخل إطار الدينامية العلائقية آباء – أطفال .
(Chamberlande.,Collectif, 2007, p39) فكلّ أشكال الحرمان تعتبر كشكل مخفي لسوء المعاملة الذي يعرّفه Ajurriaguerra:" هو النقص في الحب والعطف والحنان والرعاية من طرف الأمّ نظرا لغيابها أو موتها أو مرضها أو الانفصال بسبب الطلاق أو الرفض مع عدم وجود بديل لها".(Ajurriaguerra J,1982, p231) . هذا ما يخلّف أثارا علي النمو النفسي العادي للطفل تناولها العديد من العلماء ك: Bender, Spitz, Bowlby . هذا وقد تحققت العديد من الأعمال في إطار نظرية التعلق ل Bowlby فالتعلق هو نزوة ثانوية تستند إلى الحاجة الأولية للمعيشة. يرجع بنا إلي مصطلح الاستناد المترجم من طرف Freud ويعني به " العلاقة البدائية لنزوات حفظ الذات بالنزوات الجنسية".(Benony H , 1993, p 81)

إذن التعلق هو ارتباط بصفة متكررة بين شخص وآخر، ويظهر خاصة في العلاقة أمّ – طفل، تعتبر هذه العلاقة البدائية كنموذج وإطار مرجعي لكافة العلاقات الاجتماعية وبهذا تؤثر على نوعيته أو

طبيعة التفاعل الاجتماعي (Bowlby J,1978) سوء المعاملة تظهر اذن كطريقة اتصال مبكرا وتعلق حصري غير آمن ناتج عن إهمال الطفل وعدم الاستجابة لحاجاته.(Fontaine R ,2003)

3- الإهمال التربوي:

يتمثل في ترك الوالدين لمسؤولياتهم كأفضل مربين، بإهمال التطور الفكري ومنابع الاكتساب، كغياب الطفل عن المدرسة ونقص في انجاز فروضه وبقائه في المنزل لإرضاء حاجات العائلة. فالطفل هو ضحية لهذه المسؤوليات الكبيرة على كاهله، لا يتمكن من التكيف مع الجوّ المدرسي وبذلك يتراكم الفشل ويؤدي به إلى عدم القدرة على إتمام برنامج عادي ونجاح حقيقي كفرد له حق في التربية والتعليم .

تظهر إشكالية الإهمال بحرمان في الإجابات ثقافيا واجتماعيا لحاجات الطفل تتدّخل فيها عوامل متعددة تؤدي إلى عسر الوظيفة الدينامية العائلية(Alary J,Simand M.,2000,p309) .

هذا ولا يمكن تشخيص أنّ الطفل ضحية للإهمال الوالدي إلاّ إذا كان بطريقة حادّة ومتكررة تمس جميع حقوقه اليومية كاللباس، الأكل، الصحة وكثيرا ما يصادفنا في هذه الإشكالية عامل الفقر خاصة في حالة الإهمال وعدم توفير الأمن والسكن أو الرعاية الصحية واللباس اللائق فنجده كحجّة يتمسك بها أغلبية أفراد المجتمع ولهذا لا يمكن الخلط والتشخيص المطلق أمام إهمال والدي بطريقة مقصودة أو غير مقصودة ترجع إلى عوامل اقتصادية محضة أكثر منها نفسية اجتماعية.

4- النظريات المفسرة لسوء المعاملة الوالدية :

بالرغم من الاهتمام الحديث بالطفل كضحية لمختلف أشكال الاعتداء، إلاّ أنّ هناك العديد من النظريات التّي فسرت ظاهرة سوء المعاملة الوالدية، بتوضيح العوامل المساهمة في ظهورها و الميكانيزمات الأساسية في إنتقالها من جيل لآخر. وهذا من خلال نماذج داخلية تشمل: النظرية الطبيعية، العصبية- البيولوجية والتحليلية وأخرى خارجية: كالسلوكية، الاجتماعية الثقافية وأخيرا النسقية .

4-1- النظرية الطبيعية :

إنّ المقاربة الطبيعية في تفسيرها للإعتداءات الأسرية، تؤكد على الاستمرار الغريزي للإنسان عبر كلّ الأجيال، بالنسبة للطبيعية الكلاسيكية، تتكوّن العدوانية عند الحيوان كما عند الإنسان، فالسلوك المسيء يترجم على شكل ميل غريزي عفوي وطاقة داخلية متراكمة يجب صرفها.

إنّ الفرضية الأساسية للتيار الطبيعي تؤكد أنّ السمات الفيزيولوجية للأطفال تنشّط السيرورة البيولوجية الكامنة عند كلا من الوالدين، ما تشير إليه أعمال الطبيعيين إعتداء الأمّ على أطفالها المشوهين والمعاقين، أو تظهر لامبالاة خاصة في حالة الطفل الخديج، نفس السلوك الاعتدائي يظهر في فصيلة الحيوان كقتل صغارهم المرضى أو المصابين أو تناولهم كغذاء .فالسمات الجسدية والفطرية للطفل لها أثر في التفاعلات العلائقية وبهذا فسوء المعاملة ناتجة عن وجود ثغرة في العلاقة آباء- أطفال.ومن جهة أخرى تفسر هذه النظرية ظاهرة سوء المعاملة حسب ثلاثة وظائف أساسية :

* **الوظيفة الإيكولوجية:** تتعلق بضرورة التوزيع المتوازن للأشخاص والمواضيع في الفضاء العائلي، فالعنف داخل المحيط العائلي له علاقة بالمستوى الاجتماعي والاقتصادي كضيق السكن.

* **الوظيفة الانتقائية:** تفسر العدوانية بضرورة انتقاء المواضيع الأكثر قدرة والمؤهلة للإنتاج، ما يوضحه Hadjisky في أطروحته أنّ الوالدين المسيئين للمعاملة لهم إحساس بتقديم " فضلات " للمجتمع في طريقها للزوال.

* **الوظيفة الاجتماعية:** في هذه الوظيفة يبحث المعتدي عن الحفاظ على الروابط المهيكلة داخل فوجه بسلوكات تربوية توجيهية عنيفة يبرّر فيها الآباء سلوكهم بإرادة الحفاظ على النظام الاجتماعي. (Pourtois. J .P, 2000, p .46)

4-2- النظرية العصبية البيولوجية:

لقد ركزت هذه النظرية أساسا علي البحث داخل العضوية ذلك بإبراز أهمية العوامل الهرمونية، الوراثية، العصبية والنفس الفيزيولوجية في ظهور السلوكات العنيفة، كما اهتمت كذلك بالدور الذّي تلعبه العوامل النفس مرضية والعقلية في تفسير ظاهرة سوء المعاملة بالإضافة إلى الكحول. والتفاعل بينها تؤدي إلى تبّني سلوكات عدوانية واستجابات انفعالية غير ملائمة.

بالنسبة **للعوامل الهرمونية** : وضّح العديد من الباحثين العلاقة السببية بين العوامل الهرمونية و السلوكات العنيفة، فركزوا على دراسة هرمون التسترون وعلى أهمية الطمث عند المرأة التّي أكدّت نتائجها وجود العدوانية عند المرأة خلال الدورة الشهرية ..... هذه العوامل لا تعمل لوحدها بل في تفاعل مع مجموعة من العوامل العصبية الانفعالية.

* **العوامل العصبية:** تؤكد هذه النظرية بوجود مناطق مخية عند إثارتها تؤدي بالضرورة إلى أزمة اعتداء وعنف، ما يؤكده (1969) Delgado أنّ الإثارة المخية تحرّض الحالة العاطفية للاعتداء، لكنّ دون تحديد هدف أو ضحية الاعتداء ولا تسلسل السلوك العدواني (Pourtois. J.P, 2000, p .50).

* **العوامل الوراثية:** هناك دراسات تقترح وجود عوامل وراثية تفسر انتقال السلوكات العنيفة عبر الأجيال فمصطلح الوراثة يترجم وجود عامل وراثي كالكروموزوم (Y) المفجر للعامل الإجرامي.

* **العوامل النفسية المرضية:** تؤكد هذه النظرية وجود علاقة بين الاضطرابات النفسية المرضية و السلوكات العنيفة، فقد اهتم الباحثون بمختلف أنواع العسر الوظيفي النفسي والعقلي كالاكتئاب بأشكاله ما لاحظه (1981) Margisor عند الآباء المكتئبين خطر تعريض أطفالهم للإهمال الناتج عن غياب الوعي واستعمال العقاب كوسيلة تربوية، كذلك دراسة العلاقة بين الفصام والفشل الوالدي، وتسجيل صعوبة بناء علاقات حميمية سوية مع اطفال المواضيع السوداوية. وهكذا تتنوع الاضطرابات العقلية و يختلف أثرها من شكل لآخر. كما أشركت هذه النظرية الكحول كعامل إضافي في تفسير السلوكات الإعتدائية ما أشار إليه Favavard تدّخل الكحول بنسبة 20%.

4-3- النظرية التحليلية :

اهتمت المقاربة التحليلية بدراسة السيرورة النفسية الداخلية للمعتدي، ذلك بالعودة إلى الماضي الطفولي والتاريخ الشخصي لكلّ فرد خاصة الأمّ كموضوع لبيدي مفضل. فكلا من مؤسسي الفكر التحليلي : M.Klein و Freud ساهما في تقديم إطار تفسيري لظاهرة سوء المعاملة الوالدية يتعلق بميكانيزمين أساسين هما: التقمص والإسقاط المرضي.

حلّلت M.Klein الهوامات التدميرية عند الرضيع من خلال إدخال شخصه الذاتي كليا أو جزئيا داخل الموضوع بغية إلحاق الأذى به وامتلاكه، كذلك هو الحال بالنسبة للوالد المنتهج لسوء المعاملة كأسلوب من أساليب الإسقاط ونبذ كلّ ما يرفض في الذات وما هو سئ على الضحية " الطفل " بغية تدميره .

إنّ فكرة التقمص المرضي للطفل في حالة سوء المعاملة برزت من طرف(Steele et(1969 Pollock من خلال مصطلح" التقمص الرجعي" هذا الميكانيزم الدفاعي يبين أنّه خلال سيرورة الوالد المعتدي يتم تحويل على الضحية أخطاءه وثغراته كطفل. هذا الاتجاه الأوّل من التقمص يكشف فيه الآباء عدم القدرة على إشباع حاجات الطفل نتيجة عوامل ترجع لماضيهم الطفولي ما يخلق الغضب و يؤدي الي سوء معاملة الطفل.

أمّا الاتجاه الثاني للتقمص فيتعلق بتقمص الأمّ لأمها، وقد وصف crinker انتشار الكره عبر ثلاثة أجيال: كره الأمّ لنفسها، وكرهها لأمّها كما تكره الطفل كموضوع بحاجة إليها، وهذا الاتجاه يصف لنا ظاهرة انتقال سوء المعاملة عبر الأجيال (pourtois. j.p, 2000, p58.59) .

ويرتبط ميكانيزم التقمص بمفهوم الشعور بالذنب في الفرضية التحليلية، التّي توضح تأثير الميكانيزمات الإسقاطية في تناقل سوء المعاملة، فعدم القدرة على بناء الجرائم يتحول إلى الشعور بالذنب العصابي عند الطفل ويميل إلى ارتكاب نفس السلوكات للتخلص منه.

كلا من ميكانيزمات الإسقاط والتقمص المرضي، يوضّحان الاستثمار السيئ للطفل في غياب مشروع والدي خاص به تحدّد فيه حاجاته، والرعاية اللازمة التّي ترجع بالدرجة الأولى إلى السيرورة الشخصية والوظيفية للوالد المسيء للمعاملة.

4-4- النظرية النسقية:

يرى النموذج النسقي أنّ العائلة هي نظام مفتوح ومتوازن له القدرة على التحول، في بحث دائم عن ضمان بقائه وإستمراريته والتكيف مع كلّ الأنظمة الاجتماعية، في هذا السياق أفراد العائلة هم عناصر لنظام تفاعل دائري أين سلوكات كلّ فرد تؤثر بطريقة مماثلة في الآخر.

أمّا إشكالية إنتقال سوء المعاملة عبر الأجيال لم تكن من اهتمام هذه المقاربة فالنموذج العلاجي ركز على الحاضر، إلاّ أنّه هناك مفاهيم أساسية تفسر بها كلّ الأفعال العدوانية، فقد اقترح Nagi et Berzomeny (1973) ميكانيزم "الولاء الغير المرئي "La loyauté invisible" هذه التركيبية اللاشعورية تدفع بعض الأمهات للثقة في المنهج التربوي الأبوي. وتوسعه إلى أجيال متعددة بالرغم من تأكيدهم أنّهم كانوا أنفسهم ضحايا سوء معاملة حادّة يترجمون ويسقطون رغباتهم وقلقهم علي الطفل. (Merdaci M,op.cit,p.108)

تتميز العائلة المسيئة المعاملة بطابعها الصراعي، ونذرة التفاعلات في تصعيد للعنف كضعف التفاعل العاطفي بين الأم والطفل وارتباطه بعمر الأمّ ودرجة نضجها ووعيها، بالإضافة إلى السمات الخاصة بالطفل ومشاركتها في اعتداءاته.

كما ركزت هذه المقاربة على دور الطفل في الحفاظ على تماسك العائلة و توازنها يصف Stierli (1973) في مقاربة نفسية تحليلية دور الطفل كممثل للوالدين في الوحدة العائلية حيث يلعب دور الضحية بامتصاص كلّ ما هو سيئ في الثنائية الزوجية وبالتالي يزاح الصراع الزوجي إلى الطفل. (Pourtois J.P, op.cit,p64.71) .

وهكذا فالعسر الوظيفي داخل العائلة المسيئة المعاملة بين أفرادها لا يكون صدفة، بل يترجم بوجود بعض الميكانيزمات ترجع إلى الأنظمة والروابط العلائقية مع الفوج العائلي، فاللأنظمة دور في تثبيت الأدوار تتميز هذه الأخيرة داخل العائلات بصلابتها وجمود كبير غير قابلة للتفاوض لها ميل قوي إلى تثبيت دورها بطريقة نمطية. تؤكد هذه المقاربة بأهمية التظاهرات الطقوسية كالطقوس **Heméostatiques** أو طقوس الوحدة يتعلق بالولائم أو الحفلات العائلية، تحافظ على العلاقات والقيم العائلية وطقوس**Homéorhésiques** أو طقوس المرور تفسر تكامل الفوج العائلي وانتقال واحد من

أعضائها: زواج، عيد ميلاد .....لهذه الطقوس أهمية لتماسك الفوج العائلي، إلاّ أنّ غيابها خاصة في العائلة المسيئة المعاملة تفقد العائلة تماسكها، توازنها وتكوّن عامل مهم في ظهور العنف.

4-5- النظرية السلوكية :

من وجهة نظر السلوكيين أنّ العنف داخل الإطار العائلي يعتبر كسلوك مكتسب، وتميز هذه النظرية بين ثلاثة نماذج نظرية تسمح لنا بتفسير السلوك الاعتدائي من خلال قوانين التعلم وتشمل:

*** التصميم الكلاسيكي لـ Skinner :**

نموذج Skinner يجمع بطريقة نظامية بين المثير والاستجابة، يحدّد الروابط الموجودة بين السلوك السيئ والمثير الذّي أدّى إلى انفجاره.

بالنسبة **لطبيعة المثير**: تمّ تحديد دور الطفل في التفاعل بسماته الخاصة التّي تجعل منه ضحية: كالهيجان، الغضب، إفراط حركي ....

أمّا **طبيعة الاستجابة** : تخص من جهة تدخل الوالد المسيء المعاملة في أنماط التفاعل، ومن جهة أخرى نوع السلوك المعزز عند الطفل. ففي العلاقة التربوية يتميز الآباء بفرض قواعد وأنظمة تربوية بطريقة غير مناسبة دون إعطاء فرصة لإبداء رأي الطفل.

- نقص التعزيز الإيجابي في أنماط التفاعلات واستعمال أكبر للعقاب.
- إستدخال السلوكات الاجتماعية بطريقة مقولبة. في العائلات ذات عسر وظيفي يتحصل الطفل على تعزيز إيجابي لسلوكات إنحرافية والعقاب على سلوكات مرغوبة ومقبولة اجتماعيا. فالاستخدام الواسع للتعزيز السلبي متعارض مع "مبدأ الفعالية " يعتبره السلوكيين كنظام سلوكات التعزيز الايجابي من طرف الوالدين لكنّ في حالة سوء المعاملة هناك تعارض مع هذا المبدأ.

وأخيرا **طبيعة التعزيز** : عدم فعالية التقنيات التربوية واستعمال مناهج عقابية متتالية من طرف الوالدين لها نتائج سلبية تتعلق بإدمان الطفل على العقاب، بوصفه أسلوب منفر قد يؤدي إلى الشعور بالإحباط الذّي يعتبر أحد مداخل السلوك العدواني.

وكنتيجه فالفكرة العامة التّي تدعم النموذج التحليلي ل Skinner هي أنّ سوء المعاملة نتيجة للتقنيات التربوية الغير فعّالة. وفي هذا المجال تبيّن العلاجات السلوكية أهمية الحرمان من المكافأة في إدارة العقاب وضرورة الابتعاد عن العقاب الجسدي.

* **التعلم الغير مباشر:** هذا المفهوم أتى به (1970) Bandura يفسر هذه الظاهرة بـ:

- انتقالها عبر الأجيال فقد كانوا هم أنفسهم ضحايا، معتدين أو ملاحظين فالتجربة أساسية في التعلم كذلك الملاحظة وتقليد الآخرين وسيلة فعالّة في انتقال السلوكات السلبية.
(Pourtois J.P,2000,p21)

- وجود علاقة بين سوء معاملة الزوجة وسوء معاملة الطفل. فالدراسات أثبتت أنّ الأطفال الملاحظين للسلوكات الاعتدائية لا يختلفون عن الأطفال المساء معاملتهم كونهم يعيشون في جوّ عنيف وكملاحظين له.

* **فرضية إحباط – عدوان** :يعتبر السلوكيين مثل(1939) Dollard أنّ السلوكات الإعتدائية هي استجابات محرضة بحالات إحباط، فحضور ظروف غير ملائمة تحرض إستجابات عدوانية عند الإنسان كما عند الحيوان، وهناك عوامل أخري تزيد من ممارستها : كالاضطرابات العائلية، السيجارة، الحرارة العالية والتلوث.

* **التعلم الناقص** :هذه المقاربة تقوم على عسر وظيفي للآباء لهم نقص كفاءات في توجيه وتثقيف الطفل بطريقة مناسبة، ما بينته أغلبية الأبحاث أنّ خطر التعرض لسوء المعاملة تزداد حدّته عند أطفال لآباء متأخرين عقليا يفتقدون لأنماط تعلم صحيحة.

4-6- النظرية الاجتماعية الثقافية :

تقوم إشكالية سوء المعاملة الوالدية من وجهة نظر المقاربة الاجتماعية الثقافية حول فرضية وجود عوامل محيطية تؤثر في التفاعلات العلائقية " آباء- أطفال". كما بينت تأثير مجموعة من الميكانيزمات تتمثل في كلّ الخبرات المكتسبة من المجتمع، كذلك الحالة النفسية والاستعداد الروحي الخاص بكلّ فرد،

تؤثر كلا من الميكانيزمات في السلوكات والأساليب التربوية بتحويل هذه الصلابة التربوية من جيل لآخر عن قناعة وممارستها بإرادة المعتدي، هناك رابط صراعي بين التطبيقات التربوية المستدخلة اجتماعيا

وإرادة الآباء، تشمل التقبل العام لاستخدام الأساليب العقابية ومطابقتها للاتجاهات الثقافية الاجتماعية. أمّا عن تفسيرها بوجود تفاعل عوامل داخل الإطار العائلي وأخرى محيطية تتمثل في :

* **المحيط الاجتماعي** : من المتفق عليه أنّ العائلات ذات مستوى اقتصادي، اجتماعي (S.E.C) ضعيف هي الممارسة الأولى لظاهرة الاعتداء، فحضور طفل غير مرغوب فيه وغير مستقر بطريقة سوية داخل مشروع والدي بالإضافة إلى عامل الفقر يمكن أن يؤدي إلى سلوكات عنيفة.

* **العزلة الاجتماعية** : لقد اعتبرت العزلة الاجتماعية كواحدة من سمات العائلة المسيئة المعاملة تتميز بمحدودية الاتصالات مع العالم الخارجي والذّي يؤدي غيابها إلى الانطواء. هذا وترتبط العزلة الاجتماعية بغياب الدعم الاجتماعي فالانقطاع الدائم عن العائلة الموسعة والمجتمع يؤدي إلى نقص الدعم والتشجيع من المجتمع.

هكذا اهتمت مختلف النظريات بتفسير السيرورة الخاصة بسوء المعاملة اتجاه الطفل وانتقالها عبر الأجيال من خلال نماذج داخلية تؤكدّ علي العوامل الداخلية للفرد وأخرى خارجية تهتم بالعوامل المحيطية لهذه الظاهرة، حيث يترجم الاتجاه الطبيعي وجود قاعدة غريزية عند الإنسان يعززها بعاملين أساسين: يتعلق الأول بالسمات الفيزيولوجية للطفل والسمات الاجتماعية مع إهمالها للسمات الشخصية للوالد المعتدي، أما النظرية العصبية البيولوجية ذهبت في تفسيرها للاستجابات العدوانية إلى الجانب العضوي في تفاعل بين العوامل العصبية والوراثية والعوامل النفس– مرضية للفرد أمّا الجانب الاجتماعي والثقافي فقد أهملته بالرغم من تأثيره بصفة مباشرة على تبني هذه السلوكات في حق الطفل، مثلها النظرية التحليلية ركزت على ثلاثة عوامل أساسية فسرت نمط العلاقات الصراعية وانتقالها عبر الأجيال في شكل دورة فالاستثمار المرضي وغياب المشروع الوالدي في الطفولة يترجم في سن الرشد بشخصية مرضية، وهذا يظهر من خلال تقمصات وإسقاطات مرضية تؤدي بنفسها إلى إضطرابات في الاستثمار، ما ذهب إليه المحللين النفسانيين لا يقاس به على كلّ الحالات فليس بالضرورة أنّ الفرد المساء معاملته في

الطفولة سيصبح مسيء المعاملة عند تبنيه لدور والدي فيمكن أن يعيش الفرد تجارب وخبرات اجتماعية جديدة تسمح له بتعديل إطار وجوده.

هذا من الجهة الداخلية ومن جهة أخرى في النماذج الخارجية ركّز السلوكيين على ميكانيزم التعلم وخاصة في حالته المشوهة انطلاقا من الماضي الشخصي للوالدين وتعرضهم لخلل في سيرورة التعلم تمّ انتقالها عن طريق الملاحظة والتقليد بنفس سماتها التفاعلية السلبية مع وجود مثيرات أخرى محرضة كالخصائص الفيزيوليوجية للطفل، فسّر السلوكيين انتقال السلوكات بطريقة بسيطة دون إعطاء حجج و براهين قوية فسوء المعاملة لا تمارس بهذه السهولة بل ترجع إلى عوامل وميكانيزمات داخلية وخارجية جدّ معقدة .

أمّا النظرية الاجتماعية الثقافية فقد أعطت وزن للضغوطات الاجتماعية– الثقافية والظروف الاقتصادية كما اهتمت بالسمات الأساسية للطفل والسمات النفس مرضية للوالد المعتدي بيّنت التفاعل القائم بين العوامل الاجتماعية والثقافية والعوامل النفسية مثلا : سوء معاملة الطفل الخديج والإطار الاجتماعي، فالأمّ لها شك في قدرتها الأمومية (جرح نرجسي) على الجانب النفسي. والمحيط العائلي يدّعم ذلك باعتبار أنّ حملها على المستوى الاجتماعي الثقافي غير مؤهل فغياب هذا الدعم يخلق عند الأم ثغرات ما يؤدي بها إلى سوء معاملة الطفل، فاللعائلة دور كبير في خلق مكانة للطفل وإدخاله ضمن رغباتها ومشاريعها.

وأخيرا النظرية النسقية اعتمدت على مفهوم الأدوار، الطقوس والأنظمة كميكانيزمات أساسية في تفسير السيرورة الوظيفية فقد ركزت على وضعيات سوء المعاملة داخل الفوج العائلي كوضعية الطفل في الصراعات الزوجية أكثر من سمات الممارسين أنفسهم.

فلا يمكن تفسير هذه الظاهرة من زاوية واحدة طبيعية لوحدها أو نفسية أو تحليلية بل في تفاعل بينها، فالعدوانية سلوك فطري وغريزة إنسانية وحيوانية كما يقول الطبيعيين إلاّ أنّ توظيفها يختلف من فرد إلى آخر وهذا يرجع بنا إلى التنشئة الاجتماعية ابتداء من مرحلة الطفولة إلي سن الرشد والتّي تعزز بطريقة إيجابية أو سلبية فتصبح بهذا سوء المعاملة مكتسبة تعود ممارستها إلى توظيف ميكانيزمات جدّ معقدة النفسية منها، الثقافية والاجتماعية التّي تختلف من مجتمع لآخر وحتّى من محيط عائلي لآخر.

5- العوامل المساهمة في ظهور سوء المعاملة الوالدية :

إنّ سوء المعاملة الوالدية كظاهرة نفسية اجتماعية، تتأثر بمجموعة من العوامل أشارت إليها مختلف الدراسات، تتعلق من جهة بالطفل، ومن جهة أخرى بالوالدين، دون أن ننسى حضور عوامل أخرى ثقافية اجتماعية واقتصادية.

أ- عوامل تتعلق بالطفل:

مصطلح "L'Enfant cible" بوصفه الضحية له عوامل تؤهله لتبني هذا الدور، حسب Rouyer et Drouet ليس كلّ طفل مولود هو عرضه لسوء المعاملة بل يبقى وجود عوامل تفرض عليه أن يكون كاسفنجة لتفريغ رغبات وهوامات الوالدين.

ما أكدّته دراسة M.Soulé وفريقه وصفوا الوضعيات التّي يمارس فيها "La Pathologie du deuil" وصفه Freud بـ" عمل الحداد" كميكانيزم ضدّ ضياع الموضوع المحبّب من طرف الوالدين خاصة الأمّ في حالة موت طفل عزيز خلال الحمل يحرّض حالة إكتئاب حادّ تحس من خلالها أنّها مغزوة بإحساس سلبي يبقى الموت حاضر غير مستثمر والمولود الجديد يكون عاطفيا مهجور وفي بعض المرات خياليا هو مسؤول عن موت الشخص العزيز.(Angelino I, op.cit)

يتبنى كلا من الوالدين صورة مثالية ومشاعر إيجابية اتجاه طفل أحلامهم "المرغوب"، في حين ظهور معاكسة أمام صورة الطفل الحقيقي تنقلب المشاعر الوالدية وتظهر عدم القدرة على التكيف مع هذه الوضعية أين يستحيل عمل حداد خيالي كحالة :

- **<u>الطفل الخديج . L'Enfant Prématuré</u>:** تعاش الولادة المبكرة كصدمة من طرف الأمّ وحالة غرابة وغموض، هذه الوضعية تختلف عن المعاش النفسي لولادة عادية، أمّا الأب يظهر عدوانية اتجاه الأمّ لعدم إتمامها لحملها، وهكذا تسقط صورة الطفل الخيالي ويكون كضحية لهوامات ورغبات الوالدين. يعيش الطفل حالة من الحرمان الكيفي والكمي ترجع إلى :
  - إحساس بالإحباط والقلق وجرح نرجسي ناتج عن الإحساس بعدم الرضي والكمال.
  - الخوف من موته لولادته مبّكرا .

- الحرمـان الرمـزي وعـدم القـدرة علـى إدخـال الطفـل ضـمن رغبـات ومشـروع المحـيط العائلي.(Lebovici S , Diatkine R , Soulé M,1985)

- اضطرابات في التعلق "غياب الاتصال المبكر" وظهور أعراض إكتئابية عند الأمّ ليس بعد الولادة فحسب، بل على المدى الطويل خلال السنة الأولى من الحياة التيّ تعرقل الدينامية العائلية و تطور العلاقة أمّ- طفل.

هذا كلّه يرجع إلى ميكانيزم الحداد المبكر الذّي يحضر موت الطفل عوضا عن الاستثمار في الحياة و بهذا فشل إعادة الاستثمار يؤدي بموته في هواماتهم.

(Passin W.,Bydlowski M,1984,p173-177)

- **الطفل المعاق . L'Enfant handicapé** : إنّ حالة الطفل المعاق لا تختلف تماما عن حالة الطفل الخديج، فالإعاقة تعاش من طرف الوالدين كصدمة حقيقية تواجه بالإنكار وعدم القدرة على الاستثمار في الرضيع وجرح نرجسي يجعل منه ضحية لبناء صورة مثالية كان هو مخالفا عنها، فالإهمال يظهر من طرف الوالدين ذلك بالابتعاد عنه إلى غاية عدم إقامة علاقة سليمة أو صلة عاطفية وعدم ملاعبته وملامسته من طرف الأمّ، وفي حالات أخرى وضعه في مراكز لرعاية الأطفال

- **التوأمة . La gémellité** :الحمل بالتوأم يحرّض عند الأمّ هوامات الموت تخاف على نفسها أكثر من خوفها على موت الطفل، وتظهر سوء المعاملة في رفض أحد الطفلين والرغبة في تدميره و استعباده .

بالإضافة إلى حضور خصائص أخرى للطفل، كاضطرابات الأكل اضطرابات في النوم، هيجان، بكاء مستمر، طفل غير مرغوب فيه.(Brigitte C.R et al , 2001)

ب-سمات شخصية خاصة بالوالدين :

إن تحليل شخصية الوالدين ودراسة الماضي الطفولي سمح بتحديد بعض العوامل المتحكمة في ظهور سوء المعاملة :

- **حـالات الحرمـان وعـدم النضـج** : تتميز هذه الحالات بعدم النضج والحرمان، عاشوا في عائلات فوضوية تعاني من عدم الأمن المادي والعاطفي، إلاّ أنّ القاعدة النرجسية لهؤلاء الآباء غير مشبعة يمتلكون صورة هشة عن الذات وضعف تقديرها. فعدم الأمن والإحساس بالنقص يؤثر في العلاقات الموضوعية مع الآخرين، يعانون هم أنفسهم من حرمان قديم ونماذج دينامية مع آبائهم خلّفت ثغرات وفراغ نرجسي يبحثون عنه بشدّة من خلال إنجاب طفل كمصطلح يملأ نرجسيتهم ويشفيهم من جراحهم التّي لا يمكن التصريح بها حتىّ لأنفسهم، أمّا إذا عارض رغباتهم وحريتهم فيتعرّض لمختلف أشكال العنف.(Angelino I , op.cit, p10.11)

- **السيكوباتي :** يتميز الآباء السيكوباتيين باضطرابات علائقية مع المحيط، الاندفاعية والعدوانية عاشوا طفولة صعبة وحرمان وانقطاع يرجع إلى عدم استمرارية الإستثمار اللبيدي للأمّ وغياب دور الحامي والمنظم عند الأب لا يسمح له بالوصول إلى تنظيم أوديبي، اهتم بدراسته العديد من المحللين النفسانيين كـ G.Diatkine , R .Miss , Bergeret. (Rouyer M Drouet M ,op.cit , P125)

علاقة السيكوباتي مع الطفل متناقضة بين تقبّله إذا كان في حالة هدوء يملىء حاجاته العاطفية و سلوكات عدوانية إذا أظهر معارضة له.

- **تعاطي الكحول :** يعاني الوالد الكحولي من اضطرابات سلوكية وعلاقات إنسانية مضطربة تشمل عدم تكيفه مع الآخرين، والوالد المتعاطي للكحول كالسيكوباتي موضوع جشع في حاجة دائمة لإشباع رغباته مع ظهور القلق والاكتئاب، وتتمثل مواقف سوء المعاملة لدى الآباء الكحوليين في:
  - سلوكات عنيفة وعدوانية مع عدم التحكم الانفعالي.
  - تعرّض الطفل لكلّ أنواع الإهمال في غياب الرعاية الأمومية.
  - تذبذب العلاقة آباء– أطفال، فطفل الآباء الكحوليين له صورة مزدوجة بين صورة إيجابية عاطفية وأخرى عنيفة وحصرية.
- **الإدمـان علـى المخـدرات:** طفل الآباء المدمنين على المخدرات ضحية كطفل الآباء الكحوليين، يتعرض لكلّ أشكال الإهمال والحرمان العاطفي مع ظهور اعتداءات عنيفة، إلاّ أنّ ما يميز طفل هذا

النمط من الوالدين عن غيره هو استثماره في مشروع والدي يأخذ مكان المخدرات وإمكانية الشفاء من تعاطي السموم.

- **مظهر السواء :** يتعلق الأمر بآباء مسيئين المعاملة يظهرون كأفراد أسوياء، متكيفين في أماكن العمل ويعطون دروس أخلاقية ومبادئ تربوية في الخارج، إلاّ أنّهم يتبنون سلوكات عنيفة اتجاه أطفالهم تسميه «La violence froide » Angelino (2004) يشمل فرض أساليب تربوية جدّ صارمة كالسيطرة على الطفل وعدم الاعتراف بحاجاته، حرمان عاطفي وسوء معاملة جسدية ونفسية حادّة ومتكررة، ظهور ميكانيزمات خوافية كحالة Ellena وإخفائها للمولود الجديد قصد حمايته من الميكروبات وربط الطفل الأول ذو سنتان برجل الطاولة حتّى لا يمشي ولا يصاب.

- **الذهان :** يكوّن عامل الذهان بكلّ أشكاله خطر في ظهور سوء المعاملة اتجاه الطفل، كذهان النفاس وتعرض الرضيع لخطر الموت نتيجة هذيانات أمّه، فقد وصف في هذا السياق P.L Racamier اضطرابات الأمومة والتجاذب الوجداني عند الأمّ بالنسبة للطفل الذّي يحيي الخبرات الأولى مع أمّها.
  - ظهور سلوكات غير مكيّفة اتجاه الرضيع بين الميل للاندماج وحركات الرفض والإنكار والهجر كحالة Esther تحدّث عنها Winnicott رمتها أمّها بالحفرة ، فالأمّ لها اندماج مع الفتاة وبحاجة إلى التميز عنها.

وهكذا فالآباء الذهانيين يظهرون سلوكات عنيفة داخل عودة الهذيان، لكنّ خارج هذه الفترات تكون لهم صلة جيّدة مع أطفالهم، وفي هذه الحالة يكون الطفل ضحية للإهمال وعدم استمرار الرعاية بصفة دائمة.(Rouyer M ., Drouet M, op.cit, p132-134) .

- **العته :** إنّ العته كعامل في ممارسة سوء المعاملة برز منذ وقت طويل كالكحول والأمراض العقلية، فطفل الوالد المعتوه يعاني من الحرمان بمختلف أشكاله: جسدي، غذائي، عاطفي بالإضافة إلى اتسام هؤلاء الآباء باضطرابات في الطبع ومعارضة لكلّ تدخلات المصالح والخدمات الاجتماعية.

بالإضافة إلى عوامل اقتصادية واجتماعية :

- كعدم الاستقرار العائلي : الصراعات الزوجية، التفكك الأسري، أسر ذات والد واحد.

- العزل الاجتماعي وغياب التفاعل الذّي يضعف بدوره الدعم والمساندة الانفعالية والاجتماعية (بدرة معتصم ميموني، 2003).
- انخفاض المستوى الاقتصادي: البطالة، الفقر ....

وهكذا تبقى هذه العوامل النفسية، الاقتصادية والاجتماعية، كذلك السمات الخاصة بالطفل والوالدين في تفاعل فيما بينهما تؤدي إلى سوء المعاملة، فالعنف يمكن أن يظهر من جانب أشخاص أسوياء وأكثر اندماج اجتماعي كما ينجم أيضا عن أفراد يعانون من اضطرابات عقلية ونفسية، فالاختلاف يكمن في طريقة ممارستها كنمط مكتسب يرجع بنا إلى ثقافة المجتمع كما في حالة العنف التربوي والتاريخ الشخصي والعائلي الخاص بكلّ فرد.

6- آثار سوء المعاملة الوالدية على الطفل :

لسوء المعاملة باختلاف أشكالها آثار حادّة ومزمنة على التطور النفسي العاطفي والجسدي للطفل هذا بظهور إضطرابات نفسية جسدية، صدمات وإحباطات، إضطرابات سلوكية تعبّر عن المعاناة النفسية الداخلية، سواء على المدى القصير أو البعيد.

❖ الاضطرابات النفس جسدية :

يعتبر الجسد وسيلة كلامية يعبّر بها الطفل عن وضعيات الإحباط العاطفي والمعاناة النفسية الداخلية في غياب الوظيفة الرمزية، رسالة الطفل المساء معاملته لا ترجع فقط إلى آلام ناتجة عن الضرب والتعذيب بل كذلك عن الحرمان وإضطراب العلاقة الوالدية. هذه العلاقة لها دور هام في الاستثمار اللبيدي للجسد ككلّ، الرضيع في علاقته البدائية مع الأمّ يكوّن ما يسميه D.Anzieu " الأنا الجلدي"، يشكل التفاعل العلائقي ركن دفاعي يساهم في تحقيق التوازن النفسي الجسدي للطفل.

إلاّ أنه في حالة عدم التوازن بين حاجات الرضيع والرعاية الأمومية تنتج استثارة مؤلمة تستثمر مبكرا في جسده، يمكن أن تؤدي به إلى العيش بجسد مريض يعبر عن آلام داخلية وعلاقة غير متوازنة .

وهنـا نعـرض مجموعـة مـن التظـاهرات الـنفس–جسـدية : كـالقهم العقلـي، إضـطرابات النـوم، التبـول اللاإرادي... وغيرها التي تفسر إضطراب العلاقة الوالدية ونقطة تثبيت العدوانية.

*** القهم العقلي :** يتعلق برفض كلّي أو جزئي للأكل دون أي سبب عضوي، وهذا يرجع إلى إضطراب العلاقة أم– طفل، وتعرف في شكلها " الشاذ" أو المعقد بصراع بين قوتين، رفض الطفل وإجبار الوالدين على الأكل باستعمال القوة والعنف إلى غاية ترك آثار جسدية ونفسية تحتاج إلى تكفل سريع وطويل.

***إضـطرابات النـوم :** تشـمل الأرق كعلامـة لمعانـاة الطفـل يمكـن أن يـرتبط كمـا وصـفه kreisler باضطرابات عضوية، إضطرابات توجيه النوم أو إضطرابات نفسية عاطفية.
(Kreisler L,Fain M,Soulé M,1974,p72) كذلك عدم توافق الوالدين أو إتبّاع أسلوب صلب في التنشئة الاجتماعية، فالأرق المبكر عند الطفل المساء معاملته يرجع غالبا للإهمال وعدم استقباله لرعاية متوازنة لها علاقة بسوء التغذية أو مرتبط باثارات جلدية كنقص النظافة أو الشعور بالبرد، كما يترجم في حالات أخرى إضطراب علائقي عند الطفل وخاصة منها العلاقة العاطفية.

*** آلام ذات أصل وظيفي:** تظهر غالبا عند الأطفال المساء معاملتهم، تدّل على وجود آلام بطنية ، التهاب سحايا، لكن دون أي أسباب عضوية تفسر هذه الأعراض. تعود لإزاحة الأمّ للقلق والمعاناة النفسية علي الطفل بعرضه الدائم للفحص والعلاج، هذه المواقف الذهانية والشاذة المسيئة وصفها الباحثون بتناذر Munchausen تحدثنا عنه سابقا.

*** التبـول والتبـرز الـلاإرادي:** يمثل كـلا من التبول والتبرز الـلاإرادي علامـة لحرمـان عـاطفي وتربـوي. إضطرابات علائقية تخفي عند الوالدين مشاعر عدوانية حصرية واضطهادية تؤدي إلى سلوكات قمعية والمرور إلى الفعل السادي. يعبّر بها الطفل جسديا كاستجابة للمحيط العائلي المرضي والنقص العاطفي.

*** الإكزيمـا :** هـي إصـابة جسـدية تتعلـق بحساسـية جلديـة مفرطـة، كشـاهد عـن الانفعـالات والحركـات الاكتئابية لا تظهر فقط لدى الأطفال المحرومين بل حتّى المساء معاملتهم فالاتصال مع الوالدين يميزه الحصر، الرفض، وحالات إكتئابية تؤدي إلى نشأة الأمراض.

أشار العديد من الباحثين إلى عناية أمومة تتميز بالحصر والقلق الظاهر تغطّي عدوانية لا شعورية مكبوتة، غير مرضية لحاجاته حلّلها كلّ من Spitz و Williams كلمس طفلها ومداعبته خلال الأشهر الأولى (Spitz R , op.cit,p181.185)

*** التقزم النفسي : Le nanisme psychogène ou psychosocial**

يتمثل في توقف أو انخفاض الوزن، ويظهر كعرض مرضي ناتج عن رفض وكره الأمّ للطفل فدراسة المحيط العائلي المنتمي إليه يكشف عن رفض حقيقي ككبش فداء وموضوع مضطهد، مخيب للآمال نتيجة حمله لتشوهات إعاقة أو خديج مع شخصية أبوية مرضية في بحث عاطفي ونرجسي ينتظرون من الطفل الفهم، واحد من الأطفال الضعيف فيهم يكشف عن صراعاتهم.

(Lebovici S, Diatkine R , Soulé M , op.cit)

ويرجع إلى أمّ مكتئبة، متخلفة عقليا أو ذهنيا، عموما العنف داخل التفاعلات العائلية والاضطرابات العلائقية يؤدي إلى تقزّم نفسي.

❖ **الاضطرابات السلوكية :**

إنّ التطور النفسي العاطفي للطفل المساء معاملته جدّ مضطرب نتيجة تعرضه لمختلف أنواع الإيذاء والإساءة. فقد وصف الباحثون من خلال ملاحظاتهم جدولا خاص بالرضيع المساء معاملته " كالحذر المتجمد" , " la vigilance gellé " يتمثل في ظهور تجمد لملامح الوجه وإبقاء العينان لمراقبة حركات الراشد دون إعطاء إحساس للملاحظ أنّه في حصر قلق واضطهاد ويمكن استمرار هذه السلوكات لأشهر عديدة . كما لاحظ أيضا كل من F.jardin وD.Girodet على الرضع إدماج مبكر للعنف و العدوانية كطريقة اتصال يومية مع أمهاتهم. يظهرون غالبا توتر مفرط وحصر إذا تمّ الاقتراب منهم .تشكل هذه العلاقة الأمومية خطر على حياته وتطوره يشعر أنّها إختراق وخطر علي تكوين أنا منظم (Drouet M.,Rouyer M,op.cit,p70).

- تطور وتكوين صورة ذات مزيفة فالمظاهر العاطفية اتجاه آبائهم هي وهمية كوسيلة لعدم تجسيد العنف الأبوي، هذا السلوك يخفي فقر في العواطف برودة ولا مبالاة ، هذا الفقر في الحياة الانفعالية يدل على سيادة " أنا زائف" .

- عدم الاستقرار الحركي، الهيجان، الصراخ، البكاء، الضحك. انفعالات لا يمكن السيطرة عليها كعلامة لقلق وحصر عند الأطفال.

- في الحياة الاجتماعية هناك دراسات أثبتت أن الطفل المساء معاملته له صعوبات في بناء و تأسيس علاقات اجتماعية، يكون عدواني مع أقرانه والمحيط الخارجي فكلّ أنواع الاعتداء تصبح نمط حياته يستقبل العالم كمكان خطير وعنيف يترجم سلوكات الآخرين كإعتداء في حقه.
(Pahlavan F,2002)

- الحاجة للعقاب حسب(1986) Drouet: التركيبة المازوشية نجدها عند الطفل الذي له ميول تحريض العقوبة وذلك بعد المعارضة السلبية للراشد.

- ضعف تقدير الذات والشعور بالنقص وخجل مرضي.
- خواف – إنطواء حول الذات.
- صعوبات في الاستثمار المدرسي وضعف التركيز مع اضطرابات لغوية وعلائقية .
- العزل الاجتماعي والعلائقي خاصة مع الدخول المدرسي. يظهر الطفل تصدي للعالم الخارجي ونقص في الاتصالات الاجتماعية (Pahlavan F, op.cit) .

❖ **الصدمة :**

من الصعب إعطاء تعريف للصدمة في حالة الطفل المساء معاملته. تظهر بمفاهيم متعددة حسب نوع الاعتداء، فعلي المستوى الطبي يشمل الاعتداء الجسدي وجود كدمات وإصابات أمّا على المستوى النفسي فتدخل في نطاق واسع من الحرمان والإحباطات والفراق. حسب P.Greenacre الطفل خلال الأشهر الأولى من الحياة في حالة تبعية للراشد لا يمكن له تكوين وإعطاء مفهوم للصدمة ، بل يعاني من خوف ومعاناة نفسية غير مقبولة تهدّد هويته.

فالصدمة تقوم على مرحلة النضج التّي يكون فيها الطفل، مدّتها، طبيعتها ودرجة تقبلّه للاعتداءات الداخلية والخارجية وحتّى العوامل التكوينية. هذا على المدى القصير أمّا على المدى البعيد فآثارها تتمثل في :

1. ظهور اضطرابات نفسية كالخواف: الخوف من الخروج للعالم.
2. ترجمة رؤية الآخرين كتهديد ورغبة في الاعتداء. الشعور بالذنب.
3. اضطرا بات جنسية: برود جنسي، جنسية مثلية (Haeseovoets y.H,op.cit) .
4. إجهاد ما بعد الصدمة (sspt) بإحياء الأحداث في اللعب، الأفكار، الأحلام.
5. أفكار وميولات انتحارية.
6. تعاطي الكحول والمخدرات.
7. الانحراف، الإجرام ...

بالرغم من أنّ الآثار الناجمة عن سوء المعاملة الوالدية تختلف وفقا لطبيعة ودرجة ممارسة هذه السلوكات إلاّ أنّها تكون في كثير من الأحيان خطيرة ومدّمرة سواء على المدى القصير أو البعيد.

7- واقع سوء المعاملة بالجزائر:

- **مفهوم سوء المعاملة وعلاقته بمبادئ التربية:**

مثل كلّ المجتمعات تعتبر الجزائر واحدة من البلدان الممارسة لظاهرة سوء المعاملة بالرغم من امضائها في الاتفاقية العالمية لحقوق الطفل إلاّ أنّ كلّ من مصطلحات الإهمال والاعتداء بأشكالهما كانت ولا زالت موجودة في أغلبية العائلات الجزائرية علي علاقة مباشرة بمبادئ التربية والتنشئة الاجتماعية للطفل.

يقال إنّ: طفل العائلة المعاصرة هو طفل " ملك" صحيح أنّه مع دخول عناصر التحديث تغيّرت تركيبة العائلة الجزائرية في أدوار أفرادها ووظائفها خاصة الاجتماعية منها. تحديد النسل ودخول المرأة عالم الشغل إلاّ أنّ هذا لاينفي زوال هذه الظاهرة فقد اتخذت حاليا أشكالا أخري.

تعتبر ولادة الطفل منبع سعادة الوالدين خاصة إذا كان الأوّل "ذكر" يحظى باهتمام العائلة الكبيرة بالنسبة للأب كشاهد عن رجولته أمّا الأم عن كمالها النرجسي وإتمامها لوظيفتها البيولوجية. في البداية يستفيد الطفل من حقّ المعيشة، الصحة والعاطفة.... إلاّ أن هذه الرعاية تختلف من عائلة لأخرى، خاصة في حالات مخالفة الطفل للصورة المثالية المطابقة في فكر الوالدين ممّا ينجم عنها اضطراب في العلاقة الثنائية أمّ- طفل كشكل مخفي من سوء المعاملة.

وتختلف معاملة الأمّ عن الأب، فدور الأمّ يتمثل في الرعاية اليومية (أكل، شرب، لباس....) و العاطفية منها، أمّا الأب يتمثل دوره في اللعب، حمل الرضيع ورجّه، رميه في الأعلى... كلّها أساليب تربوية خاطئة وسوء معاملة للطفل ما سمّاه Caffey "بتناذر الرضيع المرتج"

الحبو، الجلوس، المشي،.....كلّها خطوات أولي للطفل نحو الحرية وحبّ الاكتشاف لسدّ حاجاته المعرفية إلاّ أنّها قد تصادف بقمع وإساءة من طرف الأمّ خاصة كونها المرافق الدائم له كربطه، ضربه..... كلّها أساليب مسيئة مبررة من طرفها بضرورة قضاء حاجاتها وواجباتها المنزلية. هذا من جهة ومن جهة أخرى إهماله المطلق بتركه دون مراقبة واستدخال للمحرّمات ما يعرّضه لخطر الكهرباء، النار، الماء الساخن.... هذا ما تكشف عنه المستشفيات الجزائرية في مصالح المحروقين بنسبة 96 %من الأطفال المحروقين نتيجة الإهمال. وفي نفس هذه المرحلة يتساءل الطفل عن مواضيع تخصّ الجنس، الوجود يصادف غالبا بإجابات قمعية وصدمية، هذا ان كانت هناك إجابة فغالبا ما يسكت الوالدين الطفل بقولهم : " أسكت علينا ، تسال بزاف". يبقي في ظمأ وتقمع تلك الرغبة القوية في حبّ المعرفة.

تعدّ الخمس سنوات الأولي قبل الدخول المدرسي هي القاعدة الأساسية لتنشئة الطفل واستدخال مبادئ وقواعد المجتمع قد يتعرّض خلالها الطفل لكلّ أنواع الاعتداء كالضرب بالسوط، العصا، الخنق،الحرق كانت في السابق ممارسة بدرجة كبري وقد حلّت اليوم مكانها أساليب يدوية كالركل، الضرب باليد، العض...كلّها مبادئ تربوية مقبولة في مجتمعنا بالإضافة إلي الإهمال والإيذاء النفسي واللفظي بقولنا عبارة :" أنا نرّبي فيه".

إذن سوء المعاملة يعتبر كمفهوم يقوم عليه السلطة الأبوية في الخلية العائلية ينجم عنه آثار جسدية وأخري نفسية ثابتة طيلة الحياة، واضطرابات سلوكية غالبا ما يتساءل عنها الأولياء وهم العامل الأساسي في خلقها.أغلبيه الآباء يعتبرون هذه المنهجية في التربية كأفضل طريقة لتنشئة الطفل ما تؤكده جريدة الأصيل بتاريخ 11جانفي 2011:" أنّ 80% من الأولياء الجزائريين هم جدّ عنيفين في تربية أطفالهم".

ترديد جملة: " أنا نربي فيه" هي إجابة الوالدين دون سؤال عن موافقة هذا النمط التربوي مع شخصية الطفل، العمر، أو مع المبادئ الدينية والأخلاقية والقانونية التّي تحكم المجتمع، فهناك خلط واضح بين التربية وسوء المعاملة فوضع الطفل في إطار تربوي تحكمه قوانين ومبادئ أخلاقية علي

عكس صرامة هذه المبادئ وتكرارها بحرمانه، استعباده وعدم احترام ميوله وحاجاته ..... هي عدوانية وقمع اتجاه الطفل.أمام نقص الوعي والصمت من مختلف هياكل المجتمع (التربوية، القضائية، الطبية) زاد من حدّة الظاهرة حتّي أنّ الطفل يرفض الاعتراف للمعلم أو الطبيب أو القاضي خوفا من الوالدين باعتقادهم أنّه ملكية خاصة بهم. هذه الملكية الجوهرية أضحت اليوم لا قيمة لها.

- **وضعية الطفل بالجزائر:**

وضعية الطفولة بالجزائر تعرف واقعا مريرا نتيجة الاعتداء والاستغلال بأ بشع الطرق، كبت و معاناة نفسية صامتة في ظلّ غياب وسائل وطرق للتعبير.علي الرغم من إمضاء الجزائر في الاتفاقية العالمية لحقوق الطفل علي المادة 19 تقول:" يتخذ الدول الأطراف جميع التدابير التشريعية الإدارية والاجتماعية الملائمة لحماية الطفل من كافة أشكال العنف والضرر أو الإساءة البدنية أو العقلية أو الإهمال أو الاستغلال بما في ذلك الإساءة الجنسية وهو في رعاية الوالد أو الوصي القانوني عليه أو أي شخص يتعهد برعايته"، وانضمامها إلي مناصرتها منظمة اليونيسيف التّي تحتفل بعيد الطفولة في الفاتح جوان من كلّ سنة. وعلي الرغم من عدم إهمال قانون العقوبات الجزائري لظاهرة سوء معاملة الطفل و تضمنه علي نصوص ومواد عقابية تخص مرتكبي هذه الجرائم المخلّة بالكيان الإنساني، باعتبارها جرائم تمسّ السلامة الجسدية ما حددته المادة330 ق ع ج والمادة337 (مكرر) فيما يخص حالة الفواحش بين ذوي المحارم .

لكن التساؤل المطروح: هل حقوق الطفل بالجزائر ....حقيقة أم خيال؟

مختلف الجمعيات الجزائرية تدّعي مناضلتها عن حقوق الطفل إلا أنّها قليلة فأغلبيتها تختفي وراء الشعارات المزورة لقضاء مصالحها الخاصة، لا تخدم مصالح الطفل فنشاطاتها موسمية لا يليق بها الاّ شعار " جمعية الطفل الغائب طيلة السنة والحاضر القوي في الفاتح جوان" هذا ما جعل الجزائر موضع انتقاد من طرف منظمة اليونيسيف حيث أقرّ "مانويل فونتين" عن زيادة نسبة الأطفال الموتى بالجزائر.

استغلال الطفل : سوء التغذية، العمل (بيع السجائر، الفول السوداني، الأكياس لإكمال الدخل العائلي)، الاستغلال الجنسي بتخصيص بيوت للدعارة، الإهمال وترك مقاعد الدراسة، الإيذاء النفسي، الهجر، الاختطاف، القتل .... هي يوميات الطفل الجزائري، توضح هذا جريدة الشروق بتاريخ

(22 نوفمبر 2010) تعرّض 7 آلاف طفل جزائري للاعتداءات الجنسية :80 % منها يتعلق بزنا المحارم، كما تعرّض 50 ألف طفل للضرب والاستغلال الدعارة والمتاجرة بالمخدرات في سوق العمل ويعاني 20 ألف طفل من التشرد في الشوارع، أرقام سوداء لواقع البراءة كشفت عنها الهيئة الوطنية للترقية الصحية و تطوير البحث في يوم تقييمي لحقوق الطفل بالجزائر. ومن الجرائم التّي تحتل مركزا أوليا بالجزائر أمام ثقافة الصمت السائدة جرائم الاغتصاب حيث تسجل الجزائر سنويا ما لا يقل عن 5000 طفل تعرّض للاعتداء الجنسي والذكور هم الفئة الأكثر استهدافا .

وقد أكدّت مختلف الأبحاث كدراسة الأستاذة عبود(2007) حول "آثار العنف الجنسي علي صورة ذات الطفل الجزائري" معاناة 10.000 طفل جزائري كلّ سنة من سوء المعاملة داخل الإطار العائلي منهم 2999 ضحية للاعتداءات الجنسية والتّي تنجم عنها آثار جدّ ضارّة علي التطور الجنسي وتقدير الذات التّي تقود بذاتها إلي الإدمان، الدعارة، الاكتئاب.....ووضحّت الصمت الدائم للعائلات أمام هذه الطابوهات خوفا من العار ممّا زاد تفاقم الظاهرة فقد سجلّت في مصلحة الطّب الشرعي بقسنطينة ما بين(1984–1986) 65 حالة اعتداء جنسي معلن عنها، ومن (1987–1991) 383 حالة وما بين (1999–2000) 318 حالة اعتداءات جنسية. وفيما يخص الاعتداء الجسدي دراسة الأستاذ كربوش (2001) حول:" سوء المعاملة الجسدية وعلاقتها بالمعاش النفسي للطفل الجزائري" يوضح فيها ممارسة الاعتداء الجسدي كطريقة تربوية في حق الطفل حيث أدمجت الوحشية والعدوانية داخل العلاقة الثنائية " راشدين – أطفال" كشكل اتصال ضمني انعكست سلبا علي المعاش النفسي للضحايا، وزيادة عدد الضحايا لعدم شكواهم علي الراشدين. لهذا فقد بادرت شبكة "ندي" المؤسسة في 2004 للدفاع عن حقوق الطفل بفتح الرقم الأخضر 3033 برنامج" نحن في الاستماع" الذّي استقبلت فيه 7342 اتصالا يؤكد رئيس هذه الشبكة السيد" عبد الرحمان عرعار" علاج 335حالة منها. أمّا ما بين (2008–2010) فقد سجلت 1359حالة اعتداء جنسي من بينهم 781 فتاة، 374 حالة سوء معاملة، 17 مراهق ضحية قتل عمدي و17 أخري ضحايا اختطاف.

احصائيات الأحداث الضحايا لسنة 2010 وبداية 2011 بولاية قسنطينة:

نوع الاعتداء / الفترة	**الاغتصاب**	**الفعــل المخــل بالحياء**	**الاعتـداء الجسدي**	**العنـــف العمدي**	**ســـوء المعاملة**	**الاختطاف**	**القتـــل العمدي**
مـــن جـــانفي 2010الـــي ديسمبر 2010	00	29	10	148	18	00	01
من جانفي2011 الي جوان2011	00	13	08	66	06	00	00

وهكـذا يبقـي المجتمـع الجزائـري مجتمـع لا يحتـرم الطفولـة، وهـذه الإحصـائيات لا تكشـف عـن الحقيقة المطلقة لسوء المعاملة كون أنّها ليست سوي حصيلة لعينات استطلاعية وهذا لغياب المنظومة القانونية بالرغم من وضع المشرع الجزائري لمواد تخص الحماية القضائية للطفل من مختلف الاعتداءات الممارسة عليه، إلاّ أنّ ميكانيزمات تنفيذها أمر صعب يرجع لثقافة وتركيبة المجتمع الجزائري التّي تحول دون الإفصـاح عـن الجـرائم المرتكبـة فـي حـقّ الطفولـة ابتـداء مـن الجيـران، الأطبـاء، المعلمـين..... و مختلف هياكل المجتمع، فالجزائر تعرف فراغا قانونيا لم ينزل إلي أرض الواقع في مجال الطفولة.

وأخيرا يبقي لمصطلح سوء المعاملة الوالدية مفاهيم تتمايز من مجتمع لآخر حول الأساليب التربوية المستعملة داخل ثقافة معينة، كارتباط العقاب الجسدي في المجتمع الجزائري بالمبادئ التربوية . وعلي الرغم من هذا الاختلاف إلاّ أنّ أنواعها واحدة تمارس بدرجات متفاوتة على الصعيد الجسدي، النفسي العاطفي والجنسي لها آثار خطيرة على المدى القصير أو البعيد من اضطرابات سلوكية أمراض

بسيكوسوماتية، اضطرابات نفسية وجسدية تؤثر بطريقة حادّة على التطور النفسي العاطفي والجسدي للطفل، ممارسة إلى يومنا هذا تمس جسده، كيانه وكماله النرجسي وصورته الذاتية وهذا ما سنوضحه في الفصل التالي الذّي يحمل لنا مختلف المفاهيم المتعلقة بالذات كمفهوم الذات، صورة الذات وتقدير الذات.

يعتبر مفهوم الذات من الأبعاد المهمة في الشخصية الانسانية التّي لها أثر كبير في سلوكات الفرد وتصرفاته، يعرف بالفكرة التّي يكوّنها الشخص عن نفسه من خلال تعرّضه لخبرات الحياة بكلّ سلبياتها وايجابياتها. تنمو وتتكوّن الذات نتيجة الخبرات التّي يمرّ بها الطفل في تنشئته الاجتماعية انطلاقا من اللحظة الأولي التيّ يبدأ فيها باستكشاف أجزاء جسده وتفاعلاته العاطفية مع الوالدين، فسّر هذا المفهوم العديد من العلماء من جوانب مختلفة : فردية، تحليلية، اجتماعية... نوضّحها في هذا الفصل.

1- تعـريف مفهـوم الـذات :

يعدّ مفهوم الذات واحد من المفاهيم الأساسية المدروسة حاليا، إلاّ أنّ جذوره تعود إلى الفيلسوف W.James (1980) الذّي يعرّف الذات: كموضوع معارف وتقييم لأنفسنا وكبنية تنفيذية لأصل أفعالنا و أفكارنا، وقد قسّمها إلى الذات المادية يشير بها إلى حياتنا النفسية، الذات الروحية مرتبطة بالقدرات العقلية والذات الإجتماعية تشمل كلّ تمثيلات الأفراد على الشخص وتمثيلات هذا الشخص على هؤلاء الأفراد. (Gosling P.,Ric F,1996,p.8)

أمّا Legendre (1993) يشير إلى أنّ مفهوم الذات هو مجموعة الادراكات والمعتقدات المرتبطة بتمثيل الشخص لنفسه، وقدرته على إنجاز مهمة ما، وحتى المواقف الصادرة عنه. وهذا التمثيل العام للشخص يطوره بنفسه ويبني من خلال الخبرات اليومية والمقارنة بما فعل بين الذات والآخرين. (Fortune .L ., Mongeau.L ,2002,P36)

ويركز Rogers (1951) أيضا علي أنّ مفهوم الذات هو مجموعة إدراكات ذاتية منظمة و مقبولة بالوعي.(L'Ecuyer,1978,P14). ويقصد كلا من victaro et paradis بمجموعة الادراكات المنظمة: أنّها التمثيل العقلي لسمات الشخص كنزعاته، ثغراته ومؤهلاته في مختلف الميادين، مبادئه و مظهره الجسدي أي كما يرى الشخص نفسه وكيف يمثلها.(Dederix J , 2010, P61).

وهناك من الباحثين الأمريكيين كـ Tomé (1972) , Baldwin (1987) , Mead (1951) . (Lécuyer R, op.cit , P17) اعتبروا الذات كبنية اجتماعية تستمد أصلها من الخبرة الاجتماعية، و بهذا "فمفهوم الذات" بالنسبة لهم معادل "للذات الاجتماعية".

وأخيرا انطلاقا من مختلف التعاريف نقول أنّ مفهوم الذات هو الطريقة التّي يدرك بها الشخص ذاته سواء إيجابية أو سلبية، من خلال نظرته لنفسه وتفاعلاته الاجتماعية مع الآخرين، ومجموع هذه الادراكات الذاتية غير ثابتة بل قابلة للتعديل والتغيير. ويبقى مفهوم الذات أعمق من هذا، هو مفهوم معقد يكتنفه بعض الغموض يتطلب التوضيح انطلاقا من التمييز بين L'ego و Le Self والتقارب بين المصطلحات الأوروبية والأمريكية كالوعي بالذات، إدراك الذات، صور الذات ...

ميز الباحثين وجهان مختلفان لظاهرة الذات: يتعلق الأول بالمظهر الإدراكي والآخر بالمظهر النشيط، تشير الذات / Self إلى المظهر الإدراكي في طريقة إستقبال الفرد للمواقف، الأحاسيس الادراكات، وتقديرات الفرد لتجاربه، أمّا الأنا/L'ego يتعلق بالمظهر النشيط الذّي يشمل الفكر، الذاكرة ، الاختبار والدفاع على الشخص لتعزيز تكيفه. والبعض يظن أنّ الذات والأنا متساويان كوحدة كلية ويظهر هذا في استعمالهم لكلا من المصطلحين في كتبهم كمفهومين ذو معنى واحد.

أمّا البعض من الباحثين الأوروبيين حسب L'Ecuyer على اهتمام بالمظهر الدينامي والتحليلي على الإصطلاحي، كوّن أنّ هناك مصطلحات متعددة لمفهوم الذات تتعلق بصورة الذات، إدراك الذات، تمثيل الذات، الوعي بالذات هذه الاهتمامات تبحث بالدرجة الأولى عن مراحل تنظيم الذات الضرورية لبنائها تتمثل الأولى في الوعي بالآخر والذات بعد حالة اللاتمايز: يبنى الطفل الوعي بذاته من خلال الاتصالات المتعددة والخبرات الحسية، الحركية .... مع الآخرين. يؤكد wallon (1992) أنّ الوعي بالآخرين يأتي قبل الذات. أمّا Dodson يخالفه الرأي يري أنّ مفهوم الذات يتشكل قبل أن يفتح الرضيع عيناه. هذه الفكرة ل Wallon عززت من طرف باحثين أروبيين كـ :Perom و Tomé وضحوا دور الآخر في تطور الوعي بالذات يمثل سيرورة التمييز بين الأنا و اللأنا (الذات و اللاذات) .

تتعلق البنية الثانية بالمرور من الوعي بالذات إلى صورة الذات، تتطور هذه الصور تدريجيا من خلال الصورة الجسدية، التصميم الجسدي الذّي يعرف كتمثيل كلّ فرد عن جسده ويسمح بتكوين فضاء خاص به عند أول رؤية لجسده وصورته في المرآة تمثل مرحلة هامة في بناء صورة الذات. يبين Lacan الدور الأساسي للجسد في بناء صورة الذات عند الطفل ما سمّاه بالمرحلة المرآوية. هذه المرحلة بين 6 و 18 شهرا خلالها يتعرّف الرضيع على صورته في المرآة ، يكتسب إحساس بالوحدة الجسدية ويكشف أنّه فرد يفترق عن الآخرين .

أمّا المرحلة الثالثة تتعلق بالانتقال من صورة الذات إلى تمثيل الذات بكلّ الادراكات وصور الذات أو الأنا ترتبط تدريجيا وتكوّن كلّ متكامل ومتماسك ينجم عنه إحساس عميق بالهوية، إنّه تمثيل الذات يظهر تدريجيا .

وأخيرا من تمثيل الذات إلى الوعي بالذات تنتظم مختلف التمثيلات العامة للذات وتبني علاقات وروابط متشابكة، متكاملة وعميقة تؤسس بين مختلف الإدراكات، الصور وتمثيلات الذات هذا ما يعطي مكان لظهور إحساس عميق بالوحدة، الإستقرار، الصفاء يسمح للفرد بمعرفة ذاته ومقارنته بالآخرين .

وبهذا يعرف مفهوم الذات كبينة متعددة الأبعاد مركبة من بنيات أساسية تغطي كلّ واحدة منها أجزاء محددة للذات لها مظهر دينامي، تطوري، تنظيمي وللذات جانب شعوري يسمّى بالذات الظاهرية و آخر لا شعوري سمّاه الأمريكيين بالذات اللاظاهرية.

2.مظاهر مفهوم الذات:

هناك العديد من الباحثين من ركزوا على المظهر المتعدد الأبعاد وعلى التنظيم الهرمي لمفهوم الذات من بينهم Lécuyer (1978) يحدد :" أن مفهوم الذات هو منظمة هرمية لمجموعة من الإدراكات تغطّي المظاهر المختلفة خلال طريقة إستقبالها من طرف الشخص" (Vian R,1994,P) هذا المفهوم يتميز بعشرة خصائص حددها L'Ecuyer (1990) في كتابة " Methodologie de l'analyse developpementale de contenu " تشمل مايلي :

1. تشكل الذات حقيقة تجريبية (Rogers 1951, James 1980)
2. يتأثر بالمحيط الاجتماعي (Tomé , Ziller , Cooley, Mead)
3. يحمل تنظيمة معرفية (Pelletier 1971 , Lynch1985)
4. هو نظام معقد متعدّد الأبعاد .
5. له تنظيم هرمي ينتظم تدريجيا حول كلّ متماسك ذو بيانات خاصة بالمناطق الكبرى لتجربة الذات كلّ واحدة تعطي أجزاء أكثر تحديد (بنيات تحتية تنقسم بدورها إلى فئات)
6. يتكوّن من مجموعة من الأبعاد لها درجات وأهمية متمايزة .
7. يحمل سيرورة للبروز وتنظيم تدريجي من بسيط إلى معقد.
8. له مظهر نشيط وتكيفي يتميز بطابع دفاعي حسب طبيعة الادراكات.

9. له سيرورة تطورية.
10. وأخيرا مظهر تمييزي، وهنا نعرض هذه المظاهر بشيء من التفصيل.

- **المظهـر التجريبـي:** ويقصـد بهـذا المظهـر أنّ مفهـوم الـذات كحقيقـة تجريبيـة، يتكـوّن مـن مجموعـة إدراكـات وخصـائص شخصـية معاشـة يحـسّ الفرد كأنّهـا جزء منـه مـا يسـميها البعض بالتركيبـة الانفعالية أو العاطفية لمفهوم الذات.

- **المظهـر الاجتمـاعي :** هو مجموعـة مـن الإدراكـات التـي يطوّرهـا الشـخص علـى نفسـه تكـون بتفاعلاته مع أفراد المحيط. فإدراك الذات لا يتطور ضمن نسق مغلق بل من خلال تجاربه مع الآخرين، مكانته الاجتماعية، مختلف أدواره ...

وفـي مقاربـة إجتماعيـة إفتـرض (1897) Baldwin نظريـة "الـذات الاجتماعيـة " أو "Socius" بالنسـبة لـه الشخصـية هـي نتيجـة للتطـور الاجتمـاعي والثقافي. للفرد وللذات قطبين أساسين : L'alter يشير بها إلى تمثيلاتنا من الآخرين سواء حقيقة أو خيالية و L'égo يشير بها إلى المادة التي نستقبلها.

وقد تأثر (1902) Cooleyأيضا بالمقاربة الاجتماعية لمفهوم الذات، يرى أننا نبني معرفة على أنفسنا برسم معلومات في تفاعلاتنا مع الآخرين، وهكذا فالمحيط يمثل بالنسبة لنا " المرآة".
(Ric.F ., Gosling P ,op.cit,p8.9) ويوافق Mead كلا من Baldwin و Cooley في فكرة الذات كثمرة للتفاعل الإجتماعي. وبهذا هي نتيجة لطريقة تقييم الآخرين .
كما تحدث (1972) Tomé عن تكامل الذات والآخر. أمّا (1973) Ziller يقول أنّ الطفل فور إتيانه إلى الحياة هو مشروط بادراك الراشدين له من هنا يطوّر إدراكات ذاتية.

- **المظهر المعرفي :** يرجع البعض من العلماء مفهوم الذات إلى قوانين التوظيف العقلي، فالذات المعرفية مستوحاة من المقاربة المعرفية التي تعرّف الذات كنتيجة لتنظيمات عقلانية محضة، حسب Lynch يقوم مفهوم الذات على مجموعة أنظمة لعلاج معلومات ذاتية تتفاعل من خلال ميكانيزمات الذكاء. هذه المقاربة حسب (L'Ecuyer,1990,P140) ركزت على المظهر المعرفي وميكانيزم الذكاء في السيرورة اليومية لخبرة الذكاء وإهمال المظهر التجريبي، في كلا من الاتجاهين يتمركز L'Ecuyer في الوسط يبرّر هذا أنه السيرورة المعرفية تلعب دور هام في تحليل صارم لتوضيح فترات الأزمة التي يمرّ

بها الفرد (المراهقة، مرض، حادث، موت...) لكن هذا لا ينفي المظاهر التجريبية العاطفية في البناء الداخلي للذات فكما توجد أوقات صعبة توجد أوقات سعيدة .

- **<u>نظام متعدد الأبعاد:</u>** لقد اختلف الباحثين في إعطاء مفهوم للذات وذلك تبعا لنظرياتهم و أبحاثهم فمنهم من يقول أنّ لها مظهر أحادي وسيط ومنهم من يرى أنّ لها مفهوم متعدد، إلاّ أنه لا يوجد شك من خلال مفاهيم أساسية ونماذج متعددة لـ Tomé و Ziller و Bugental تثبت أنّه نظام معقد يتكوّن حسب Rogers (1951) من مجموعة من الإدراكات المتعددة تغطي مظاهر مختلفة تظهر كجزء من الشخص كلّ هذه الإدراكات تسمى بالأبعاد تقوم على مظاهر مادية (جسد، ممتلكات) شخصية (صورة شخصية وهوية) دون أن ننسى الاجتماعية (تقييمي وتكيفي) .

وفي هذا السياق مفهوم الذات كنظام متعدد الأبعاد نجد فيه تماسك من جهة ومن جهة أخرى تغييرات ووضعيات تختلف من واحد لآخر هذا ما وضحه L'Ecuyer في مراحل تطور مفهوم الذات عبر تطور الأعمار.

- **<u>تنظيم هرمي:</u>** إنّ فكرة تنظيم مختلف مستويات الذات ليست جديدة ما أكدّه W.James بضرورة تأسيس بعض منظمات الذات الهرمية. هذه الفكرة أدّت بالباحثين إلى التحدّث عن مجموعة منظمة من الإدراكات تنظم الذات في بنيات وبنيات تحتية. فقد وصف Stames(1954.1958) مفهوم الذات كمصطلح "بنيات" ،"فئات " و"أبعاد" أمّا Jersild (1952) و Gordon (1968) افترض من خلال أعماله تنظيم مفهوم الذات من محورين "الفئات و"أجزاء الذات" فهذا المفهوم يتكوّن من 3 محاور منظمة :

1. بنيات الذات (5): قاعدة مفهوم الذات والمناطق الأساسية لها .
2. بنيات تحتية (10) : المناطق الخمس الأساسية للذات تنقسم إلى خمس مناطق تسمى بالبنيات التحتية .
3. فئات الذات (28) : العشرة بنيات تحتية مجزأة إلى فئات خاصة بمعنى ما يحسّه الشخص و ما يستقبله كجزء منه.

- **<u>مستوى الأهمية:</u>** تختلف الإدراكات داخل نفس الشخص حسب الأولوية فبعض الأبعاد لها مكانة هامة مقارنة بالأخرى. كما حدّد W.James (1980) أنّ الذات الروحية هي الأكثر أهمية في كل

الذوات، وأنّ الصورة الجسدية هي الجزء الأساسي في الذات المادية مقارنة بعناصر أخرى خارجة عن الجسد، من هنا توضحت فكرة أن مجموع الإدراكات المكوّنة من طرف الشخص يمكن أن تنتظم تحت شكل إدراكات مركزية وأخرى ثانوية (أقل أهمية).

وفي هذا السياق ركّز Allport على التمييز بين الادراكات الأساسية والمحيطية وافترض فكرة تطورية بمعنى أن الإدراكات المركزية لا تمتلك نفس الأهمية بذاتها من عمر لآخر، هذه الإدراكات الأكثر حيوية تشكل أساس حقيقي للأنا وضياعها يعتبر كتدمير شخصي .

- **<u>سيرورة البروز:</u>** لا يظهر مفهوم الذات بطريقة عفوية منذ الولادة، فكلّ المستويات التّي يتركّب منها تتكوّن عن طريق تراكم الخبرات الجديدة، ما أثبته L'Ecuyer ظهور تدريجي لأبعاد جديدة مع العمر، وجود 5 بنيات أساسية في عمر 3 سنوات، ومن 3 إلى 10 بنيات تحتية و 11 إلى 28 فئة تظهر خلال المراهقة .

- **<u>مظهر نشيط وتكيفي:</u>** ويقصد بهذا المظهر أنّ للذات نظام تكيفي ونشيط، يدافع ويصحح يتكون هذا المفهوم ويتوسع خلال دورة الحياة. وبهذا الشخص في بحث دائم عن الحفاظ على درجة مثالية والتكيف بين الإدراكات السابقة والجديدة التّي تفرضها الخبرات المعاشة والتّي تشكل كتهديد على التماسك والإتساق المحقق بين مختلف إدراكات الذات.

إذن مفهوم الذات بهذا المظهر النشيط يشير إلى مختلف الحركات والمواقف التّي تمتلك طابع دفاعي حسب طبيعة الإدراكات وتظهر خاصة في بنية الذات التكيفية ومستوياتها الضمنية.

- **<u>سيرورة تطورية:</u>** يتميز مفهوم الذات بمظهر تطوري يكوّن نظام دينامي يتغير مع تطور الشخص وحاجاته خلال سيرورة حياته.تطرأ تغييرات على الإدراكات المركزية والثانوية وعلى درجة أهمية كلّ مستوي وهذا حسب متغيرات العمر، الجنس، الفئات الاجتماعية ...

- **<u>مظهر تمييزي:</u>** بالرغم من وجود خصائص مشتركة عند الكلّ تبنى خلال سنوات، إلاّ أنّ هذا المظهر يساهم في بناء سمات أكثر تحديد وتمييز لمراحل لها أهمية في التطور التدريجي للذات، هذا المبدأ التمييزي يشير إلى المظهر التطوري أو فكرة مراحل تطور مفهوم الذات التيّ يكون فيها خصائص أكثر تحديد على المستوى الفردي مرتبطة بالجنس، الأخلاق وطبيعة الخبرات المعاشة...

3- النظريات المفسرة لمفهوم الذات :

لقد ظهرت مختلف النظريات المفسرة لمفهوم الذات منها: الظاهرية، الاجتماعية، الفردية و التحليلية، هذه الأخيرة التّي يقول عنها L'Ecuyer أنّها لم تنجح في دراسة هذا المفهوم من بين مؤسيسيها Freud و Eriskson و يرجع هذا لتركيزها على السيرورة الشعورية ودور الأنا.

نفس الإشكالية مطروحة بالنسبة للمدرسة السلوكية في إنكارها لوجود اللاشعور لم تعطى هذه النظرية أهمية كبرى لمفهوم الذات التي اعتبرتها كمعطى غير قابل للقياس والتجريب، فالاتجاهات السلوكية فشلت في اعطاء نظرية حقيقية لهذا المفهوم ووضع أدوات قياس مثبتة كتصميمات (S.O.R) و (S.R) لـ Hilgard و wylie .

3-1- النظرية الظاهرية :

تعطي هذه المقاربة الأهمية للتجارب الموضوعية وهي تعتمد التحليل منذ بداية الإدراك التجريبي للفرد عن الأحداث، إدراك هذه الأحداث وإدماجها المعنوي يكوّن ما نسمية " بالظاهرة ".

حسب (1978) L'Ecuyer للمقاربة الظاهرية إتجاهين متكاملين من جهة : دور المجتمع و التوجيه الإجتماعي في ظهور مفهوم الذات، ومن جهة أخرى التوجيه الفردي كطابع أساسي في تجربة الذات. ومن الباحثين من يقول أنّ كلا من الاتجاهين متشابكين كـ : James,Cooley,Mead, wallon Symonds, Allport (L'Ecuyer,op.cit,p 42) .

ويبقىw.james حسب L'Ecuyer أوّل من وضع المعالم الأولى لمفهوم الذات يعرّفها على أنّها مجموع كلّى ما يسميه (الفرد) ملكي، ليس فقط جسده وقدراته الجسدية، لكن أيضا لباسه وسكنه، زوجه وأطفاله، أصدقاءه وأسلافه، ملكه وبيعه،أراضيه، زبائنه ورصيده البنكي". (l'Ecuyer, op. cit, p18)

ويحدّد في الذات أربعة مناطق أساسية تشمل : الذات المادية (جسدي، ملكياتي)، الذات الاجتماعية (علاقات، أدواري) والذات الروحية (الاهتمامات، الميولات..) لها طابع الخصوصية لتجربة الذات وأخيرا" pur ego " تعتبر كبعد من الصعب تحديده تشير إلي الهوية، وأضاف" Le je" المفكر ويمثل الجانب الموضوعي لتجربة الذات يتميز بثلاثة أنواع من الخبرات: الاستمرارية، التمايز، الإرادة .

أمّا بالنسبة لـ Mead الذات تتطور من خلال تفاعل الفرد مع محيطه، لكنّ هناك فروق فردية فالسيرورة الاجتماعية لاتستقبل بنفس الطريقة من الكلّ، فالذات الفردية تأخذ أصل البناء بمنبع إجتماعي مشترك مع وجود متغيرات كبيرة وهذه المتغيرات فسرها Mead بالاختلاف بين "je" و "moi ، ويمثل"le je" المظاهر الإبداعية للفرد " تركيبة نفسية " امّا " le moi " يترجم استدخال الأدوار الاجتماعية " تركيبة اجتماعية " ويتفاعلان كلا منهما ليكوّنان الشخصية، وهنا le je كاستجابة فردية مناقض للأنا كممثل لمواقف الآخرين ويقول في هذا الصدد Mead : " الأنا هو المجموع المنظم لمواقف الآخرين التي تستقبلها ذاتنا، فمواقف الآخرين تكوّن الذات " (NINI,1997 , P41).

وقد افترض Allport مصطلح جديد يكشف عن تجربة الذات " Propium " جدّ هام في التجربة الذاتية للفرد، ميز بين 8 تركيبات "تملكيه"Propiate للشخصية: المعنى الجسدي، هوية الذات، تقدير الذات، توسع الذات، صور الذات، الفكر العقلاني، القوى المركزية وتجربة المعرفة، وكلّ هذه الملكيات ليست فطرية بل في تطور تام .

ويعتبر Rogers من وجهة نظر L'Ecuyer كأحد المؤسسين لهذه النظرية لكنّه لم يطوّر نموذج لمفهوم الذات بل استعمله في العلاج النفسي، يرى Rogers أنّ مفهوم الذات هو مجموعة منظمة من المدركات ومركبة من خانات، كادراكات سماته ومواقفه، ادراكات مفاهيم الذات مع الآخرين، والتفاعل مع المحيط هو جزء من الجانب الإدراكي له معنى بالنسبة للفرد يكوّن ما نسميه بالجانب الإدراكي أو الظاهري، هذا الجانب الظاهري له سمات يؤثر بكيفية استقبال العالم له نتائج نموذجية على السلوك الإنساني (Duruz N,Mardaga P ,1985, P114) ، ولهذا يؤمن Rogers بأن أحسن طريقة لإحداث التغيير في السلوك هو إحداث تغيير في مفهوم الذات. حسب هذه المقاربة كما رأينا خبرة الذات بالنسبة للفرد هي خبرة ذاتية وملكية بالنسبة لأفكاره، صوره وأحاسيسه يستقبلها كأنها شخصية وفي العمق هي مظهر للعالم تتجدد تدريجيا .

3-2-النظرية الاجتماعية :

يعّد كل من Mead (1934), Sarbin (1952-1954), Wallon (1943-1959) حسب L'Ecuyer المؤسسين الحقيقين لمختلف نماذج المقاربة الاجتماعية، وقد اكتشف كلا من Mead و Wallon أهمية دور الإتصال العلائقي في سيرورة بناء صورة أو مفهوم الذات، فقد تعمّق Wallon في

دراسة هذه السيرورة بوصفه لمراحل بناء الذات انطلاقا من عدم التمييز بين أنا – آخر إلى غاية التقمص .

كما ساهم (1954) Sarbin من خلال "نظرية الأدوار" في توضيح أهمية الأدوار التّي يلعبها الفرد من إختياره أو المفروضة عليه من المجتمع، حسب Sarbin. L'Ecuyer بيّن أنّ الذات "مرنة" قابلة للتغيير من خلال الأدوار التّي يلعبها الفرد ما أدّى به إلى الاعتقاد بوجود الأدوار قبل الذات، إذن فمفهوم الذات في تغيير مستمر، يختلف عن الذّي يستقبله الفرد في الطفولة داخل العائلة، أو كتلميذ في المدرسة، كأب أو أمّ، زوج أو زوجة، رئيس مؤسسة ... فكلّ هذه الأدوار في تغيير (في بعض المرات تجبر الفرد) حسب Sarbin على تغيير مفهوم الذات، ومن هنا ظهرت نماذج عديدة وحديثة للذات في تفاعلاتها مع الآخر تتمثل في:

1) نموذج لـ C.Gordon (1968) " تكوين الذات " :

إنّ نموذج Gordon مرتبط بالمقاربة الاجتماعية، فكلّ العناصر ناتجة عن الهوية الاجتماعية و الادراكات على علاقة بالدور الاجتماعي تختلف عن المقاربة الفردية، فقد وضع الطابع المتعدد الأبعاد لمفهوم الذات، بالنسبة لـ Gordon تتكوّن الذات من عناصر متعددة (إدراكات أو مفاهيم نابعة عن التفاعلات الإجتماعية).

يتركب هذا النموذج من 8 " خانات أولية" مقسمة إلى عناصر أكثر تحديد تدعي بـ"الفئات" هي كالآتي:

أ– **الخصائص الوصفية:** تتعلق بالسمات أو الهوية والأدوار الاجتماعية الخاصة بالفرد من الولادة ودائمة طيلة الحياة .هذه الخانة الأولية مقسمة إلى 5 فئات: الجنس، العمر، الإسم ، الوارثة العرقية أو الوطنية والدينية .

ب– **الأدوار والانتمـاءات :** تشمل 7 خانات لمختلف الهويات والأدوار الاجتماعية للفرد : الأدوار الأبوية، الأدوار المهنية ، أدوار الطلبة، الانتماءات السياسة، المكانة الاجتماعية، المواطنة و الانتماء إلى فوج محدد .

ج– **التقمصات المجردة** : تجمع عناصر جدّ شخصية وخاصة، تختلف عن الهوية الاجتماعية تتكون من 3 فئات : (مراجع تخص الوجود، الايدولوجيا ونظام الأفكار)

د–**الفوائد والنشاطات** : تتشكل من 4 فئات: كالأحكام التي يحملها الفرد من طرف محيطه، أذواقه، إختيارته، نشاطاته الفنية والإهتمامات العقلية.

هـ– **المراجع المادية** : هي كلّ ما يمتلكه الفرد، تتكون من فئتين: مراجع تخص الممتلكات المادية، مثل:(أمتلك سيارة). والفئة الثانية للذات الجسدية والصورة الجسدية.

و– **الأحاسيس الأربعة للذات** : حدّد Gordon 4 فئات تتعلق بتقييم الذات أو تكيف الفرد، الكفاءة وتقدير الذات، تتمثل في: إحساس بالكفاءة مرتبطة بالتكيف وتقدير الذات، اكتمال الذات مرتبط بتحقيق الذات، إحساس بالوحدة يرتبط بالشعور بالتضامن بين مختلف عناصر الذات، ومختلف القيم الأخلاقية، الاجتماعية والدينية.

ز– **السمات الشخصية** : حدّدها Gordon في قسمين: النمط الشخصي والنمط النفسي (طريقة التفكير والإحساس).

ح– **المعاني الخارجية** : تتعلق بأحكام الآخرين اتجاه الذات والإحساس الذّي يعتقد الفرد أنّه تركه للآخرين ومختلف الوضعيات المعاشة من طرف الموضوع .

وهكذا نموذج Gordon حسب L'Ecuyer واحد من المشاريع الأولية الذّي تمّ فيه بصفة حقيقة بناء نموذج متعدّد الأبعاد ودراسة للتنظيمات الهرمية .

2) نموذج (1972)H.Rodriguez Tomé : "الأنا والآخر " :

لقد أعطى R. Tomé أهمية كبرى لنظرة الآخرين في تكوين الذات، فقد أسس نظرية حقيقة يرجع فيها إلى الأصول الاجتماعية في بناء مفهوم الذات الفردية وتكاملة مع الآخر في تكوين الهوية الاجتماعية والهوية الشخصية.

بالنسبة لـ Tomé بناء مفهوم للذات لا يتم دون مرجع وانفصال عن الآخر، وقد قسم نوعان لتمثيلات الذات:" الصورة الذاتية " بمعنى إدراك الذات بالذات أي إدراك الفرد بنفسه لذاته يشير بها إلى سمات الشخص، أذواقه، اهتماماته، ميولاته، مواقفه...

و" الذات الاجتماعية" التي تمثل الفرد بالنسبة للآخرين، انطلاقا من اتصالاته بالآخرين الأقارب و المحيط الاجتماعي. فحسب L'Ecuyer الصورة الذاتية تجيب عن السؤال " من أنا بالنسبة لي " و الصورة الاجتماعية " من أنا بالنسبة للآخرين .

يتميز هذا النموذج بتحليل دقيق لبنية الوصف الذاتي للفرد، وقد نجح في وضع نموذجه المتعدد الأبعاد المتمركز ما بين 20 إلى 30 تحمل هذه الفئات مثلا 3 مستويات تقمص نفسي اجتماعي، مراجع تخص الجسد، مراجع تخص المستقبل، سمات شخصية إيجابية وسلبية، أذواق واهتمامات، النشاطات .....تقرير R.Tomé جد ثري وغير قابل للجدل، حسب (l'ecuyer R , p60) كلّ الأبعاد الموصوفة مستقرة على بطاقة IBM تسمح بتحليل سريع للعديد من العلاقات المتبادلة بين الادراكات الشخصية و الاجتماعية.

3) **نموذج(1973) Robert Ziller " نظرية توجيه الذات – الآخر "** :

إنطلق ziller من نفس الفرضية في أنّ مفهوم الذات مشترط بنظرة الآخرين وادراكاتهم، وقد توّصل إلي نماذج متعددة الأبعاد تشمل مقارنة الذات مع الآخر، إهتم في نظرية توجيه " الذات – الآخر" بتحليل " مفهوم الذات مع الآخر"، الذّي يسمح بتحديد 10 مركبات متمايزة ما سمّاها بـ " مقارنة الأوجه المتعددة "

1- **تقدير الذات:** تعرف بادراكات الفرد لقيمتة الذاتية.
2- **المصلحة الاجتماعية** : تتعلق بصورة الذات لكن مقارنة بعلاقته مع الآخرين .
3- **التهميش** : الإحساس بعدم الانتماء .
4- **التمركز حول الذات** : استقبال الفرد لذاته من وجهة نظره الخاصة، لكن L'Ecuyer يعتقد العكس فالقدرة على وضع إدراك شخصي للذات هو علامة للنضج لا تعود للنرجسية أو حب للذات.
5- **تعقيد للذات** : تتحدد في الأوجه المتعددة التّي يستقبل فيها الفرد ذاته، العديد من السمات التّي يراها الفرد في ذاته يمكن أن تكون بنّاءه وتبيّن قدرة الفرد على الإدماج.

6- **التقمص** : إدراك التشابه بين الذات ومواضيع أخرى مثل : الوالدين، الأساتذة، الأصدقاء.

7- **تقمـص الأغلبيـة** : يتعلـق بـالمعنى الحقيقـي للإنتمـاء إلـى فـوج يتقاسـم معـه نفـس السـمات و الطباع المشتركة.

8- **القوة:** تشير إلي إدراك الذات كمفهوم قوة أو ضعف عن الآخرين .

9- **الانفتاح** : يترجم انفتاح الذات على الآخرين (من الداخل إلى الخارج).

10- **الإدمـاج** :حسب L'Ecuyer , Ziller لم يحدد هذا المستوى بصفة حقيقية، بل يظهر في تقمص الأغلبية

نموذج Ziller هو نظام مدركات خاص بالتفاعلات مع المحيط (ذات – آخرين) أكثر منه نموذج بسيط لإدراك الذات، وقد استعمل Ziller كأداة للاستقصاء في وصفه للذات الاجتماعية على منهجية غير لفظية سمّاها بـ : بصمات التوجيه ذات – آخر وقد انتقده (p64) L'Ecuyer لإهماله للمناهج اللفظية لوصف الذات .

من خلال هذه النماذج الثلاثة يرى L'Ecuyer (p64.65) أنّ مستوياتها تقوم على قاعدة فردية إلاّ أنّ تفسير كلّ مركبات مفهوم الذات يتعلق بالتوجيه الاجتماعي وتأثير المحيط لكنّ بدرجات متفاوتة حسب المؤلفين. وهي تكشف عن تحليل " من أنا مقارنة بالآخرين" تتميز هذه النماذج حسب L'Ecuyer كالآتي : إدراك الذات تحت تأثير الآخر (Gordon) إلى إدراك الذات الغير منفصلة عن الآخر (R.Tomé) . وإدراك الذات في توظيفها هو مشترط بالآخر (Ziller) .

3-3-النظرية الفردية :

في هذه المقاربة ركزوا الباحثين أساسا على الإدراك الذاتي على عكس المقاربة السابقة الذين أعطوا الأهمية للآخر في بناء مفهوم الذات. بالنسبة لـ L'Ecuyer تقوم المقاربة الفردية حول مسلّمة أساسية تتمثل في إدراك الفرد كحقيقة قاعدية وفهم سلوكه من خلال نظرته الذاتية، ويعتبر L'Ecuyer كلّ من Snygg et Combs (1959) المؤسسين الحقيقين لهذه المقاربة التي ترتكز على أهمية فهم و استقبال الفرد بنفسه لمعاني الأشياء ليس من خلال نظرة الآخرين. ما تسمي بالمقاربة الادراكية، الداخلية والذاتية، فأهمية نظرة الفرد لنفسه هي حقيقة واقعية، الادراكات الفردية المستقبلة والمعاشة من طرف الشخص سميت من طرف Snygg و Combs بالمجال التجريبي أو الظاهري .

وبالرغم من تقديم L'Ecuyer لـ Combs و Snygg كمؤسسين حقيقين للمقاربة الفردية إلا أنّه قدّم نماذج آخرين لـ (1969,1949) Al و Bugental و(1963) Super و(1957) L'Ecuyer ، تقديم هذه النماذج برّره L'ecuyer بعدم إتباع نفس المجال في التطبيق و Bugental هو الأوّل قدّم مقاربة ذاتية وصفية بسيطة أمّا Super فنموذجة يقوم حول نظرية مفهوم للذات وأخيرا نموذج L'ecuyer الذي يبين تطور مفهوم الذات من الطفولة إلى الكهولة يقوم على التجريب في كلّ الأعمار.

1) نموذج (1964-1949) J.F.T.Bugental:" المنشأ المفاهيمي ومفهوم الذات"

يعرّف Bugental مفهوم الذات كـ " نظام إدراكي يتوظف كموضوع داخل المجال الإدراكي" وقد وصف شكلان لمفهوم الذات : الذات الظاهرية تتمثل في التقرير اللفظي للفرد والذات اللاظاهرية لا تستقبل كجزء من الذات سمّاها بـ " المنشأ الاصطلاحي" وقد قسّم المحتوى الإدراكي إلى 6 فئات معقدة :

1. **الذات القطبية :** هي إدراك الفرد لذاته، ولكلّ ما هو جزء منه.
2. **الذات على الذات :** واحد من العناصر تؤثر على مظهر آخر للذات.
3. **اللاّذات على الذات :** تشير إلى مجموعة المظاهر الخارجية عن الذات تؤثر بنفسها على مظاهر داخلية في الذات.
4. **الذات على اللاّذات :** أثر بعض مظاهر الذات على عناصر اللاّذات.
5. **اللاّذات على اللاّذات :** تشير إلى التأثير المتبادل بين عنصرين معروفين بأنهما ليسا جزء من الذات.
6. **اللاّذات القطبية :** تشمل المحتويات الادراكية البسيطة والمعروفة بأنها ليست كجزء من الذات.

وإنطلاقا من هذا التحليل لسيرورات التمايز بين الذات واللاّذات كوّن الباحث سلّم يقوم على 4 مواقف :

أ- الموقف إلايجابي أو الموافق.

ب- الموقف السلبي أو الرافض.

ج- تجاذب أو خلط بين موقفين سابقين.

د-موقف وصفي يخلو من كلّ المفاهيم العاطفية.

* من هنا تحصّل على تقمص لأبعاد قاعدة مفهوم الذات التي تشمل :

1. مراجع تخصّ لقب الشخص
2. مراجع تخصّ إسم الشخص
3. المراجع اللّافردية مقسمة بذاتها إلى إثنين :

أ- تصنيفات اجتماعية -علمية ترفض فردية الشخص.

ب- التصنيفات الميتافيزيقية:

4. العمر
5. الجنس
6. الاهتمام
7. المكانة العائلية
8. المكانة الاجتماعية
9. مراجع وصفية واضحة تضم 4 عناصر :

أ- مراجع جغرافية ، سياسية ...

ب- مراجع تخص الجنسية ، الدين ، الأصل ...

ج- مراجع تخص المظهر (دون تحديد حكم عن القيم) : " أنا كبير "

10. مراجع لها مفهوم عاطفي ، مقسمة إلى 3 أفواج :

أ- مراجع مناسبة أو إيجابية.

ب- مراجع غير مناسبة أو سلبية .

ج- تجاذب.

11. الفئات المختلفة تضم بيانات غير مصنفة داخل أبعاد أخرى .

كشف L'Ecuyer عن ضعف هذا النموذج، إلا أنّه بالرغم من الطابع السيء لأبعاد نموذج Bugental فهو اتجاه حقيقي يسمح تدريجيا ببناء نماذج أكثر شدّة لتحليل سيرورات الذات واللاّذات.

2) **نموذج (1963) "D.Super" : " الأبعاد والأبعاد الأفقية لمفهوم الذات"**

من وجهة نظر Super توجد مفاهيم عديدة تخص مفهوم الذات تتحدد بمختلف الخبرات المعاشة من طرف الفرد وتنتظم بنظام معقد لمفهوم شخصي للذات.

1- الأبعاد الأفقية لمفهوم الذات تتكوّن من :

أ- **تقدير الذات** : بمعنى درجة تقبل الذات المعروفة من طرف الجميع.

ب- **الوضوح** : وعي الفرد بخصائصه عند وصف نفسه، يزيد مع تقدم العمر ويدخل في وظيفة الذكاء.

ج- **التجريد** : وصف مجرد للذات.

د- **الصفاء** : ثراء في وصف الذات.

هـ- **الضمان** : ثقة في الذات، ووجود بعض السمات أو غيابها .

و- **الاستقرار** : دوام السمات الذاتية .

ز- **الواقع** : درجة التوافق بين الوصف الذاتي للفرد على سمة ومعايير خارجية .

- **الأبعاد الأفقية لمفاهيم الذات** : تتكوّن من :

أ- **البنية** : تشير إلى درجة الاختلاف بين مختلف السمات.

ب- **المدي** : مظهر تكيفي لمفاهيم الذات.

ج- **المرونة** : سهولة استيعاب الفرد لعناصر جديدة، سهولة التكيف مع وضعيات أخرى.

د- **الانسجام** : يشير إلى الاتساق الداخلي بين مختلف عناصر نظام مفهوم الذات .

هـ- **الخصوصية** : مظهر فردي لوصف الذات دون الرجوع للآخرين.

و- **السيادة** : دور مفاهيم الذات في السلوك الفردي .

هذا النموذج من وجهة نظر(L'ecuyer(P45 هو نموذج إيجابي، من خلال البنية الداخلية له. الباحث تجاوز المقاربات المتعددة الأبعاد، نموذجه له بناء متماسك.

3) نموذج (1975) R.L'Ecuyer " مفهوم الذات ، نظام متعدد الأبعاد " :

وضع L'Ecuyer تحليل أكثر تفصيل للعديد من المصطلحات والنماذج السابقة لمفهوم الذات منذ 1980 التي سمحت له بتحديد العناصر القاعدية، تفسير الميكانيزمات الداخلية لهذه الظاهرة له نموذج مندمج لأخذه بأبعاد ومتغيرات جديدة، ومقاربة وراثية يصف فيها تطور مفهوم الذات من الطفولة الى الكهولة.

عمل L'ecuyer في أبحاث عديدة حول مفهوم الذات خلال تكوينه في علم النفس دون الوصول إلى صقل هذا المفهوم بصفة نهائية وقد تقرّب من دراسات أمريكية تمكّن خلالها من وضع مواد قابلة للقياس وتقديم تفسير عن مفهوم الذات الذّي كان غير معروف، وقد توّصل إلى بعض المعتقدات بعد إبداع مخبر أبحاث حول مفهوم الذات تتمثل في:

- مفهوم الذات هو تنظيمة معقدة تسجل في ثلاث محاور متتالية أو بنيات منقسمة إلي بنيات تحتية مكونة من عناصر خاصة تدعى بالفئات
- الفئات هي الأوجه المتعددة لمفهوم الذات

*** وصف نموذج L'Ecuyer :**

مفهوم الذات عرّف من طرف L'Ecuyer كنظام متعدد الأبعاد مركب من بنيات أساسية يحدّد المناطق العامة لمفهوم الذات، وكلّ واحدة منها منقسمة إلى أجزاء (بنيات تحتية) مقسّمة بنفسها إلى فئات ، فبالنسبة لـ L'Ecuyer ببقى هذا النموذج مفتوح ومرن لإدماج أبعاد جديدة :

1. **بنية الذات المادية :** هي مرجع للجسد، والممتلكات وتقمص الأفراد، تتكوّن نفسها من 2 بنيات تحتية: الذات الجسدية والذات التملكية.

أ- **الذات الجسدية :** تتعلق بأوصاف الشخص التّي على علاقة بالجسد، هذه البنية التحتية تتكوّن من فئتين :

أ- 1- فئة السمات والمظهر الجسدي: وصف مختلف أجزاء الجسد

أ- 1- فئة الشروط الجسدية : تشير إلى الحالة الصحية، الأحاسيس الشعورية، المرض النشاطات الفيزيولوجية العامّة (شرب، أكل، نوم ....)

ب–**الذات التملكية** : تتعلق بامتلاك الأفراد والمواد، تتقسم إلى فئتين :

ب–**1**–امتلاك المواضيع : تشير إلى المواضيع المتحركة أو الجامدة التي يحس فيها الفرد أنّه ملكه بصفة مباشرة أو غير مباشرة

ب–2– امتلاك الأشخاص: يشير إلى طابع تملكي يتعلق في بعض المرات بالانتماء مثل: " انّه أبي أو عندي 5 أطفال".

2. **بنية الذات الشخصية:** تشير إلى المظاهر الداخلية للفرد. تتكون بصفة عادية أو وصفية (البنية التحتية صورة الذات) والأخرى أكثر عمق (هوية الذات)

أ– **صورة الذات** : تحمل 5 فئات:

- **فئة الطموحات:** المثل، الرغبات، الأمنيات.
- **تعداد النشاطات:** مراجع تخص الألعاب، النشاطات الفنية / العقلية أو اليدوية.
- **أحاسيس وانفعالات:** الحالات الإنفعالية المعبر عنها من طرف الفرد.
- **أذواق واهتمامات:** الإختيار والرفض.
- **قدرات ومواقف** : الكفاءات الخاصة بالفرد.
- **نوعيات وعيوب:** تتعلق بوصف الذات سواء إيجابية أو سلبية.

ب– **هوية الذات:** تتعلق بشئ أعمق داخل الفرد أكثر منها وصفية تتكون من 5 فئات:

- **تسميات بسيطة:** مراجع تخص الإسم، العمر، العنوان، الجنس.
- **دور ومكانة:** الوظائف التي يتبناها الفرد في المدرسة أو المنزل، الانتماء إلى أفواج.
- **التماسك:** يشير إلى الإحساس العام بالاتساق أو عدم الاتساق، بالاستمرار أو اللاستمرار، بفهم أو عدم فهم كل ما يمر على الذات.
- **إيديولوجية:** أو فلسفة الحياة.

1. **الهوية المجردة:** يتعلق بمراجع الوجود الواسعة، ونمط خاص بالفرد بالإنتماء الى نظام ديني أو سياسي (في بعض المرات لا يمكن تمييزها عن الإيديولوجية)
3. **الذات التكيفية:** تمثل استجابات الفرد اتجاه ادراكاته ، يمكن أن تكون ايجابية أو سلبية .

أ- **قيمـة الـذات :** تشمل الحكم ايجابي أو سلبي على الذات انطلاقا من نظام قيم شخصي أو مفروض من الخارج يتكون من فئتين:

- **الكفاءة:** إحساس بفعالية حقيقية.
- **القيّم الشخصية:** تشير الى القيمة الإيجابية أو السلبية.

ب- **نشاط الذات :** أفعال واستجابات أمام إدراكات الذات نفسها وتنقسم إلى 6 فئات:

- **اسـتراتيجيات التكيـف:** رفـض الطاعـة والإذعـان للأوامـر، ميكانيزمـات دفاعيـة كالإنكـار ، التعقيل أو الخضوع عند الأشخاص الكبار.
- **الاستقلالية:** مواجهة الوضعيات والتحلي بمسؤولية مطلقة.
- **التجاذب:** التردد، تناقضات الفرد أمام الوضعية.
- **التبعية:** رفض مواجهة الحدث والتحرك وترك الآخر للمواجهة في مكانه.
- **تحقيق الذات:** إحساس الفرد بالتطور والتقييم الإيجابي .
- **نمط الحياة:** يشير إلى الطرق العديدة التي يصف بها حياته (ماضي، حاضر ومستقبل).

4. **بنية الذات الإجتماعية:** تتعلق بالانفتاح والتفاعل مع الآخر تحمل 2 بنيات تحتية:

أ- **اهتمامات ونشاطات اجتماعية:** المشاركة الحقيقية أو رغبة المشاركة في نشاطات مع الآخرين، تنقسم إلى 3 فئات:

- **قابليـة للآخرين:** تتعلق بمواقف ايجابية امام الآخرين، حوار ايجابي معهم، رغبة في الحوارو في بعض المرات رفض الدخول في حوار مع الآخرين.
- **سيطرة:** ظهور مختلف أشكال العدوانية أو إخفائها خلال التبادل مع الآخرين.
- **الغيرية:** مساعدة دون انتظار المقابل.

ب- **مرجـع للجـنس:** تجمـع انـدماج الحقيقـة الجنسـية، نوعيـة الـرابط مـع الأشـخاص الـذين يـرونهم كمواضيع جنسية وتحمل فئتين:

- **مرجع بسيط:** تسميات بسيطة. مثل" عندي صديقة"
- **إغراء والخبرة الجنسية:** تظاهرات واهتمامات ذات طابع جنسي غلمي.

5. **بنيـة الـذات والـلاذات:** هـي فـي الأصـل خاليـة من بنيـات تحتيـة وفئـات، لكـن L'Ecuyer بفضـل دراسات حديثة أضاف 2 بنيات تحتية:

أ- **مرجع للآخر:** التحدث عن الشخص الآخر دون نفسه بصفة مباشرة مثال: " صديقي يمتلك دراجة رائعة ".

ب-**آراء الآخرين حول الذات:** يتعلق بحكم الآخرين على نفسه.

❖ **النموذج التجريبي – التطوري لمفهوم الذات :**

ان فكرة المنظمـة الهرميـة لمفهـوم الـذات أدت لبنـاء أول نمـوذج نظـري متعـدد الأبعـاد (1965-1966) يحمل (4) بنيـات أساسـية تتقسم ثلاثـة منهـا إلـى بنيـات تحتيـة، وبعـد إجـراء أبحـاث تطبيقيـة متعددة من طرف L'Ecuyer وضـع النموذج الأساسي (1967-1978) الذي أضيف لـه (28) فئـة خاصة مع تعديلات أخرى وهذا انطلاقا من تحليل محتوى النتائج المتحصل عليها عند الأطفال إلـى الأشـخاص الكبـار(مـن 3 الـي 100 سـنة)، وهـو النمـوذج المثـالي الأكثـر تفصـيل وتأهيـل لتحليـل محتوى مفهوم الذات المستعمل إلى حدّ الآن، والذّي إخترنا تطبيقه في بحثنا من خلال تقنية" " Le GPS"

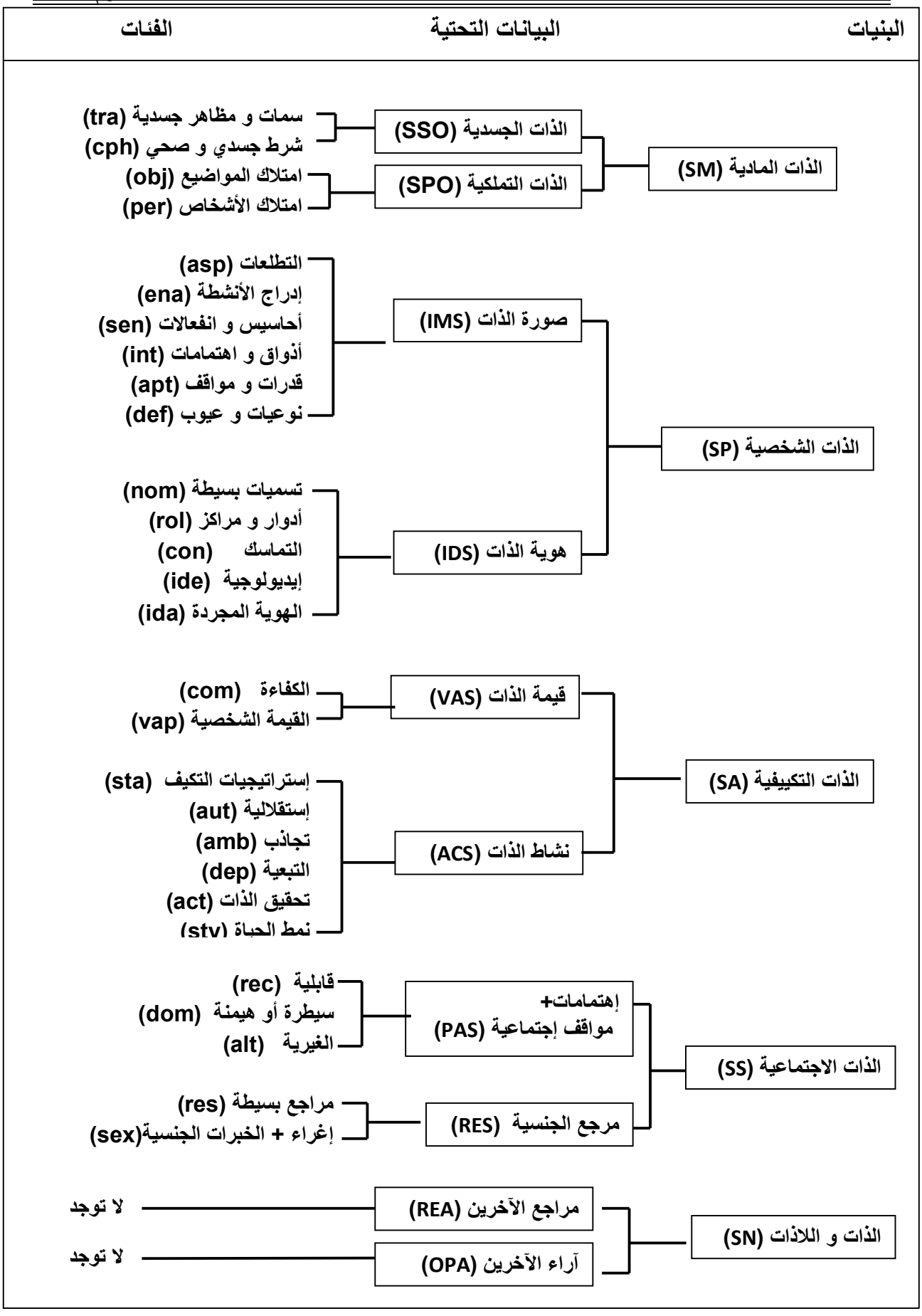
البنيات
البيانات التحتية
الفئات
الذات المادية (SM)
الذات الجسدية (SSO)
سمات و مظاهر جسدية (tra)
شرط جسدي و صحي (cph)
الذات التملكية (SPO)
امتلاك المواضيع (obj)
امتلاك الأشخاص (per)
الذات الشخصية (SP)
صورة الذات (IMS)
التطلعات (asp)
إدراج الأنشطة (ena)
أحاسيس و انفعالات (sen)
أذواق و اهتمامات (int)
قدرات و مواقف (apt)
نوعيات و عيوب (def)
هوية الذات (IDS)
تسميات بسيطة (nom)
أدوار و مراكز (rol)
التماسك (con)
إيديولوجية (ide)
الهوية المجردة (ida)
الذات التكييفية (SA)
قيمة الذات (VAS)
الكفاءة (com)
القيمة الشخصية (vap)
نشاط الذات (ACS)
إستراتيجيات التكيف (sta)
إستقلالية (aut)
تجاذب (amb)
التبعية (dep)
تحقيق الذات (act)
نمط الحياة (sty)
الذات الاجتماعية (SS)
إهتمامات+
مواقف إجتماعية (PAS)
قابلية (rec)
سيطرة أو هيمنة (dom)
الغيرية (alt)
مرجع الجنسية (RES)
مراجع بسيطة (res)
إغراء + الخبرات الجنسية(sex)
الذات و اللاذات (SN)
مراجع الآخرين (REA)
لا توجد
آراء الآخرين (OPA)
لا توجد

في هذا النموذج الإيجابي الدائم تطبيقه إلى حدّ الآن لتحليل المحتويات الإدراكية كوّن L'Ecuyer أربع فرضيات يقوم عليها:

1. **فرضية التنظيم الهرمي:** يسمح بدراسة التنظيمات تحت شكل ثلاثة أنواع من البرفيلات الادراكية، بروفيل البنيات، بروفيل البنيات التحتية، وبروفيل الفئات. والتي تختلف باختلاف الأعمار، الجنس والأفواج الثقافية.

2. **الادراكات المركزية والثانوية** : التحليل الداخلي للبروفيلات الادراكية يسمح أيضا بدراسة أبعاد مفهوم الذات الأكثر أهمية بالنسبة للفرد مقارنة بالأبعاد الأقل أهمية.

3. **الاختلاف الداخلي للجنسين:** أصبحت هذه الفرضية محطّ اهتمام كلّ المراجع التي لها علاقة بمفهوم الذات، ركزت على الإختلاف الفيزيولوجي الأساسي للذكور والبنات أمام المناداة حاليا بالمساواة بين الجنس الذكري والأنثوي هذا النموذج ل Lécuyer يوضح الفرق الداخلي بين الجنسين في المحتويات الادراكية وبعض المناطق الأساسية الكاملة أو على مستوى توزيع الادراكات الأساسية والثانوية تختلف باختلاف الجنس.

4. **فرضية تطور مفهوم الذات:** يقصد بهذه الفرضية تطور مفهوم الذات مع العمر خلال كلّ الحياة، هو عملي ونشيط حسب L'Ecuyer خاصة في أقل من 10 سنوات وفي مرحلة المراهقة. يمجدّ L'Ecuyer نموذجه ويعتبره الأفضل خاصة لتعمقه في معرفة الذات، تنظيماتها وتطورها. يساعد هذا النموذج على معالجة مختلف أوجه مفهوم الذات ويكشف عن تحليل المحتويات الإدراكية، له بعد تطوري لا يقتصر على فترة معينة من الحياة بل كلّها هذا ما أثبتته الفرضيات السابقة له.

3-4- مفهوم الذات في النظرية التحليلية:

للمحللين النفسايين دور أساسي في تحليل مفهوم الذات بصفة دقيقة سمي من طرف Freud (das,ich) الاّ أنّ L'Ecuyer فضل الإستفادة من منهجية المقاربة الظاهرية التّي ساهمت في تطويره بصفة كبيرة، وبالرغم من هذا إستعرض بعض مفاهيم الذات التي وصفها الأرثودكس الفرويديين أمثال:Adler, Jung وآخرون .

أولا Freud في نظريته القائمة على المستويات الثلاثة: الشعور، ما قبل الشعور واللاشعور و تحليل الأركان النفسية الثلاثة لتنظيم الشخصية: كالهو، الأنا والأنا الأعلى. حيث يمثل الهو (Le id) القطب النزوي للشخصية هدفه الإشباع يخضع لمبدأ اللذة، الأنا الأعلى (Supergo) يمثل العالم الخارجي، هو وريث لعقده الأوديب يتشكل من المتطلبات والنواهي الوالدية يمتل الضمير الخلقي له دور الرقيب للأنا في معارضة لمطالب الهو. أمّا الأنا (L'ego) يمثل القطب الدفاعي للشخصية يخضع لمطالب الهو، ولأوامر الأنا الأعلى ولمتطلبات الواقع. يلعب دور الوسيط باعتباره مكلّف بالحفاظ على مصالح وتوازن الشخص في كليته، حسب Freud الأنا يشمل بعد إدراكي، بما في ذلك معنى إدراك الذات .(L'ecuyer ,op.cit, P91)

وقد أبرز أهمية العلاقة بين الأنا والإدراك الخارجي، ثمّ وضّح وجود إدراك داخلي للأنا هذا المسار أدّى به إلى اكتشاف جانب عميق لاشعوري من الشخصية حيث أثبت أنّ جزء من الإحساس بالذات مكبوت لارتباطه بإدراكات سلبية .(Abboud H,2007, P53)

وفي دراسةFreud للنرجسية إنطلاقا من مقالته " من أجل تقديم النرجسية" (1914) طوّر هذا المفهوم كمرحلة ضرورية تبدأ من النشاط الفوضوي والغلمي الذاتي، المميز للنزوات الجنسية وصولا إلى إختيار الموضوع . فالرضيع يكون في وضعية غلمية ذاتيه نزواته في بحث دائم عن الإشباع لحاجاته العضوية . يرى Freud أنّ أصل الحياة هي طاقة ليبيدية تتوجه نحو الاشباع واللذة في موضوع عن طريق الاستثمار، يكون هذا الموضوع كجزء من الجسد (نرجسية أولية وغلمة ذاتية) ومن هذا الإستثمار تولد النفسية وتبني شخصيته وهويته .

تمثل النرجسية الأولية حالة مبكرة من الحياة سابقة على تشكيل الأنا يتخذ الطفل من ذاته موضوع لحبه قبل أن يختار موضوعات خارجية في حالة "لاتمايز" دون إنشطار بين الطفل والعالم الخارجي، أمّا النرجسية الثانوية تشير إلى إرتداد الليبيدو المنسحب من توظيفاته الموضوعية إلى الأنا.

ويعرّف Kernberg (1976) النرجسية كاستثمار لبيدي للذات وبنية نفسية داخلية تنتمي للأنا . (Duruz N,op.cit,p82) وقد ساهم Lacan في المفهوم المتعلق بالنرجسية في مرحلة أساسية تكوينية للبوادر الأولى للأنا: مرحلة مرآوية، صورة الذات، نرجسية أولية، ولقد أسّس الصلة القائمة ما بين اللحظة الأولى من تكوين الأنا وبين تلك التجربة النرجسية الأساسية التّي يطلق عليها اسم "مرحلة

المرآة"، إذ تسبق الطفل الذي لا زال في حالة عجز وفقدان للتآزر الحركي بشكل خيالي إستيعاب وحدته الجسدية والسيطرة عليها. يقوم هذا التوحيد الخيالي على التماهي بصورة الشبيه باعتباره شكلا كليا.

وقد حاول Harttman بدوره إزالة الخلط بين فكرة النرجسية وتوظيف الأنا بقوله : "يبدو أننا نخلط غالبا، حين إستعمال مصطلح النرجسية ما بين زوجين متقابلين " يختص أولهما بالذات (Self) أي بالشخص نفسه في مقابل النرجسية، ويختص الثاني بالأنا، (...) في مقابل البني الفرعية الأخرى للشخصية ولكن ما يقابل الموضوع ليس توظيف الأنا. بل هو توظيف الشخص (الذات). وحين نتكلم عن توظيف الذات فإن ذلك لا يضمن أنّ التوظيف يقع في الهو أو الأنا أو في الأنا الأعلى (....) و هكذا تعرف النرجسية كتوظيف لبيدي للذات وليس للأنا "

يشكل الأنا المثالي، مثالية الأنا تكوينا نرجسيا أساسية، نجد أصل الأنا المثالي حسب Lacan في مرحلة المرآة ينتمي إلى السجل الخيالي ويضيف Nunberg أن الأنا المثالي لا يتلخص باعتباره مثلا أعلي للجبروت الجنسي في مجرد اتحاد الأنا مع الهو، بل يتضمن تماهيا أوليا مع كائن آخر يحاط بالجبروت أي مع الأمّ. أمّا مثالية الأنا كركن من أركان الشخصية ينتج عن تلاقي النرجسية مع التماهيات بالوالدين وببدائلهم وبالمثل العليا الجماعية، وما يدفع الأنا لتشكيل مثالية الأنا هو التأثير الناقد للأنا الأعلى الموروث عن سلطة الوالدين، لها طابع اجتماعي تنضم إلى المظهر الاجتماعي لمفهوم الذات.(لابلانش وبونتاليس، مرجع سابق، ص 117)

عرف Freud الأنا "L'ego" كركن نفسي أعلى للذات أو مفهوم للذات ، فهو نظام عقلي مبني وبالنسبة ل Hartman الذات هي تمثيل الشخص ككل للموضوع بالنسبة له تشمل الجسد الخاص، الأجزاء الجسدية والتنظيم العقلي أيضا العناصر النفسية، لكن V.Smirnnoff يقول أنّ مصطلح الذات له فهم مختلف من الآخرين . (Hierse G,2007 , P47)

بالنسبة ل Jackobson تمثيلات الذات تشير إلى التمثيلات النفسية الداخلية، اللاشعورية، ما قبل الشعورية والشعورية للذات الجسدية والعقلية الناتجة عن الأنا، أمّا Arieti تمثيلات الذات هي مختلف الإدراكات الشعورية التّي لها رمزية فردية للشخص عن نفسه. وقد إستعمل Jackobson (1954) مصطلحات الذات العقلية، الذات الجسدية، الذات النفس– فيزيولوجية .... ركز على أنّها تمثيل نفسي للذات .

بالنسبة لـ Spitz إكتساب صورة متماسكة لهوية الذات مرتبطة بتطور العلاقات الموضوعية. هذه الصورة للطفل تنشأ تدريجيا إنطلاقا من التبادل العلائقي في الثنائية أم – طفل، يحس الطفل بجسد متكامل ومتمايز عن الآخر يميز بين الأنا (Moi) واللأنا (Non Moi). حسب Spitz تتحدد هذه العلاقة بثلاثة منظمات أساسية لنفسية الطفل الابتسامة في 3 أشهر لوجه إنسان، قلق الشهر الثامن و " اللاّ– Le Non" معارضة أمام الراشد وتأكيد للذات. هذه المنظمات النفسية من خلال العلاقة الموضوعية تسمح ببروز الذات عند الطفل في نظرية Spitz.

Mélanie.Klein :

تعرّف M.Klein (1936) الذات على أنّها الشخصية بأكملها، لا تشمل الأنا فقط، بل أيضا الحياة النزوية سميت من طرف Freud ب (الهو) (Abboud, op.cit, p 56)، بالنسبة لها عند إنشطار الموضوع، تصاب أيضا الذات لا تنشطر إلى إثنين بل تصبح مكان للصراعات النفسية الداخلية ضعف الذات.

حسب M.Klein تكوين وإستدخال الموضوع الجيد (الثدي الحسن) هو نواة أساسية للأنا، و تمثل الذات كلّ الحياة العاطفية للطفل. تؤكد أنّ الطفل يحب ضمان موضوعه أمام الكره والعدوانية ، يحافظ على توازنه العقلي، تخف حدّة الانشطار ما بين الموضوع الطيب والسيء، حيث تميل النزوات اللبيدية والعدوانية إلى التركيز على نفس الموضوع وينصب القلق المسمى خوريا على الخطر الهوامي المتمثل في الخوف من فقدان الأمّ.

فالوضعية الفصامية العظامية لها طابع اضطهادي وإنشطار الموضوع لكن تدخل الميكانزمات دفاعية كالإجتياف، الإسقاط هذا الأخير له دور أساسي حسب Klein في تنظيم الأنا،لأنه يسمح بتسلسل الخبرات المعاشة، يميز بين المواضيع السيئة والجيدة. ويمثل الموضوع كمرجع أولي للموضوع المثالي وبناء الذات المثالية، تقمص الفرد للموضوع المثالي حسب Klein يحميه ضد القلق الاضطهادي، الفرد مستعد للتمييز بين جسده الخاص عن العالم الخارجي. لكنّ Klein واجهت إنتقادات كثيرة تتعلق بـ"المعاش الهوامي" يعيق الفرق بين صورة النرجسية والتمثيلات الهوامية.

: Donald.W.Winnicott

لـ Winnicott مساهمة كبيرة في دراسة مفهوم الذات. Le Self هي الترجمة الإنجليزية للذات، وقد وصف مظهرين للذات يتمثلان في: الذات الحقيقية " Le vrai Self " والذات المزيفة " Le faux Self"

*** الـذات الحقيقـة :**الـذات حسـب Winnicott هـي وضـعية نظريـة ناتجـة عـن الحركـة العفويـة والفكـرة الشخصية، تتميز بطابع إبداعي وواقعي فالحركة العفوية والذات الحقيقة في تفاعل مستمر.

تتطور الذات إنطلاقا من الرعاية الأمومية حيث يتميز الطفل تدريجيا عن الأمّ ينتج عنه إحساس قوي بهويته، ويتكون الأنا كوحدة تتميز عن الخارج،وإنطلاقا من هنا يصبح الطفل قادر على فراق الأم و يظهر "الإعلاء" كطريقة يخضع بها للواقع وللحياة الثقافية كوسيط بين الحلم والواقع، ما يسمح للفرد أن يعيش مع ذات تحمل مظهر عفوي مرتبط بقدرته على خلق رموز.

*** الذات المزيفة :** تتحدّد الذات المزيفة بخضوع الطفل للأمّ خلال المرحلة البدائية لأنها غير قادرة على تزويد الطفل عاطفيا ومشاركته. تمنع الذات المزيفة الطفل من الإستجابة والابداع واللعب وإنجاز حركات عفوية على عكس الذات الحقيقية التّي تعد نواه الإبداع والثقافة، إلا أنها تملك وظيفة دفاعية تتمثل في حماية الذات الحقيقة.(Golse B,op.cit ,p 81) .

4-مراحل تطور مفهوم الذات :

لمفهوم الذات مراحل تطور على علاقة بالخبرات التّي يمرّ بها الفرد أثناء محاولته للتكيف مع البيئة قسّمها L'Ecuyer إلى ست مراحل أساسية من الميلاد إلى 100 سنة وأكثر. عند الرجال مثل النساء.

4-1- مرحلة بروز الذات : 0-2 سنة:

إنّ الجانب المسيطر في هذه المرحلة هو ظهور الذات من خلال سيرورة التباين بين الذات و اللاذات وأوّل ما يميز بينهما يمس الصورة الجسدية ما يؤكده Wallon أنّ الأعضاء المكتشفة تعالج في البداية كمواضيع، وفي أغلب الوقت كمواضيع غريبة عند الأطفال، يتصرف معها هذا الأخير وكأنّها ليست تابعة لجسده الخاص. فاكتساب الذات يتكوّن تدريجيا، من خلال الإتصالات الحسية المنتظمة مع

محيطه المادي يتعرف على الحدود الخارجية لجسده كذلك المعاش العاطفي بمعنى علاقة التبعية التي تربط الطفل مع أمه ثم الآخرين. من وجهة نظر M.Wincent أنّ الذات (Le self) هي وريث[1] (Le Holding) بمعنى أنّها تتأسس خلال فترة التبعية أين الطفل يتميز تدريجيا عن الأم، فالطفل هنا حسب Gunberger(1975) هو تابع لخبرات المحيط للحفاظ على كماله النرجسي (Malandain.C, 1997, P49) .هذه الإدراكات العامة للذات تبدأ بالتطور مبكرا عند الطفل من خلال رؤيته لنفسه في المرآة و يلتمس مختلف أجزاء الوجه عوض عن لمس صورته في المرآة. وهكذا كلّ هذه الخبرات مع المحيط المادي والاجتماعي لها تأثير على تطوير وتكوين فردية الطفل .

4-2- مرحلة تأكيد الذات (2 – 5 سنوات):

تتميز هذه المرحلة بإدراك حقيقي للذات، الطفل قادر علي التعبير عن ذاته من خلال مجموع الأحاسيس المستمدة من خبراته مع محيطه الاجتماعي والجسدي، تعزيز وإثبات للذات يظهرعن طريق:

- استعمال واضح للضمائر التملكية " لي، أنا،Moi,je,moi,mien "
- على المستوى السلوكي يبدي الطفل وعيه بذاته من خلال السلبية ومعارضة الآخرين
- لعب أدوار، نشاطات تقمصية " كفعل أشياء مثل الوالدين أو الأصدقاء أو مقارنته بالآخرين لتدعيم وتعزيز إدراكاته الخاصة بذاته، مثال " أركض أكثر سرعة من أصدقائي ".

وهكذا فمفهوم الذات في هذه المرحلة يظهر من خلال نشاطات تقمصية وسلوكات تأكيدية و استعمال ضمائر فردية، كلها إدراكات تشير إلى الإحساس بتأكيد الذات وأنه في تطوّر وتوسع.

4-3- توسع وتشعب الذات (5 -10 سنوات):

إن تعدّد وتراكم الخبرات (الجسدية، المعرفية، العاطفية والاجتماعية) تؤدي الي بناء تدريجي لمفهوم الذات وكذا الأدوار والاستجابات المعارضة للمحيط الدائري بالطفل تسمح له باكتساب معني داخلي يعزّز ثقته بنفسه، هذه الثقة والصور الأولى للذات مهمة لضمان الأمن القاعدي تسمح للطفل بالاندماج في محيطات أخرى كالمدرسة مثلا ولهذا تسمّى هذه المرحلة بمرحلة توسّع وتشعب الذات ذلك أنّها تحمل للطفل خبرات وإدراكات جديدة تفرض عليه إدماجها.

[1] Le holding : مصطلح لـ Winnicott يعني به الدعم الأمومي وكلّ أنماط الرعاية اليومية الضرورية لنمو وتكيف تدريجي.

انتقال الطفل من الجو الأسري إلى المدرسي وذلك بالتفاعل مع زملائه، ونوعية الإتصال مع الأستاذ، الرياضة، لعب أدوار، كفاءة أو عدم كفاءة (نجاح أم فشل) مقبولة أو مرفوضة من خلالها تتراكم وتتهيكل تدريجيا مجموعة من صور الذات ويتوسع مفهوم الهوية .

في هذه المرحلة يوسّع الطفل مفهوم إدراك ذاته وخروجه من الإطار الأسري وتوسيع الذات الاجتماعية يصبح قادر على التقييم الإيجابي أو السلبي للادراكات الأولية التّي حصل عليها.

4-4- مرحلة تمايز الذات (10-12 إلى 15-18 سنة):

يحدث هذا التمايز على مستوى عالي من النضج وتراكم الخبرات، أين يبحث الفرد عن إمتيازات واختلافات تدريجية للوصول إلى الاستقلالية وهوية كاملة. ومن بين العوامل المؤثرة في سيرورة تمييز و إعادة صياغة مفهوم الذات نجد النضج الجسدي، فالمراهق أمام التغيرات التي تطرأ على جسمه يدمجها و يتقبلها لتحقيق تكيف مقبول بالنسبة لجنسه وللجنس الآخر، هذا الاندماج للصورة الجسدية يساهم في تقييم الذات وإعطاء معنى أعمق للهوية، كما أنّ انتقال المراهق من فترة التفكير الملموس إلى مرحلة التفكير الإجرائي يجعله يعيد صياغة ذاته وفق معطيات جديدة يبحث عن التأكيد لذاته والاختلاف عن والديه برغبة في الاستقلالية المادية، تطور طريقة التفكير (فلسفة الحياة) وشخصية مستقلة عن والديه والأفراد المحيطين به.

ويأخذ التفكير في الذات عند المراهق شكل مواجهة بين الصور الذاتية للذات والصورة الاجتماعية للذات، هذا الاختلاف بين الذات والآخر يوّلد حسب R.Tomé (1972) تجاذب يرجع إلى الضغوطات الممارسة من الخارج ما أكدّته أعمال Coopersmith(1967) و Rosensberg(1965) بوجود علاقات متشابكة بين تقدير الذات ومجموعة من التغيرات كإدراكات الآباء، الأساتذة .... وقد بينوا أهمية دور الآخر في فتح الهوية الشخصية.(L'Ecuyer R,op.cit,p150)

4-5- مرحلة النضج والرشد (20-60 سنة):

في هذه المرحلة يتميز مفهوم الذات عند أغلبية نظريات تطوّر الشخصية بمجموعة من التحولات وأحداث في حياة الشخص، ويكون هناك تركيز كبير على خارج الذات أي على الجانب الاجتماعي.

فيمكن أن يكون موضوع لإعادة التشكيل مقارنة بالمتغيرات والأحداث التالية : التكيف مع المهنة أو المهنة المختارة، الكفاءة والمؤهلات في عمله، المكانة الاجتماعية والاقتصادية، القدرات الجسدية، الأدوار التي يلعبها في المجتمع، النجاح أو الفشل في الزواج ووضعيات الطلاق يؤثران على مفهوم الذات وعلى مستوى تصور الذات ما بين 40 و50 داخل الشخصية، حيث أنّه في عمر الرشد هناك تمركز أقصى خارج الذات حول المجتمع. هذا النظام يستبدل ما بين 50 و60 سنة بتمركز أكبر على السيرورات الداخلية ما أكدّه (1973) Ziller بزيادة المصلحة الاجتماعية من 6 إلى 39 سنة ونقصها بعد 39 سنة كما أعطى نتائج أخرى تبيّن زيادة تقدير الذات في 40 سنة ليبدأ في النقصان بعد ذلك.

4- 6- مرحلة الأشخاص الكبار: 60سنة فما فوق :

عموما يكون مفهوم الذات عند الأفراد في هذه المرحلة من العمر سلبي، ذلك لتأثيره بمجموعة من العوامل كالادراك الواضح لتدهور قدراتهم الجسدية التقاعد (خاصة عند الرجال) ، فقدان الهوية المهنية و الاجتماعية والحياة النشيطة، فقدان شخص عزيز، الشعور بالوحدة وحتى الهجر الناتج عن ذهاب الأبناء.

5- صورة الذات وتطور الهوية :

يمرّ بناء الهوية وصورة الذات بمراحل متعددة من الولادة إلى المراهقة، يعيش فيها الفرد مجموعة من الخبرات اليومية، والتبادلات العلائقية تؤسس وتشكّل الهوية. اهتم بهذه المصطلحات العديد من الباحثين كW.James يعتبر أنّ الهوية هي الذات مع مركباتها : " le"je كشعورية ، و" le "moi كموضوع معارف يشمل : الأنا المادية، الاجتماعية والأنا الروحية. أمّا Erikson (1950) وضع مقدّمة حول مفهوم الهوية في مجال علم النفس، وقد درس المفهوم من خلال مجموعة من المصطلحات مثل: علم النفس المرضي للهوية، أبعادها الشعورية واللاشعورية، أزمة الهوية عند الأحداث ... استعمل مفهوم المحتويات النفسية التي تشكل الهوية :

1- تعدّ " le"je كنواة أساسية للوعي بالذات. وخبرتها معاشة في تماسك ثلاثة أنواع من صور الذات : صورة جسدية للذات، صورة مثالية للذات، صورة الدور.

2- أمّا" le Moi كركن أساسي من أركان الشخصية، تمثل الأحاسيس، الانفعالات، الذكريات الاندفاعات التي تشمل اختراق الفكر لكن لا تستقبل إلاّ بعد مراقبة وحماية تدريجية بتنظيم المعلومات و إدماجها إيجابيا أو سلبيا في الهوية الفردية وتعتبر الأنا كمرجع للواقع الاجتماعي، بالنسبة لـErickson

يوجد تفاعل متبادل بين الذات والآخر فالصورة التّي يرسلها الآخرون أساسية في تكوين الهوية. (Nini,op.cit,p30)

وقد استعمل H.Wallon مصطلح الشخصانية "Personnalisme" ليتحدث به عن وعي الطفل بهويته بعد حالة لا تمايز بينه وبين العالم الخارجي، تبدأ هذه المرحلة حوالي 3 سنوات وتحتوي على ثلاثة أطوار:

1- المعارضة والتثبيط تتميز بموقف الرفض، يظهر وعي الطفل بذاته في هذه المرحلة بوضوح باستعمال جديد لضمير أنا (Je et Moi) .

2- مرحلة إغراء ما بين 4 و 5 سنوات سمّاها Wallon بفترة النرجسية. الطفل يرضي الآخرين ويحاول إغرائهم لإبراز ذاته.

3- فترة المحاكاة والتقليد بين 5 و 6 سنوات تساعد الطفل على التمييز عن الآخرين، بأن يصبح أكثر استقلالية .

وهكذا تعتبر الطفولة الأولى كمرحلة أساسية في بناء الهوية وصورة الذات تتحدد بنظرة الآخرين كإيجابية أو سلبية، وقد أشار Adler(1912) إلى هشاشية صورة الطفل في هذه المرحلة بوضع مصطلح عقدة النقص تتعلق بأمراض عضوية وتشوهات جسدية أو تقليل تقدير الذات الآتية من الآخرين، إلاّ أنّه أمام هذا الإحساس بالنقص اكتشف Adler وجود ارتباط بين ضعف العضو والتعويض النفسي إلى الإحساس بالتفوق كميكانيزم نفسي للتكيف مع الصعوبات والإعاقة، لكن لا يكون عند كلّ الأطفال فالبعض منهم تسيطر عليهم الصورة السلبية التّي يرسلها الآخر.(Michel G,2001,P155).

ركّز Freud على أهمية النرجسية في بناء صورة الذات وتقدير الذات حسب رأيه هما مترادفان. تمرّ صورة الذات بمعرفة الذات ثم تقدير الذات، مرحلة مرآوية إلى الهوية الجنسية في 5 سنوات، معرفة ذاته وجنسيته تمرّ بمعرفة جسده، وكماله (Abboud,op.cit , P64) .

وتتكوّن صورة الذات من الطفولة المبكرة، تتمثل في مجموعة من التمثيلات الشعورية أو اللاشعورية التي يقوم بها الشخص نفسه : صورة الجسد، صورة مرآوية، والقيمة التي تؤسسها خبرة صورة الذات هي عقلية، انفعالية وجسدية، الفرد يستقبل نفسه بجسده فكره وسلوكه.

وترتبط هذه الأخيرة بتقدير الذات حيث يشير Ducret أن صورة الذات هي تمثيل وتقييم الفرد يكوّنها بنفسه من خلال مختلف مراحل تطوره .(Bioya A ,Frouque D,2002,P317)

أمّا (1988) Lawrence يعرّف تقدير الذات بالتقييم الفردي، والتعارض ما بين صورة الذات المثالية أي بين معرفة الفرد لسماته الشخصية تظهر عند الطفل منذ بروز تمثيلاته العقلية، معارف يستدخلها تدريجيا تصبح كجزء من الهوية، وما يريد الشخص أن يصبح مقارنة بسماته، القيم، المثل.

وحسب لـ(1984) Dolto صورة الذات تمر أولّا بصورة الجسد، التي يعرّفها (1966) Schilder صورة الجسد هي الصورة التي نكوّنها في فكرنا عن الجسد، ومن جهة أخرى الطريقة التي يظهر بها الجسد إلى أنفسنا.(Schilder P,1986,P142)، بالنسبة لـ Dolto يصبح الطفل واعي بجسده، كيانه وخلق صورة خاصة به إنطلاقا من الاتصالات والخبرات العقلانية العاطفية مع الأمّ، فنوعية الرعاية الأمومية تسمح للطفل ببناء صورة إيجابية، ضرورية أيضا للنرجسية والإحساس بالأمن.

. (Dolto F,1984,P18.19)

يتمثل الإحساس بالأمن والاستقرار عند الفرد في الثقة بالنفس كواحدة من المظاهر الأساسية لتقدير الذات. تتأثر بتفاعلها مع المحيط الاجتماعي والتربية العائلية التي تساهم في خلق صورة إيجابية أو سلبية، مختلف الأبحاث تكشف أن الثقة بالذات نابعة عن التربية العائلية للطفل، فالدعم والتشجيع المعنوي من طرف الوالدين يخلق لدى الطفل تقدير ذات إيجابي وثقة بالذات تدفعه لتجنب الخوف و مواجهة تحديات الحياة ، وبالعكس إرسال صورة سلبية للطفل تفقده الثقة بالذات، نقص تقدير للذات، واحساس بالنقص .

1. التذكير بفرضيات البحث:

الفرضية العامة:

توجد علاقة سلبية بين سوء المعاملة الوالدية وصورة ذات الطفل

الفرضيات الاجرائية:

1- تؤدي سوء المعاملة الوالدية الي ضعف تقدير الذات.

2- تؤدي سوء المعاملة الوالدية الي الاحساس بالنقص.

3- تؤدي سوء المعاملة الوالدية الي ضعف تأكيد الذات.

2. المنهج المستخدم:

إن طبيعة البحث الذّي يقوم به الباحث يفرض عليه في كثير من الأحيان منهج معين يتلاءم مع موضوع البحث وأهدافه، للوصول إلي نتائج دقيقة وعلمية تمكنّه من فهم الظاهرة المراد دراستها. والمنهج هو مجموعة من الإجراءات لدراسة ظاهرة أو مشكلة البحث واستكشاف الحقائق المرتبطة بها والإجابة علي الأسئلة التي أثارتها مشكلة البحث. ولهذا من الضروري استخدام منهج باعتباره الطريقة التّي يتبعها الباحث في دراسة المشكلة لاستكشاف الحقيقة الكامنة خلف الظاهرة.

وقد اعتمدنا استخدام المنهج الوصفي الإكلينيكي الأكثر ملاءمة لأهداف بحثنا الذّي يصفه Lagacheعلي أنّه :" من أساسيات المنهجية يكمن في الفردية وفي صدق الملاحظة، البحث عن معاني وأصل الأفعال، الصراعات وطرق علاج هذه الصراعات. فهو أسلوب يستعمل الملاحظة لكلّ ديناميكيات شخصية المفحوص: طبيعة الاضطرابات، الصراعات النفسية ، الحيل الدفاعية اللاشعورية، الملاحظة لدراسة الحالة، المقابلة، الاختبارات أو السلالم التقييمية". (Vezin,J.F,1994,p.32) .

تقوم المنهجية الإكلينيكية، الكيفية علي دراسة الحالة حسب Lagache." نتيجة الاستقصاء النفسي هي تاريخ الحالة" (Pedinielli J.L,Fernandez L,2007,p.59) يعتبر الدراسة الإكلينيكية للحالة يجب أن تقوم علي مجموعة من المعطيات، ولا يمكن لأيّ حالة أن تمرّ دون تحليل وملاحظة خلال لقاء شخصي مع المختص النفساني ويوافقه في الرأي Anzieu يركز هو أيضا علي تاريخ الحالة. وتعتبر دراسة الحالة كانطلاقة استكشافية مع وصف تفصيلي لشخص أو فوج صغير من الأشخاص، يقوم حول الملاحظة المعمقة للسلوكات بتطبيق اختبارات اسقاطية صارمة، تشمل معلومات حول طفولة الفرد المبحوث، أحلامه، هواماته وخبراته وأيضا آماله وتطلعاته. (Travis C,Wade C, 1997,p.39). هذا وقد اعتمدنا في بحثنا علي مجموعة من الوسائل لدراسة كيفية ودقيقة لبعض الحالات: كالمقابلة و الملاحظة الاكلينكية وأخيرا الاختبارات الاسقاطية.

2- 1- الملاحظة الإكلينيكية:

بالنسبة ل Pedinielli مشروع الملاحظة الاكلينيكية في إطار البحث : " ..... يكشف عن ظواهر سلوكية متعددة" ، يظهر معناها من خلال العودة إلي الدينامية، تاريخ الموضوع ومجاله،

فالملاحظة في هذه الحالة تتعلق بمجموع السلوكات اللفظية وغير اللفظية، التفاعلات في مرجعها الموضوعي والذاتي". (Toskini D,2008,p.40).

والملاحظة كمرحلة أساسية في كلّ الخبرات وتجارب الباحث تشمل الوصف والتحليل والإجابة علي بعض الأهداف خلال جمع المعطيات. ومن جهتنا فقد اعتمدنا علي الملاحظة المباشرة للموضوع كأداة علمية مكمّلة لمقابلاتنا مع أطفال ضحايا سوء المعاملة بتسجيل السلوكات اللفظية أو غير اللفظية الحركات، اللزمات وتعبيرات عن الحصر، القلق، الخوف أمام الصمت. كما اعتمدنا عليها أيضا خلال تطبيق الاختبارات الاسقاطية.

2-2- المقابلة الاكلينيكة:

تعتبر المقابلة الإكلينيكية من التقنيات الأساسية لدراسة الحالة وفهم معاش الفرد، استدلالاته و دوافعه. تعرّفها C Cyssau: " كفعل اتصالي بمعني تبادل الكلام بين الأشخاص مع واحد أو أكثر في حالة المقابلة مع الأفواج". (Cyssau C,2003 , p.43)

فالمقابلة الاكلينكية إذن عبارة عن لقاء يتم بين الأخصائي النفسي القائم بالبحث وبين الفرد أو موضوع البحث، في هذا اللقاء يتم تبادل الحديث بينهما تقع علي الأخصائي مهمة توجيه الحديث وقيادة المقابلة بحيث يتم خدمة الغرض منها المتمثل في الوصول إلي عمق الشخصية ومستوياتها اللاشعورية و كوامن دوافعها واستعداداتها، وقد اعتمدنا في بحثنا هذا علي المقابلة البحثية النصف الموجهة بهدف السير في اتجاه واضح وبأقل توجيه وضبط للأسئلة مع المحافظة علي حرية تعبير الحالة عن رغباتها و دوافعها توافق مخطط عمل خاص ببحثنا. ويقترح في هذا الصدد R.K Metron وآخرون بعض الخطوات الأساسية التّي يمكن أن يسترشد بها الباحث للقيام بهذا النوع من المقابلة تتمثل في:

- تحديد الأشخاص الذّين سوف تجري معهم المقابلة، والذّين مارسوا خبرة معينة أو شاركوا في موقف اجتماعي معين يرتبط بموضوع الدراسة.
- يحلّل الباحث الموقف الذّي يدرسه تحليلا مبدئيا بهدف التعرف علي عناصره الأساسية و أنماطه وشكله العام.
- يعد الباحث دليلا للمقابلة يتضمن جوانب هامة ويسعي إلي استفسارها في المقابلة.
- ترتكز هذه المقابلة علي الخبرات الذاتية للأفراد الذّين تعرضوا للموقف سابقا.

هذا النوع من المقابلة يسمح بالتعبير الحرّ، من خلال تحديد أسئلة مفتوحة نصف موجهة، فردية تتلاءم مع إشكالية بحثنا ينتظر من الإجابة عنها جمع أكبر قدر ممكن من المعطيات. فقد كانت مقابلاتنا متمركزة علي محاور أساسية تتعلق بنوعية الدينامية العلائقية آباء– أطفال، أشكال الاعتداء الأكثر الممارسة علي الطفل، المعاش النفسي للطفل المعتدي عليه وأخيرا تأثيرها علي الضحية برصد الأعراض الظاهرة وخصوصا نظرة الطفل إلي ذاته.

وفي إطار إجراء المقابلة نصف الموجهة أردنا خلال عملنا معرفة آراء ومواقف مختلف المختصين المتدخلين في حماية الطفولة حول ظاهرة سوء معاملة الطفل، هم علي علاقة مباشرة بميدان العمل من خلال كشفهم، تشخيصهم والتكفل النفسي، الاجتماعي الطبي والقضائي بهاته الفئة من الأطفال. فقد اتصلنا بمجموعة من المختصين في مجالات متنوعة " الطبيب الشرعي، طبيب الأطفال، طبيب الصحة المدرسية، قاضي الأحداث، المختص النفسي، المربية الاجتماعية والمعلمين...." أمكننا من تحديد درجة خطورة هذه الظاهرة ونوعية أنماط التدخل من طرف كلّ مختص ورصد مجموعة من الاقتراحات قصد التكفل بهؤلاء الأطفال علي كلّ المستويات الطبية، النفسية والقضائية للتقليل والوقاية من هذه الظاهرة.

2– 3– الاختبارات الاسقاطية:

تعتبر التقنية الاسقاطية طريقة أو منهجية لدراسة الشخصية حسب Frank يواجه خلالها الفرد وضعيات يجيب فيها تبعا لإحساساته والتعبير عن عالمه الخاص. ولقد اخترنا تطبيق الاختبارات الاسقاطية " اختبار رسم العائلة " لماذا هذا الاختبار؟ ذلك لما له من مكانة هامة، فمن خلال رسم الطفل للعائلة يسقط النمط العلائقي والعاطفي للوالدين يكشف عن محتوي لا شعوري جدّ ثري بالتعبير عن كلّ ماله علاقة بعالمه الداخلي ما بيّنه Frank بوجود عالم ذاتي داخلي في كلّ فرد واسع وخاص. يسمح لنا الاختبار باكتشاف سيرورته الدينامية. رسم الأطفال في الاختبارات الاسقاطية يكشف محتواه عن مظهر ظاهر وآخر كامن حسب C.Chabert :" الموضوع يجد نفسه في مواجهة لمتطلبات مزدوجة: بين تنظيم ومعالجة في مرّة واحدة لعالمه الداخلي ومحيطه". (Marcilhacy C., 2009, p.52).

2-3-1- اختبار رسم العائلة:

اختبار العائلة هو اختبار إسقاطي يستعمل فيه الطفل الرسم للتعبير عن ميولاته ورغباته حسب Corman:" يسمح بالتعبير عنها بحرية للكشف عن الصراعات، الهوامات والأفكار الشعورية و اللاشعورية ".

أمّا F.Minkowska تقول:" اختبار رسم العائلة هو طريقة للتعبير المفضل عن الصراعات العائلية .(Widlocher.D, 2002,p209) ويؤكد(1990)Boulanger في هذا الاتجاه أنّ الرسم يكشف عن إسقاط صور المحيط المبنية من طرف الطفل يقول: "الأشخاص أو الأشياء المرسومة هي تمثيلات رمزية لمعاش الطفل وعالمه النفسي" (Jonescu C.J ; Lachance J; 2000, P20) .يعود أوّل استعمال لاختبار رسم العائلة لـ(1938)Tranbe في عملها مع الأطفال ذوي طباع صعبة بهدف تشخيصي، لكنّ الفضل يرجع إلى Porot في محاولته إعطاء تعليمة خاصة بالاختبار بعبارة : "ارسم لي عائلة" ، إلاّ أنّ Corman(1964) أدخل تعديلات مهمة على اختبار رسم العائلة لـPorot فقد غيّر العبارة إلى :" ارسم لي عائلة خيالية" أو " تخيّل لي عائلة من اختيارك وأرسمها هنا" ثمّ إجراء مقابلة بعد الانتهاء . إلاّ أن P.Berellon فضّل استعمال متتالي لتعليمة Porot و Corman برسم عائلة ثم عائلة خيالية (Foughali M.J,1984, P53.54) نطلب من الطفل في العائلة الخيالية كـ Corman تعيين كلّ الأشخاص باسمه، جنسه، عمره، دوره في العائلة، ويحكي لنا عن عائلة أحلامه بطرح مجموعة من الأسئلة مرافقة بعد كلّ جواب بلماذا ؟

- من هو الأكثر طيبة في العائلة ؟
- من هو الأقل طيبة في العائلة ؟
- من هو الأكثر سعادة في العائلة ؟
- من هو الأقل سعادة في العائلة ؟
- وأنت من تريد أن تكون في هذه العائلة ؟ سؤال يتعلق بالتقمص كما يمكن أن نكمل ببعض الأسئلة مثل: واحد من العائلة لو لم يكن طيبا ماذا تفعل له كعقاب ؟ (Corman L, 1961, P19.21)

هذا الرسم للعائلة يعبر حسب Widlocher عن القيمة الاسقاطية للمحتوى الظاهر(الشعوري) أو المحتوى الكامن (اللاشعوري) .

يتم هذا الاختبار بمجموعة من الشروط حدّدها Corman تتمثل في :

- وضع الطفل في طاولة تناسب سنه وقياسه مع ورقة بيضاء وقلم رصاص وأقلام ملونة و محاولة تشجيعيه بالاستغناء عن الممحاة والمسطرة .

- على المختص النفسي أن يكون قريب من الطفل حتى لا يعطيه إحساس أنه مراقب، مع تشجيعه له وتوضيح إضافي إذا طلب الطفل ذلك .

- تسجيل الإخصائي لبعض الملاحظات أثناء الرسم، كالتثبيط عند الطفل قبل رسم أي شخص، الجهة التي بدأ الرسم فيها، الشكل، الحركات المزاجية ....

أما لتفسير الاختبار فهو يركز على ثلاث مستويات :

- على المستوى الخطي
- على المستوى الشكلي
- على مستوى المحتوى

2-3-2- اختبار GPS لـ René L'Ecuyer" من أنت؟"

نشأة إدراكات الذات: "Genèse des Perceptions de Soi "

يتعلق هذا الاختبار بدراسة تطور مفهوم الذات من الطفولة إلى غاية الكهولة، تحت شكل تعديلات في مجموعة مدركات أساسية وثانوية خلال كلّ الأعمار. طريقة "Le "GPS مستمدة من تقنية ? Who are you لـ(Bugental et Zelen(1950، حيث و ضع Bugental تقنية Le WAY رغبة منه في اكتشاف طريقة استقبال الأفراد لأنفسهم من خلال وصف ذاتي حر.

تسمح طريقة "Le "GPS بإعطاء الفرد الفرصة للتحدث عن ذاته بحريّة تامة، لمدّة طويلة أو قصيرة، وقد تمّ تعديل الاختبار على أساس تطبيقه على أطفال 3 سنوات وأيضا المتخلفين ذهنيا، دون أن ننسى الأشخاص الكبار في السن إلى غاية 100سنة، يمارس بطريقة شفهية مع الأطفال والكهول و كتابيا مع المراهقين والراشدين .

طوّر L'Ecuyer طريقة "Le "GPS، بتأسيس مرحلة ثانية في الاختبار تتمثل في طلب من الموضوع ترتيب المعلومات، واختيار الأكثر أهمية في كلّ ما قاله. يظن L'Ecuyer أنّ هذا الأسلوب يعطي نتائج جدّ مرضية، والادراكات المحكوم عليها من طرف الموضوع أنّها الأكثر أهمية هي كمرجع أساسي يبيّن لنا الادراكات المركزية. تتمثل هذه التعليمة الجديدة لـ"GPS" في :

- من أنت ؟
- صف لي نفسك كما تراها ؟
- بدون أخذ بعين الاعتبار ما يفكره الغير بك.
- قل كل ما تستطيع حتّى ولو يظهر صعب.
- قلت أشياء كثيرة على نفسك.
- حاول تصنيفها أو ترتيبها حسب أهميتها.

هذه التعليمة الأخيرة التّي تبناها L'Ecuyer في تقنية "Le "GPS تشمل :

المرحلة الأولى سؤال :"من أنت؟" وفي الثانية: " قلت أشياء كثيرة عن نفسك حاول ترتيبها حسب أهميتها". اختيارنا في هذا البحث لاختبار "Le "GPS لـ L'Ecuyer يرجع إلى :

- مرونة تطبيقها في كلّ الأعمار (الأطفال، راشدين، كهول) وتطبيقه على كلّ المستويات الثقافية والعقلية.
- القدرة على كشف المنظمات الهرمية (البروفيلات)، وأيضا الادراكات المركزية والثانوية في مفهوم ذات المبحوثين .
- إشارة إلى المحتويات الشعورية واللاشعورية بعمل تحليل مفصّل.

3- اطار البحث:

لقد قمنا بانجاز الجانب التطبيقي لهذا البحث علي مستوي المدارس الابتدائية بوحدات الكشف والمتابعة " UDS" لولاية قسنطينة. دامت الدراسة الميدانية لمدّة 6 أشهر ابتداءا من تاريخ 2010/11/9 الي 2011/04/25 علي 4 أطفال تتراوح أعمارهم ما بين 7- 11 سنة (2 ذكور و2 بنات). أجرينا خلالها مع الحالات مقابلات نصف موجهة ذات طابع اكلينيكي وقد تعذّر علينا اجراء مقابلات مع آبائهم لرفضهم الحضور الاّ في حالة واحدة .

الحالة الأولي " نصر الدين" يبلغ من العمر 7 سنوات، أجرينا معه 6 مقابلات الاّ أنّه لم يتم خلالها جمع المعلومات الضرورية هذا لصمته في أغلب الأوقات يفضل الرسم كوسيلة للتعبير. فوجهنا استدعاء الي الوالدين وهذا للاستفسار أكثر عن الضحية وقد حضرت الأمّ التي كان لنا معها 3 مقابلات واعية بكلّ الظروف السيئة المحيطة بالطفل تحاول مساعدته بشتي الطرق.

الحالة الثانية" ليلي" عمرها 11 سنة، أجرينا معها 4 مقابلات جمعنا عن الحالة كلّ المعلومات الضرورية بطرح أسئلة نصف موجهة مع مساعدة المعلمة المتابعة لها لمدّة 5 سنوات ابتداء من السنة الأولي. دون حضور للوالدين بعد انفصالهما الأمّ تقطن بولاية خارج قسنطينة أمّا الأب يرفض أي اتصال سواء بالمختصة النفسانية المتابعة للفتاة أو المحيط المدرسي.

الحالة الثالثة " مني تبلغ من العمر 8 سنوات ، كشفت لنا المعلمة عنها ذلك أنّ الفتاة أفصحت لها عن معاناتها من ظروف سيئة علي علاقة بالأب المسئ المعاملة. أجرينا معها 5 مقابلات بحثية.

الحالة الثالثة " أيمن" عمره 11 سنة كشف بنفسه عن تعرضه لسوء المعاملة من جهة الأب، كانت لنا معه 3 لقاءات، دون حضور للوالدين الأب غائب في أغلب الأحيان، أمّا الأمّ لا تخرج من البيت كون أنّ المنطقة التي يقطن بها محافظة يرفضون خروج المرأة حتّي للسؤال عن قضايا أطفالها.

1. حالات الدراسة :

خلال محاولتنا للكشف عن حالات للدراسة واجهنا صعوبات كبيرة في ميدان العمل، بغية الحصول علي أطفال ضحايا لسوء المعاملة الوالدية. نظرا لارتباط هذا المفهوم بثقافة المجتمع ومختلف الأساليب التربوية، مثلا في المجتمع الجزائري العقاب الجسدي يعتبر كوسيلة تربوية. وفي حالات عديدة رفض الطفل الافصاح عن تعرضه لسوء المعاملة داخل الاطار العائلي.

فقد سجلنا 4 حالات(2 ذكور و2 بنات) بالرغم من مساعدة بعض وحدات للكشف والمتابعة بولاية قسنطينة والتّي تشمل " طبيب الصحة المدرسية كمسؤول أساسي عن الصحة العمومية للأطفال المتمدرسين، خلال زياراته المنظمة يسجل آثار ضرب أو حرق علي مستوي جسد الطفل والذّي يوجهه مباشرة إلي المختص النفساني بدوره يكشف عن أعراض سلوكية، اضطرابات في التكيف، عدوانية، تبول أو تبرز لا إرادي.... كلّها أعراض ناتجة عن سوء معاملة الوالدين للطفل.

وما يميز الحالات المدروسة:

- أنّهم ضحايا لسوء المعاملة من طرف الوالدين أو أحد منهما.
- العمر ما بين 7 إلي 11 سنة.
- كلّهم متمدرسين.
- المستوي الدراسي ما بين متوسط وضعيف.
- المستوي الاجتماعي– الاقتصادي متوسط.

ملاحظة رقم 01 : نصر الدين

1- تقديم الحالة :

نصر الدين هو طفل يبلغ من العمر 7 سنوات، يدرس في السنة الثانية ابتدائي، له الرتبة الرابعة في عدد الإخوة 6 (4 ذكور و2 بنات)، الأمّ ماكثة في البيت والأب يعمل بنّاء. يتعرّض نصر الدين لسوء المعاملة "اعتداء وإهمال" من طرف الأب المتعاطي للكحول. وقد أكّدت الأمّ خلال المقابلات أنّ نصر الدين هو الأكثر عرضة للاعتداء من طرف الأب أكثر من إخوته ودون أسباب واضحة، هذا منذ إتيان الأب به من عند العمّة في عمر عام ونصف بعد أن تبنته فور ولادته.

كما صرّحت الأمّ عن سوء معاملتها للحالة مبرّرة هذا بعدم رغبتها في إنجابه وبهذا عدم قدرتها على تبني سلوكات ايجابية وتزويده بالعاطفة والحنان كالإخوة الآخرين.

- **السوابق العائلية:** أب يتعاطي للكحول.
- **السوابق الشخصية:** تعرّض " نصر الدين" في عمر العام ونصف لأزمات تشنجية لمرّات عديدة، لكن دون ترك آثار سلبية أو اصابة مخية.

2- ملخص المقابلات مع الحالة :

أوّل اتصال مع " نصر الدين" كان داخل القسم، وقد لاحظنا جلوسه في آخر الحجرة لوحده مبرّرة المعلمة هذا بعدوانيته اتجاه الزملاء، شروده وعدم امتلاكه لقدرات كافية تؤهله للدراسة والنجاح.

خلال إجراء المقابلات البحثية مع " نصر الدين" بالمكتب الخاص بوحدة الكشف والمتابعة، والتّي تتمثل في 6 مقابلات، لاحظنا أنّه نادرا ما يتكلم، ففى كلّ لقاء أوّل كلمات يتلفظ بها: " قريت وكتبت " فقط والطريقة الوحيدة التي يعبّر بها عن أحاسيسه، انفعالاته ودوافعه كوظيفة سميائية هي" الرسم" بقوله باستمرار: "حاب نرسم"، إلا أنّه خلال هذه المقابلات أفصح عن تعرّضه لسوء المعاملة بأشكالهاالمختلفة من طرف الوالدين خاصة الأب المتعاطي للكحول. كما ذكر ضرب كلا من الأمّ والأخ الأكبر له.

في المدرسة يقضي "نصر الدين" وقته في الفترة الصباحية جالسا في آخر القسم، منطوي لا يتحدّث في المطعم مع الزملاء، له نظرات ثابتة وابتسامة غائبة، إلاّ أنّه أحيانا ما يخرج للعب أوقات الراحة مع بعض الأصدقاء، وفي الفترة المسائية ينام إلى غاية الثالثة.

هذه هي يوميات الطفل منذ دخوله المدرسي، هذا ما جعلنا نوجه استدعاء لولي أمره بعد موافقة المدير للاستفسار أكثر عن حالته وقد حضرت الأمّ فقط كما قال به المدير والمعلم وهذا منذ بداية السنة.

3- ملخص المقابلات مع الأمّ (حكاية العميل) :

نصر الدين هو طفل غير مرغوب فيه من طرف الوالدين خاصة الأمّ تقول: "جاء للحياة غلطة " في ظروف حمل غير ملائمة ومرض الأمّ منذ بداية الحمل به إلى غاية الولادة بظهور: "أعراض إكتئابية، قلق، حصر، بكاء، فقدان الشهية ...."، بعد الولادة مباشرة بـ7 أيّام ورضاعة طبيعية في هذه المدة سلّمت الأمّ" نصر الدين" للعمّة وهذا وفاء بالوعد بينهما وبرضي الأب أيضا. قامت العمّة برعايته لمدّة عام ونصف التّي تصفها الأمّ :" عمتو "باردة" ما تحبوش، ما تحنش عليه، توكلو برك ...." علي عكس زوجها المحب للطفل. بعد حمل العمّة وولادة طفلها، عاد الأب "بنصر الدين" إلي البيت بطريقة فجائية، عنيفة وبعد مشاكل كثيرة مع الإخوة.

خلال المقابلات مع الأمّ تحدثت عن ضعف النتائج المدرسية لـ "نصر الدين" وعدم استيعابه الدائم وقد أبدت خوفا وقلقا من إمكانية إصابته بتخلف ذهني. كانت الأمّ غاضبة ومحبطة أمام الظروف السيئة التيّ تعاني منها العائلة، فقد صرّحت عن قسوة وعنف زوجها المتعاطي للكحول اتجاهها واتجاه أطفالها إلا أنّها ركزت أساسا على نوعية العلاقة السيئة التّي تربط الأب و"نصر الدين" هذا بضربه المبرح له دون أسباب واضحة بكلّ الوسائل وشتى الطرق " العصا، الركل، رميه بالحائط، إهمال، قسوة عقليه بالرفض والتهديد والاحتقار....." كلّها أشكال ممارسة بصفة دائمة على الضحية تقول وكأنّ الأب يمتلك اتجاه الطفل حقد كبير، كره ورفض كلّي له.

وفي استفسارنا عن التطور الحسي الحركي، اللغوي وإمكانية إصابته بأمراض تقول الأمّ أن كلّ الاكتسابات تمّت مبكرا: المشي، النظافة، اللغة، إلا أنّه تعرّض إلى "أزمات تشنجية" لمرّات عديدة، أطلقت عليها اسم " خو الأولاد[1]" مؤكدّة أن هذه التشنجات لم تترك أي آثار سلبية أو إصابة مخية علي الطفل.

وصفت الأمّ "نصر الدين" بالمنطوي حيث يجلس لوحده دون الدخول في حوارات واتصالات العائلة قليل الكلام واللعب، مهمل لمظهره وأدواته المدرسية. أمّا عن علاقته مع الإخوة فالأمّ شفقة منها

(1)خو الأولاد : مرض يصيب الأطفال، يتمثل في نوبات صرعية يفسر بالمجتمع الجزائري أنّه مرض يحدث جرّاء أعمال الجنّ و الشياطين علاجه الرقية أو "الطالب" دون اللجوء الي الطبيب.

تمنعهم من ضربه إلاّ ضرب الأخت له بعد عودته من بيت العمّة بدافع الغيرة التي كانت تبلغ من العمر 4 سنوات. أمّا الأب فالأمّ لا تملك القدرة علي منعه من ضرب "ن"، كما تشكو إهماله المادي والمعنوي للطفل وترجع عدم قدرته على الاستيعاب والنجاح في دراسته أوّلا إلى الأب نتيجة ضربه بعنف ودون رحمة خاصة على منطقة الرأس. على عكس الأمّ المراقبة للباسه، أكله، دراسته إلا أنّها أفصحت بدورها عن شكل آخر مخفي من سوء المعاملة يتمثل في الحرمان العاطفي. بقولها :" ما نقدرش غير حاجة واحدة باه نحضنوا، نسلّم عليه ما نقدرش" .

كانت الأمّ تصف نفسها بالمرأة الفاشلة في زواجها وحتّى في تنشئتها لأطفالها في قولها:" نحس روحي فاشلة، صح أنا فاشلة " إحساسها بالنقص ناتج عن عدم قدرتها للبلوغ بأيّ طفل إلى مستوى تعليمي يشرفها أمام أمهات الآخرين وخاصة الطفل " نصر الدين"، حيث أظهرت شفقتها على الحالة كضحية للظروف العائلية التّي مرّ بها منذ حملها به إلى ولادته وانقطاعه عن العمّة بعد عام ونصف. ظهور حصر، قلق وأعراض إكتئابية لدي الأمّ برغبة منها في الانتحار، تشكو معاناتها مع الزوج العنيف، المثل أو القدوة السيئة للأولاد، المهمل والمتعاطي للكحول فهو بالنسبة لها العامل الأساسي في دمار العائلة وتفككها. تأكيد الأمّ الدائم على سوء معاملة الأب إتجاه "ن" بقولها:" يفش زعافوا غير في نصر الدين برك، علاه ما نعرف". كما أنّها واعية بحرمانها للطفل من العاطفة والحنان ما سبّب لها إحساس بالذنب إنقلب إلى شفقة وخوف كبير على مستقبله، وفي هذه الوضعية والأحداث الصدمية التي تؤثر سلبيا على المعاش النفسي للطفل ترغب الأمّ في إبعاده عن الأب بوضعه في مركز خاص، بقولها : " حابة نبعدوا على باباه راح يقتلوا غير هو".

- **الأعراض:**

- الانطواء: يظهر في التصدي للعالم الخارجي وضعف الاتصالات الاجتماعية.
- مص أصبع الابهام.
- حالة اكتئابية تظهر بالقلق، الحصر، بكاء.
- فقر في اللغة والعواطف، عياء نفسي
- برودة ولامبالاة حادّة واهمال لمظهره واتصالاته مع العالم الخارجي.
- ضعف في الاستيعاب والأداء المدرسي.

- **مستوي التثبيت:** تثبيت أولي في المرحلة الجنينية يظهر في وضعية نومه داخل القسم، و تثبيت ثانوي في المرحلة الفمية من خلال مص أصبع الابهام.
- **ميكانيزمات الدفاع:**

النكوص: نكوص (ن) الي المرحلة المرحلة الجنينية يظهر في وضعية جلوسه ونومه.

انكار الواقع: يظهر في الانكار لوجوده داخل العائلة بفقدان كلّي لقيمة الذات.

- **التشخيص:** اكتئاب طفولي.

4- تحليل المقابلات :

نصر الدين هو الطفل الرابع في عدد الإخوة (6) يمتلك جسد نحيف، وجه شاحب. أوّل لقاء معه كان جدّ صعب أعين في الأسفل وصمت كلّي في عزلة يرفض أي اتصال، إلاّ أنه ابتداء من المقابلة الثانية بدأ في التحدث، وما يميزه عن الحالات الأخرى: فقر في التعبير وكان يفضل الرسم الطريقة الوحيدة التّي يعبر بها عن أحاسيسه وانفعالاته. خلال مقابلاتنا مع الحالة تحدّث عن الأب المتعاطي للكحول وسوء معاملته له يقول :"يضربني بالعصا ويجيب معاه قرع يشربهم، يسكر في الدار".

نصر الدين هو طفل غير مرغوب فيه خارج إطار مشروع والدي يكشف عن نقص حقيقي و ككبش فداء في هذا النسق العائلي المغلق: أب كحولي معتدي وأم رافضة له أزاحت الإحساس بالفشل في الزواج، نقص العاطفة اتجاه الزوج، الإحساس بالنقص إلى الطفل كموضوع مضطهد تتجنّب معه كلّ الاتصالات مع الشعور بالذنب. تعيش الأمّ حسب R.Andrau: " اختلاط الامتنان والاستياء" .(winnicott, op.cit ,p634)

غياب مشاعر إيجابية عند (ن) تمس أمنه واستقراره، العزلة وضعف التفاعل الاجتماعي يرجع إلى فقدان الأمن العاطفي واضطراب العلاقة الثنائية أمّ–طفل حسب Freud تتأسس العلاقة الموضوعية من خلال التفاعل بين الأمّ والطفل وانطلاقا من حاجات الرضيع ورد فعل المحيط وعلي أساس العلاقة مع الموضوع اللبيدي تتكوّن المواضيع الداخلية كنماذج للعلاقات الاجتماعية.(Spitz R ,op.cit, p5)

تعرّض نصر الدين خلال 3 سنوات الأولى إلى تجارب صدمية مبكرة خلّفت له ضعف و هشاشية، إحباطات وآلام جسدية مفروضة عليه لا يسمح حتّى للأنا بنائها، فراق متعدد من موضوع مرضي إلى موضوع غير مرضي كان كعائق أوّلي لتأسيس علاقات موضوعية مستقرة ودخول في حالة إكتئابية، إنطواء وحصر واضح.

يعيش (ن) حرمان عاطفي واضح من طرف الأب والأمّ خاصة كموضوع لبيدي مفضل تؤكد هذا بقولها :" ما نقدرش غير حاجة واحدة، باه نحضنوا، نسلّم عليه، نلعب معاه ما نقدرش". رفض الأمّ يظهر في عناية أمومية غير مشبعة، كذلك سوء معاملة الأب الحادة المتعاطي للكحول تقول الأمّ:" علاقة (ن) بباه مانقدرش نوصفهالك علاقة جدّ سيئة، كي يحكموا يضربوا يقتلوا، كلّي واحد حاقد عليه، كي يجي سكران ديمة هكذا". فعدوانية الأب وعدم تحكمه الانفعالي، حاجته الدائمة للإشباع بالإضافة إلى وضعية (ن) كطفل غير مرغوب فيه جعل منه أكثر عرضة للاعتداء من اخوته حسب Rouyer et Drouet :"طفل هدف"

وأحيانا ما يبدي الأب استجابة عاطفية إيجابية، في قول الأمّ:" ساعات يحكي معاه، يقولو أقرالي ..... وشوية يدور عليه يضربوا بقوة " هي حالة الأب الكحولي حسب(Rouyer et Drouet(p127 طفل الوالد الكحولي له صورة مزدوجة بين صورة إيجابية وعاطفية وأخرى عنيفة وحصرية.

- وجود الحرمان العاطفي والرمزي، العنف الجسدي، سوء معاملة نفسية، ساهمت كلّها في ظهور آثار حادّة علي التطور النفسي العاطفي لـ (ن) : فقر في العواطف، ضعف في الاتصالات الاجتماعية، ميولات نكوصية تثبيط في قدرات التعلم ناتج عن حالة إكتئابية، وضّحها M.Hanusفي كتابه Les Deuils dans la vie قائلا:" انّ الحالة الاكتئابية يرافقها تثبيط، حيث يصبح الموضوع لا يهمه شئ، عدم الاستثمار وعدم الاهتمام العام".

5- ملاحظات خلال رسم العائلة :

رسم نصر الدين عائلته الحقيقية بداية من اليمين إلى اليسار، جسّد أغلبية أفرادها مع حذف الأخت الأصغر منه، ورفض رسم نفسه من خلال سؤالنا يقول :" ما نحبش نرسم روحي" .

رسم عائلة تتكون من ستة أشخاص مشوهين: الشخص الأوّل يمثل الأخت الأكبر منه "إيمان"، الأم، الإخوة الثلاثة من الجنس الذكري وأخيرا الأب. ما يميز رسمه للأشخاص هو بدايته بالرأس، العينان، الفم، الرجلين وأخيرا اليدان، مع إضافة الأذنان والشعر للأخ الأكبر والبطن لكلّ من الأخ والأم.

5-1- تحليل اختبار رسم العائلة :

5-1-1- المستوى الخطي :

على المستوى الخطي رسم نصر الدين الأشخاص بخطوط قصيرة ، متقطعة حسب Corman دلالة على تثبيط في التوسع الحيوي وميولات قوية للإنطواء على الذات، غير مستمرة حسب Reynolds (1978) تشير إلى عدم الأمن والخوف، ما يميز الخطوط قوتها، وقاتمة تدّل على نزوات قوية عنف أو تحرر غريزي .

الرسم متمركز في المنطقة الوسطى ومن اليمين إلى اليسار دلالة على حركة نكوصية لمرحلة طفولية مبكرة بمعنى ميولات نكوصية قوية للشخصية التّي يمكن أن يكون لها حسب Corman نتائج مرضية .

5-1-2- مستوى البنيات الشكلية :

حسب Corman طريقة رسم الطفل للشخص تعبر عن تصميمه الجسدي الخاص به، كذلك العوامل العاطفية لها دور في رسم الأشخاص، من خلال الرسم يتميز العميل بطابع عقلاني حسب F.Minkowska:

- أ قل عفوية وبجزء من التثبيط والمراقبة.
- عزل الواحد عن الآخر، ووجود مسافة بينهم ما يدل على عدم وجود علاقات بين أفراد العائلة

في الشكل الرأس صغير ما يشير إلى إحساس بالعجز والنقص، وجود البطن حسب (1984) Rouyer كمؤشر مرضي، انعدام الأيدي علامة للإكتئاب وإحساس بالذنب.استعمال واضح للون الأسود يشير إلى الحصر، الحداد والشعور بالذنب أمّا اللون الأصفر يعبر عن الطّيبة.

5-1-3- مستوى المحتوى والتفسير الداخلي :

يخضع نصر الدين لمبدأ الواقع في رسمه لعائلته الحقيقية مع إنكار لوجوده ولأخته الأصغر منه

كيف نفسر ميولات وميكانيزمات الأنا ؟

أ- دفاعات الأنا ضد القلق :

النكوص : نكوص (ن) إلي المرحلة الفمية يظهر من خلال مص أصبع الإبهام، ونكوص إلى المرحلة بدائية (جنينية) يظهر في جلوسه ونومه في وضعية جنينية داخل القسم.

الإنكار : لوجوده ومركزه داخل العائلة .

*** تقييم للشخص الأساسي :**

حسب التحليل النفسي، الشخص الذي له قيمة ومستثمر من طرف الطفل هو الذي يرسمه الأول وغالبا ما يكون الوالدين، إلاّ أنّ (ن) رسم الأخت "إيمان" الأكبر منه يراها كمفضلة يتمنى أن يكون في مكانها وما يوضح هذا وضعها قريبة من الأمّ.

*** عدم تقييم للأشخاص :**

نصر الدين لم يعطي قيمة لأغلبية الأفراد في العائلة، أولا إنكار لأخته الصغري ولوجوده داخل العائلة، عدم تقييم لباقي الأشخاص والأب خاصة ذلك بإخفاء لبعض أجزاء الجسد كاليدين، الأرجل وتفاصيل الوجه كذلك رسمه في المرتبة الأخيرة، ما يشير إلى نوعية العلاقة السيئة مع الأب وفقدان الاتصال معه.

توضّح الروابط بين مختلف أفراد العائلة إسقاط للأحاسيس الداخلية إتجاه الأقارب، وعدم وجود مكانة خاصة به داخل هذه العائلة ترجع إلى الأحاسيس الأولى في عدم الرغبة به والإحساس بالذنب.

*** الروابط والعلاقات بين مختلف أفراد العائلة :**

وجود مسافة وعزل الأفراد ما يدل على عدم وجود روابط بين أفرادها حسب Corman(1970,P48) يعبر عن عدائية أو دفاع .

أ- التقمصات :

تقمص الواقع : تجسيد (ن) لعائلته الحقيقية.

تقمص الميول أو الرغبات : تقمص الأخت الأكبر منه "إيمان"، يتمنى أن يكون في مكانها أو مركزها لقربها من الموضوع المفضل له الأمّ (تقمص الذات)

ب- الاستجابة الإكتئابية :

تظهر بحذف للذات في الرسم، حسب (Corman L,op.cit ,P115) من الاستثناء القضاء على الذات كليا، فالإكتئاب الحاد هو إشارة لإبادة ونبذ للوجود. فدرجة سوء المعاملة التّي يعاني منها ليست منخفضة. والمعاناة الجسدية والنفسية مازالت حادة، وما يدّل على الاستجابة الاكتئابية أيضا استعمال للون الأسود، وعموما تتبع هذه الاستجابة بعدم تقييم وتقدير للذات .

6- تحليل GPS: من أنت؟

أنا نصر الدين (صمت طويل)، (غياب كلّي)، ما نحبش نحكي، نحب نرسم.

6-1- تقسيم وتصنيف:

- أنا نصر الدين (تسميات بسيطة).
- مانحبّش نحكي (أحاسيس وانفعالات).
- نحب نرسم (إدراج الأنشطة).

6-2- التنظيم الداخلي لعناصر مفهوم الذات:

البنيات	البنيات التحتية	الفئات
1- الذات المادية	الذات الجسدية الذات التملكية	- غيـــاب السـّـــمات والمظهـــر الجسدي - لا توجد مراجّع تخّص امّتلاك الأشخاص والمواضيع
2- الذات الشخصية	صورة الذات	- غياب التطلعات - إدراج للأنشطة"نحب نرسم" - أحاسيس وانفعالات - لا توجد أذواق واهتمامات

	هوية الذات	- غياب قدرات ومواقف - لا نوعيات ولا أخطاء - غياب الهوية إلا التسمية البسيطة :" أنا نصر الدين" - لا أدوار ومراكز
3- الذات التكيفية	قيمة الذات نشاطات الذات	- غياب الكفاءة والقيمة الشخصية - غياب استراتيجيات التكيف
4- الذات الاجتماعية	اهتمامات ومواقف اجتماعية مرجع للجنسية	- لا قابلية - غياب السيطرة والهيمنة - غياب الغيرية - لا توجد مراجع مبسطة أو إغراءات وخبرات جنسية
5- الذات واللاذات	مراجع للآخرين آراء للآخرين	- منعدمة

منذ البداية وصف الذات عند نصر الدين هو جدّ فقير، بقوله: أنا (ن)، مرحلة إدراك وتأكيد الذات تكتسب حسب L'Ecuyer من 2 إلى 5سنوات وهي غائبة عند (ن) الذّي يبلغ من العمر 7 سنوات، إلاّ التسمية الأولى: "أنا نصر الدين" ولا توجد أي مفاهيم أخرى يعبر بها عن ذاته.

تبنى صورة الذات الداخلية انطلاقا من تكوين الصورة الجسدية في نهاية السنة الأولى وفي هذه الحالة مضطربة مع انقطاع الروابط العاطفية خاصة الرابط الأول للعلاقة الإدماجية مع الأمّ. تحدث winnicott عن الإدماج والإحساس بالوحدة في السنة الأولى كشخص كلّي يتكوّن من خلال الخبرات الانفعالية والتبادلات العاطفية مع أفراد المحيط. إلاّ أنّه عند مواجهة الطفل لأوقات صعبة، فقدان، تنقطع كلّ اكتساباته وبهذا يتحطم كماله وهذه هي حالة نصر الدين فصورة الذات ضرورية للثقة بالذات وضمان الأمن القاعدي إلا أنّها غائبة.

المرحلة الثانية : تمثل مرحلة توسيع الذات تبدأ من 5 إلى 12 سنة، فئة خاصة ببناء تدريجي لمفهوم الذات عند الطفل: الخبرات الجسدية، المعرفية، العاطفية والاجتماعية تساعد على توحيد صورة

الذات هي إدراكات غنية مرتبطة بمختلف الأدوار المكتسبة من طرف الطفل، ممتلكاته وتقمصاته إلاّ أنّها غائبة عند العميل، فلا يوجد أي مرجع للعائلة، للروابط العاطفية، مراجع تخص الذات التملكية وحتّى الأمّ غائبة بالرغم من أنّها الموضوع الليبدي المفضل للطفل.

فيما يخص الذات المادية، يرى L'Ecuyer أنّها مرتبطة بالذات التملكية وهي غير محددة عند (ن) غائبة تماما، كذلك بالنسبة للمراجع الجسدية وصورة الجسد جدّ هامة حسب L'Ecuyer إلى غاية 8 سنوات خاصة للذكور وهي غائبة في هذه الحالة ما يكشف عن حدّة الاعتداء الجسدي.

- **الذات الشخصية:**

بالرغم من أنّها مركزية بين 3 و20سنة ببنياتها التحتية (صورة الذات وهوية الذات) إلاّ أنّها لم تظهر عند نصر الدين، له صورة ذات سلبية مع مستوى تقييم واحد لأنشطته في قوله "نحب نرسم".

- **الذات التكيفية:**

هي أيضا سلبية، تقييم سلبي للذات مع غياب استراتيجيات للتكيف، لا يوجد تعويض، الإستراتيجية الوحيدة عند (ن) هي التأخر والعزلة.

- **الذات الاجتماعية:**

هي أساسية في كلّ الأعمار، لكنها غائبة عند نصر الدين، لا توجد روابط ولا غيرية، علاقات اجتماعية متأخرة على كلّ المستويات.

- **الذات واللاذات:**

حسبL'Ecuyer لها أهمية كبرى ما بين 3 و20 سنة إلا أنّها غائبة عند العميل.

خلاصة عن حالة "ن":

نصر الدين هو طفل يبلغ من العمر 7 سنوات، يتعرّض لسوء معاملة والديه على مختلف المستويات: جسدية بالدرجة الأولى، نفسيةوإهمال حادّ.كان لها آثار عديدة تظهر في جدول إكلينيكي يشمل: التثبيط، الانطواء، صورة ذات سلبية، فقدان تقدير للذات والثقة بالنفس، صعوبات في التعلم، قلق

وحصر، حالة اكتئابية وميولات نكوصية، حوار فقير وإنتاج قليل جدّا في التعبير عن معاناته النفسية والجسدية مقارنة بالأطفال في عمره ظهرت إشكاليته في الرسم أكثر من المقابلات معه.

في اختبار رسم العائلة أنكر (ن) وجوده في عائلته الحقيقية بانعدام الاستثمار للطاقة اللبيدية في مواضيع خارجية وخاصة بناء علاقات عاطفية مشبعة مع الصور الوالدية، غياب الروابط الموضوعية يدّل على العلاقة السيّئة التّي تربطه بالأب والأمّ مع حضور حالة اكتئابية حادّة لها علاقة بالمعاناة النفسية والجسدية.

أمّا اختبار GPS أظهر إصابة صورة الذات والهوية في كلّ البنيات والبنيات التحتية، الفئات، الفراغ وغياب بناء للإدراكات المركزية، غياب لتأكيد الذات، جرح نرجسي وخلل في صورة الذات يظهر تشوه على مستوى الجسم في اختبار رسم العائلة حسب F. Dolto "الجسم سند النرجسة" (Grunberger B, op .cit, p242). علي علاقة مباشرة بالاعتداء الجسدي وحرمان عاطفي ظاهر لغياب الموضوع اللبيدي حسب winnicott ذات الطفل تعزز بذات الأبوان وخاصة الذات الأمومية، فالتوظيف النفسي للطفل من طرف الأمّ يعطي له الإحساس بالتقدير والاستمرار ويكوّن قاعدة أساسية للإحساس بالهوية والثقة بالذات. تكوين نصرالدين "لذات مزيفة" بروز لامبالاة، تجمد في الوجه النظرات توتر مفرط، قلق واضطهاد كدفاع عن الذات الحقيقية.

ملاحظة رقم 02 : ليلى

1- تقديم الحالة :

ليلى فتاة تبلغ من العمر 11 سنة، تدرس بالسنة الثالثة ابتدائي، هي البنت الكبرى في عائلة تتكون من 3 أطفال (فتاة و 2 ذكور).الأخ الأوّل من الأمّ الحقيقية لها، والثاني هو نتيجة الزواج الثاني للأب فور انفصاله عن أمّ ليلى، الأب يعمل تاجر، زوجة الأب تعمل بالجمارك أمّا الأمّ انتقلت إلى ولاية أخرى للبحث عن وظيفة بعد طلاقها.

تعاني ليلى من قسوة وظلم زوجة الأب سواء بالاعتداء الجسدي، النفسي والإهمال، كذلك الأب بحرمانه العاطفي والإهمال الحادّ للحالة علي كلّ المستويات هذا بأخذها مؤخرا للعيش مع الجدّة دون السؤال عنها.

- **السوابق العائلية:** انفصال الزوج الوالدي، وزواج الأب مرّة ثانية.
- **السوابق الشخصية:** لا توجد.

2- ملخص المقابلات مع الحالة (حكاية العميل)

قبل التحدث ليلي سألت أولّا عن الهوية بوصفها لي بالمعلمة، وبعد إخبارها قالت أنّها كانت تذهب إلى مختص نفساني وتوقفت مؤخرا لعدم وجود من يأخذها إلى مواعيدها مع الأخصائي.

تعاني "ل" من قسوة وظلم زوجة الأب السيئة وهذا بعد انفصال الوالدين وعدم قدرة الأمّ علي احتضانها هي وأخوها لظروف خاصة. كانت ليلى خلال المقابلات تردّد جملة: " كنت مع ماما" تتمنى العودة إلى تلك الأيامّ وهذا قبل 4 سنوات من الانفصال، تصفها الأمّ بقولها أنّها كانت امرأة طيبة، حنونة، محافظة على بيت الزوجية، مساندة للأب دوما خاصة في أموره المادية على عكس الأب المهمل والمسيء المعاملة للأمّ.

وبعد طلاق الوالدين تزوّج الأب مباشرة تقول "ل" أنّ هذا الزواج كان محضّر له، فزوجة الأب كانت على علاقة مع الأب منذ ولادة أخوها وهي العامل الوحيد في تفكك العائلة، ثمّ أخذت الأمّ "ليلى والأخ" معها بعد رفض الأب للكراء لها في المكان المراد، إلاّ أنّ الحالة عاشت في ظروف سيئة مع الأمّ

تتمثل في بقائهم في الشارع ليلا، ومصادفتهم لأناس آخرين يمثلون قدوة سيئة لأفراد المجتمع. بعد التعرض لهذه الظروف وعدم قدرة الأمّ علي حماية الطفلين عادت بهم للعيش مع زوجة الأب. التّي كانت تعامل "ل" بطريقة حسنة في البداية وخاصة أخوها، إلاّ أنها تغيرت في مدّة قصيرة بممارسة مختلف أشكال سوء المعاملة عليها: الاعتداء الجسدي،الإهمال والقسوة العقلية أو سوء المعاملة النفسية إلى غاية طردها من البيت وهذا بمساعدة الأب، تقول العميلة :" Papa ماعلابالوش بيّا خلاص، ما يصرفش علي، ما نهموش خلاص "

طردت زوجة الأب "ل" بموافقة الأب للإقامة أوّلا عند العمّة وهذا منذ 5 أشهر بعد الاعتداء الجسدي وترك آثار حادة على الرأس، الوجه وازرقاق علي مستوى العين حروق في اليدان بالفرشاة. أخذتها العمّة إلى الطبيب الشرعي لإنجاز ملف كامل وجّه إلى قاضي الأحداث وكانت أوّل جلسة في الثلاثي الأوّل من هذه السنة أنكرت خلالها زوجة الأب اعتدائها علي للضحية، وكانت"ل" غاضبة ومتأثرة في حديثها عن الأب وعدم مساندته لها، فقد وضع محامي للزوجة وطلب من(ل) أن لا تفصح للقاضي عن ضرب زوجته لها بل تقول أنّها سقطت إلاّ أنّ الحكم على زوجة الأب بالحبس لمدة 6 أشهر لم ينفذ وعوّض بغرامة مالية.

حقد وكراهية زوجة الأب للفتاة جعلها لم تستقر في بيت واحد، ذهابها للعمّة أولا وقد طردتها مؤخرا بتهمة السرقة، شاكية بها للأب الذّي صدّقها. وهي تعيش حاليا عند الجدّة التّي لا تملك حتّى القدرة على مراقبتها والاهتمام بها وحتّى الحوار أو الاتصال معها، فالجدّة مريضة وتعاني من نقص النظر وبهذا يتعذر عليها مراقبتها ، فلقد احترقت مؤخرا لهذا طلبت من الأب أخذ" ل" والحرص عليها. لكنّ الأب رفضها بقوله: " أنا ما نسحقهاش، نديها L'orphelinat وخلاص ما عندي وين نديها". خوف واضطراب "ل" في هذه الأثناء عند سماعها لكلام الأب جعلها تخرج من البيت للاختباء عند ابن عمها في المحل وهناك سقطت مغشي عليها، أخذها الأب للطبيب وصف لها أدوية لتهدئة أعصابها، ومنذ هذه الحادثة لم يرجع الأب ليرى أو يسأل عن الفتاة تقول :" داني Papa للطبيب، شرالي الدواء ومن تمّة ماجاش خلاص".

الحالة النفسية ل" ليلي" جدّ مضطربة، توتر، قلق يرجع لمعاناتها اليومية وبقائها لوحدها، حرمان عاطفي،اهمال. في القسم غير قادرة على إتباع الدروس وعدم إنجازها لواجباتها المنزلية، نتائج مدرسية ضعيفة ما جعلها تعيد السنة ثلاث مرّات متتالية.

- **الأعراض:**

- انطواء حول الذات.
- حالة اكتئابية تتميز بالحصر، بكاء وقلق.
- اهمال للمظهر العام.
- صعوبات في الاستثمار المدرسي وضعف التركيز.
- الشعور بالاهمال وعدم الأمن.
- الخوف من الهجر.
- التثبيط.
- فقدان السعادة ولذة الحياة.
- اضطرابات وظيفية(آلام بالرأس وتعب مبكر للأعصاب)

- **مستوي التثبيت:** تثبيت بالمرحلة الفمية تمثل لها رابط تعلق أساسي مع الموضوع اللبيدي المفضل.
- **ميكانيزمات الدفاع:**

النكوص: نكوص "ل" الي الماضي، يمثل لها عمر 7 سنوات العمر الذهبي يميزه احساسها بالأمن والتماسك داخل الثلاثية أم– أب– طفل.

الانكار: يظهر في نفي العائلة وعدم تقبل ذكر مصطلح عائلة.

الغيرية: يظهر الاهتمام والعناية بالآخرين في علاقتها، هو ليس حقيقي بل تعويض للنقص.

- **التشخيص:** اكتئاب طفولي حادّ.

3. تحليل المقابلات :

ليلى فتاة تبلغ من العمر 11 سنة ضحية لسوء معاملة بمختلف أشكالها من طرف زوجة الأب و إهمال حاد من جهة الأب وهذا بعد تفكك العائلة وانفصال الوالدين. ما يميز "ل" عن الحالات الأخرى هو توترها واضطرابها الدائم. في المقابلة الأولى أبدت تحفظ كبير وتردد في الكلام وبعد بداية الحديث استمرت دون توقف لمسنا خلاله حاجتها لفرد تنفس له عمّا بداخلها .

تحدثت أولا عن طلاق الوالدين وقد بكيت لمدّة طويلة، فقد أثرّ هذا سلبا على حياتها، فراق عن الأمّ وضياع موضوع الاستناد سبب لها إنهيار كلّي، وتعويضه بموضوع حبّ غير مرضي أدّى إلى ظهور حالة إكتئابية مع انقطاع العلاقات العاطفية الوالدية واعتداء جسدي مكرر من زوجة الأب.
(الضرب المبرح ، الكي على مستوى اليدين) . ظهور القلق والإحساس بعدم الأمن والهجر من جهة الأب حسب Adler: " القلق النفسي هو ناتج عن الشعور بعدم الأمن" بقول (ل) :" Papa ماعلابالوش بيّا خلاص، ما نهموش ..." وهذا بعد اصطدامها مؤخرا بخبر وضعها في مركز لرعاية الأطفال.

حضور انهيار كلّي في البناء الشخصي لأنا الفتاة ، ميولات إكتئابية ، غياب عن المدرسة ، عدم القدرة على الاستيعاب وضعف النتائج المدرسية كان هنا الجسد كممثل عن وضعيات الإحباط العاطفي والمعاناة النفسية في غياب قنوات للتفريغ أزاحتها إلى الخارج بانهيار على مستوى الأعصاب.

عاشت (ل) أحداث صدمية طلاق الأب والأمّ، ذهاب مع الأمّ سبب لها رعب وخوف بمبيتهم في الشارع وسكنهم مع أشخاص منحرفين، أحداث الجلسة مؤخرا بعد الشكوى المقدمة ضد زوجة الأب لاعتدائها الجسدي يترك آثار جدّ حادة ، أعاداتها وهي متأثره بإهمال الأب لها وخوف على زوجته بقول :" قالي Papa ما تقوليش هي لي ضربتني"، "هي دارلها محامي وأنا ماعنديش "

حوار ليلى كان جدّ ثري بمصطلحات تعبر عن معاناتها النفسية، الحرمان العاطفي، الخوف من تهديد الأب ووجودها في الفراغ، غضب عدوانية وكره اتجاه زوجة الأب.الإحساس بالعزلة هو شعور الضحية في غالب الأوقات لأنّها مهجورة من طرف العائلة. لا أحد يسمع آلامها ومعاناتها بكلّ بساطة هي منكورة.

الشعور بالنقص يرجع لرفض الأب لها بعد طلاق الأمّ ، حسب Adler : " إنّ الشعور بالنقص يسيطر على الحياة النفسية ، نجد أنّه يعبر عنه بالشعور بعدم الرضا وعدم الاكتفاء وعدم الكمول كما يسيطر على المجهودات الغير متناهية التي يبذلها الإنسان في حياته " (Grunberg B, op.cit , P257)

- اضطراب ليلى يعود إلى اتجاهين :

- فقدان الأمّ حيث أظهرت رغبة شديدة (ميولات نكوصية) بالرجوع إلى 7 سنوات الأولى تمثل بالنسبة لها العمر الذهبي وإحساس بالتماسك والاستقرار .

- إهمال وهجر الأب لها مع سوء معاملة زوجته .

4. ملاحظات خلال اختبار رسم العائلة :

رفضت ليلى لأوّل مرة رسم العائلة، لكن بعد محاولات عديدة رسمت أربعة أشخاص مع رفضها الدائم لذكر كلمة " عائلة" بقولها :" هاذو عباد وخلاص ماشي عايلة "، إلاّ أنّ هؤلاء الأشخاص حسب Bugental: "هم تمثيلات رمزية للعالم النفسي الخاص بالطفل ".

بدأت الرسم من اليسار الى اليمين بالجهة العلوية، الشخص الأوّل فتاة دون إعطائها الاسم أو العمر، في المركز الثاني طفل "ذكر" وفي المركز الثالث والرابع شخصان لهم هيئة والدية تسمّيهم "برجلا وامرأة". أمّا فيما يخص حكاية العائلة لم تجيب إلاّ على سؤالين : فالأكثر سعادة بالنسبة لها هو " الطفل" أما السؤال المتعلق بالتقمص فقد تقمصت الفتاة .

4. 1- تحليل رسم العائلة :

4-1-1- المستوى الخطي :

رسمت ليلي بخطوط خفيفة ما يدل علي خجلها، نقص تثبيط للغرائز حسب Reynolds يشير إلي عدم الأمن وميولات إكتئابية .

استعملت المنطقة اليسرى كاستجابة نكوصية نحو الطفولة تدّل حسب (1989) Kimchi إلى العاطفة للماضي، الحياة الداخلية الذكريات والأحلام. أمّا (1975)Stora تبعية وتعلق متجاذب نحو الأمّ الجهة العلوية للورقة علامة لامتداد خيالي، تمثل منطقة الحالمين والخياليين.

4-1-2- مستوى البنيات الشكلية :

أرادت ليلى استعمال المسطرة في البداية وهذا حسب Corman يرجع إلى قانون والنظام المدرسي، وجود تمييز بين الجنسين كإشارة للنضج، وجود الأسنان عند الراشدين من الجنس الأنثوي والذكري يدل على عدوانية من طرف "الأب والأمّ ".

- استعمال للألوان الأحمر يشير حسب Rouyer إلى العدوانية، الأزرق الحنان والطيبة، الأخضر إلى الأمل.

4-1-3 مستوى المحتوى والتفسير التحليلي :

ليلى لم ترسم عائلتها الحقيقية بل جسدّت أشخاص من الجنس الأنثوي والذكري فهي تخضع لمبدأ اللذة واللالذة . مع تقييم للطفل بقولها " أنّه الأكثر سعادة " إسقاط لصورة الأخ في هذا الشخص بتقييمه ورسمه أمام الأب ترى أنّه لا يزال يحظى بحب الأب في عمره 6 سنوات يمثل العمر الذهبي بالنسبة لها.

أ- دفاعات الأنا ضد القلق :

إنكار الواقع : يظهر من خلال حذفها لعائلتها، فهي تثير لديها القلق والشعور بالذنب .

ب- التقمصات :

تقمص الواقع : ليس في حالة ليلى ذلك أنّها رفضت رسم العائلة نهائيا الحقيقية أو الخيالية .

ج- انطواء نرجسي :

بالنسبة لـ Corman(op.cit,P182) أغلبية الحالات، يمثلون الأب والأمّ في الأول داخل الرسم كعلامة عن علاقة عاطفية جيّدة مع الوالدين، إلاّ أنّ ليلى رسمت فتاة هي الأولى وتقمصها يدل على انطواء نرجسي حسب Corman يشير إلى استثمار جيّد لصورة الذات لكنّ ليس في هذه الحالة فالانطواء النرجسي لـ (ل) علامة لرفض الاستثمار للصور الوالدية، خيبة أمل في بناء علاقات عاطفية مشبعة فحذفت الوالدين بالدرجة الأولى وحذفت نفسها فلم تقل أنّها "هي".

5- تحليل GPS: من أنت ليلي؟

أنا ليلي في عمري 11 سنة، نحب ماما وpapa، نكره مرةpapa ، مانيشي قبيحة، منخرجش برة، ساعات ساعات برك نخرج، عايشة عند جدتي ما تشوفش، ما نعرفش نقرا، ما نحبش العباد اللي يحقروا ، نحب الناس اللي يحبوني ونحبهم.

5-1- تقسيم وتصنيف:

- أنا ليلي (تسمية)
- في عمري 11 سنة (تسميات بسيطة- العمر)

- نحب ماما و papa (أحاسيس وانفعالات)
- نكره مرة papa (أحاسيس وانفعالات)
- مانيشي قبيحة (نوعية– قيمة شخصية)
- منخرجش برّة ساعات برك وين نخرج (أحاسيس وانفعالات)
- عايشة عند جدّتي ما تشوفش (تسميات بسيطة)
- ما نعرفش نقرا (تقييم للذات)
- ما نحبش العباد اللي يحقروا (أحاسيس وانفعالات)
- نحب الناس اللي يحبوني ونحبهم (أحاسيس)

الترتيب:

- أنا ليلي (تسمية)
- في عمري 11 سنة (تسميات بسيطة– العمر)
- نحب ماما و papa (أحاسيس وانفعالات)
- نكره مرة papa (أحاسيس وانفعالات)
- الباقي كامل في مرتبة واحدة

5-2- التنظيم الداخلي لعناصر مفهوم الذات:

البنيات	البنيات التحتية	الفئات
1-الذات المادية	الذات الجسدية	- غياب مراجع جسدية، لا تسميات و لا مظاهر جسدية
	الذات التملكية	- لا توجد إلاّ "الجدة "
2-الذات الشخصية	صورة الذات	- أحاسيس وانفعالات - نوعية واحدة - قدرات ومواقف
	هوية الذات	- تسميات بسيطة مثل: - أنا ليلي

		- في عمري 11 سنة
3-الذات التكيفية	قيمة الذات نشاط الذات	- قيمة شخصية ايجابية - غياب مراجع تخص نشاطات الذات
4-الذات الاجتماعية	اهتمامات ومواقف اجتماعية مرجع للجنسية	- لا توجد غيرية - لا توجد قابلية - غياب السيطرة والهيمنة - ولا واحدة
5- الذات واللاذات	مراجع للآخرين- آراء الآخرين	- موجودة

من خلال حوار ليلي لوصف الذات تحاول تعزيز قيمة الذات " مانيشي قبيحة" إلاّ أنّ هذا التقييم يعبر عن عدم الاندماج والضعف الداخلي.

في بداية تراكم الخبرات الجسدية، العاطفية، المعرفية والاجتماعية عاشت العميلة أحداث صدمية تشمل" الإهمال، تفكك العائلة، الاعتداء الجسدي..." تمس قدراتها في التبادلات الاجتماعية والعاطفية وادراكات عن جسدها، ممتلكاتها وتقمصاتها وكلّ العناصر التّي تخص بناء صورة الذات وهي غائبة في هذه الحالة. لا توجد اهتمامات وأذواق، لا أدوار ولا مراكز. هذه الفئة التي يعتبرها L'Ecuyer مركزية ابتداء من عمر 8 سنوات عند كلا من الجنسين.

تبدأ مرحلة تمايز الذات حسب L'Ecuyer منذ 10 سنوات وهي غائبة في هذه الحالة، تعبر ليلي عن إحساس بعدم الأمن أسقطته بكرهها للظلم في قولها: " نكره الناس اللّي يحقروا " وهذا يرجع بنا إلي صورة زوجة الأب، هذا الإحساس بعدم الأمن والهجر يشمل التماسك والاستقرار الداخلي لتمثيل الذات استجابات المحيط، الاستجابات العقابية كلها تمس قيمة الذات .

ظهور الأحاسيس والانفعالات عند ليلي تمثل 4 تشكيلات تعبر بها عن فقدان موضوع الحب " نحب ماما و papa" وانقطاع الروابط والأحاسيس اتجاه زوجة الأب والآخرين مثل: " نكره مرة papa" .

لا توجد أي مراجع تخص المحيط المدرسي والتفاعل مع الزملاء أو نوعية الاتصال مع الأستاذ، سوي التقييم السلبي لقدراتها في قولها:" ما نعرفش نقرا " ضعف تقدير للذات.

- **الذات الجسدية:**

غياب الذات الجسدية ببنياتها التحتية " الذات التملكية والجسدية" لا يوجد أي استثمار ايجابي في صورة الذات سوي " الجدّة".

- **الذات الشخصية:**

صورة الذات وهوية الذات هي إدراك مركزي إلي غاية عمر 20 سنة، لا توجد تطلعات ولا نشاطات معبر عنها، لا أدوار ولا مراكز، غياب الإيديولوجيات والهوية المجردة مع غياب الإحساس بالتماسك بالرغم من أنّه جدّ هام حسب (L'Ecuyer (op.cit p.174 عند البنات أكثر من الذكور.

- **الذات التكيفية:**

تقييم ليلي لنفسها كاستيراتجية للتكيف، بالنسبة لها انطواء نرجسي علي صورتها المكسورة المحطمة بالحرمان، الإهمال والاعتداء الجسدي.

- **الذات الاجتماعية:**

غياب مشاعر ايجابية ذات طابع ثقافي واجتماعي، لا توجد انفتاحات علي الآخرين بانقطاع الروابط لا توجد قابلية ولا سيطرة.

خلاصة عن حالة ليلي:

ليلي هي الفتاة الكبري في عائلة تتكوّن من 3 أطفال تبلغ من العمر 11 سنة، تعاني من سوء معاملة بدرجة حادة داخل الإطار العائلي كان لها آثار سلبية علي تطورها النفسي العاطفي بظهور اضطرابات و أعراض متنوعة.

(ل) هي الوحيدة في الحالات رفضت رسم عائلة إلاّ أنهّا جسدت أشخاص يمثلون عائلتها الحقيقية و هذا قبل انفصال الوالدين، أوضحت من خلال الرسم عدم وجود روابط بين أفراد عائلتها وتفكك داخلها

عدم تقييم للوالدين كموضوع تقمص مفضل للطفل حسب Corman ، فقد رسمت نفسها الأولي تشير إلي انطواء نرجسي كاستثمار جيّد في صورة الذات، إلاّ أنه يظهر العكس عند الحالة في اختبار GPS سجلنا إصابة في صورة الذات، ضعف تقدير الذات والثقة بالنفس، غياب أدوار وتطلعات للمستقبل، الإحساس بعدم الأمن والهجر يشمل التماسك والاستقرار الداخلي.

ملاحظة رقم 03 : منى

1- تقديم الحالة :

منى فتاة خجولة تبلغ من العمر 8 سنوات، تدرس في السنة الثانية ابتدائي، معيدة للسنة الثانية، هي الفتاة الوحيدة في الزواج الثاني للأب مع 3 إخوة من الزواج الأوّل للأب، أي أنّ منى هي الصغرى في العائلة. الأب يعمل بأشغال الطرقات، أمّا الأمّ لا تمارس أي وظيفة. منذ الاتصال الأوّل مع الحالة كشفت لنا عن سوء معاملة الوالد اتجاهها واتجاه كلّ أفراد العائلة خاصة الأمّ، وقد أفصحت عن زيادة اعتداءاته الجسدية والنفسية في مرحلة الغضب والهيجان نتيجة مرضه.

منى ضحية للاعتداء الجسدي والإهمال من طرف الأب، وكشاهده أساسية للعنف، معايشة متكررة لأحداث العلاقة السيئة بين الوالدين .

- **السوابق العائلية:** أب مريض، لم تذكر العميلة نوع المرض الاّ أنه يظهر من خلال المقابلات معاناته من اضطرابات نفسية.
- **السوابق الشخصية:** لا توجد

2- ملخص المقابلات مع الحالة (حكاية العميل) :

الكشف عن الحالة كان من طرف المعلمة المتابعة لها منذ السنة أولى ابتدائي، أفصحت عن معاناة "م" العام الماضي من ظروف عائلية جدّ صعبة منعتها من مزاولة دراستها في الثلاثي الأخير.

في أوّل لقاء بالحالة أظهرت (م) قابلية كبيرة للتحدث خاصة عن إعادتها للسنة الثانية وهذا يرجع إلى عنف الأب ومعاناته من مرض لا تعلم حسب قولها بنوعيته إلاّ أنّه كان عامل مباشر في سوء معاملته لها ولكلّ أفراد العائلة : كالضرب، السب والشتم في حالات هيجانه وغضبه، أوالإهمال بعد تناوله للدواء

عاشت "م" أحداث سيئة ومضطربة في العام الأول من السنة سبّبت لها انقطاع عن الدراسة

كانت نتيجتها اعادة السنة تشمل شكوك الأب وطرده للأمّ بعد اتهامها بالخيانة الزوجية كانت الحالة كشاهد أساسي لحوار الأب بقولها:" نحالها الخاتم وقالها ترقدي مع ولد عمّك".

الحالة الصحية الهشة للأب كان لها نتائج سلبية على الضحية بظهور القلق والحصر أمام الوضعية المعاشة في قولها:" ما رقدتش البارح مليح بقيت نخمم ديمة يعيط علينا، يضربني، يسبني حتي كلامو يوجع بزاف".معاناة "م" النفسية ترجع خاصة الي الكلام البذيء، الترهيب والتهديد من طرف الأب مع اهماله للعائلة علي كلّ المستويات.

وفي توجيهنا للمقابلة بالاستفسار عن إمكانية وجود إضطرابات في النوم أجابت أنّها لا تنام مرتاحة وترى كوابيس وحلم متكرر، بالنسبة لأمنياتها ترغب بشدّة شفاء الأب وانتهاء الصراعات وسوء معاملة الأب، كما أفصحت عند تكوينها لأسرة مستقبلا أنّها ستكون القدوة الحسنة لأطفالها وتمتنع عن الضرب تماما.

- **الأعراض:**

- ضعف تقدير الذات وشعور بالنقص وخجل مرضي.
- الخوف الدائم من الأب.
- عدم الثقة بالذات.
- اضطرابات في النوم: كالأرق نتيجة الاضطرابات العلائقية وخاصة منها العلاقة العاطفية مع الأب.
- قضم الأظافر.

- **مستوي التثبيت:** تثبيت في المرحلة الفمية يظهر في قضم الأظافر.
- **ميكانيزمات الدفاع:**

الكبت: كبت مشاعرها العدوانية اتجاه الأب.

التكثيف: يبرز في أحلام "م" باعادتها لكلّ التكوينات اللاواعية الناتجة عن سوء معاملة الأب.

- **الأحلام:** رؤيتها لحلم متكرر لمدة 3 أيام تقول:" نشوف ديمة عجوزة تهزني كي تخرج ماما ماتلقانيش، تديني لواحد البير كبير تجي طيشني نفطن نعيط ديمة"
- **تحليل الأحلام:** يفسر هذا الحلم برفض الأب وتهديداته للفتاة، في قولها:" يقوليpapa نطيشك، نروميك".
- **التشخيص:** حالة قلق

3- تحليل المقابلات :

المقابلة مع منى كانت متمركزة أساسا حول الحديث عن الأب المسيء المعاملة بأشكال متعدّدة " الضرب، القسوة والتهديد، الرفض والإهمال ...". هذه المواقف المسيئة أدّت إلي ظهور الخوف والرعب من الأب وأحاسيس متجاذبة إتجاهه: من جهة عدوانية لا شعورية ومن جهة أخرى حب ورغبة في شفائه من مرضه كون أنّ النوبات المرضية عامل في قسوته اتجاه كلّ أفراد العائلة واتجاه الحالة خصوصا.

معايشة الحالة للصراعات الزوجية بين الأب والأمّ حسب Diblasion et Cirillo يظهر خلالها تجسيد لدورين متمايزين واحد منهما يمثل الضحية والآخر المسيطر والطفل في هذه السيرورة له دور مشارك بسيط يعبّر عن ألمه باستجابات حصرية، هذه هي حالة (م) استمرار الصراع دفع بها لدخول الشبكة الصراعية والعلائقية للزوجان لكنّ باصطفافها نحو الأمّ يظهر في قولها:" يضرب ماما، يسّبها ما يكسيهاش ...." داخل هذه الشبكة الصراعية يتبنى الطفل دور الضحية حسب Stierli يعاني من الرفض، الاضطهاد مع نقد مستمر.

التعرض لسوء المعاملة النفسية وتشويه من خلال الكلام، السب الاحتقار والتهديد من طرف الأب أو كما يسميها مؤسسي المقاربة الاتصالية " صدمة الكلام" أثرت سلبا على منى وظهرت رمزية الخطاب على شكل أعراض سلوكية، إضطرابات في النوم وكوابيس كرؤيتها المتكررة لمرأة ترميها في البئر ترجع لتهديدات الأب للبنت في قولها : " يقولي نرميك ، نطيشك، وكلمات ماشي ملاح خلاص (....) تحرقني في قلبي بزاف وتوجعني" ،فالحلم حسب Freud هو تعبير عن المكبوت المتواجد في اللاشعور.

4- ملاحظات خلال اختبار رسم العائلة :

استعملت منى فضاء كبير من الورقة، الأماكن البيضاء قليلة، رسمت العائلة الحقيقية دون إنكار لوجود أي فرد من أفرادها، لكنّ دون احترام للترتيب الهرمي، حجم ومراكز وأدوار الأفراد هذا بحضور نمطية في الرسم .

بدأت الرسم من اليمين إلى اليسار في وسط الورقة. الأب في المرتبة الأولى، ثم هي والأخوين،الأمّ و أخيرا الأخ،استغرقت وقتا طويلا في الرسم مع التدقيق على التفاصيل الخاصة بالوجه (العينان،

الأنف،أصابع الأيدي و الأرجل ... مع حذف الشعر لكلا من الجنسين وأخيرا اختيار للألوان التي تميز بها شخصا عن آخر .

4-1- تحليل رسم العائلة :

4-1-1- المستوى الخطي :

كان الرسم بخطوط قوية ما يشير إلى نزوات قوية، عنف أو تحرر غريزي حسب Rouyer(1984) دلالة على عدوانية وعدم الرضى، خطوط مستمرة تفسر بسلوك مراقب إلى غاية التثبيط.

بدأت"م" الرسم من اليمين إلى اليسار كدلالة على حركة أو اتجاه نكوصي، متمركز بالمنطقة الوسطى كمكان لإسقاط الأنا حسب Kimchi(1989) يتعلق بشخصية صارمة وغير آمنة، هذه الصرامة أيضا تتحدد في احتفاظ (م) بنمطية في الأشكال تشير حسب Ineoscu إلى غاية عدم التمييز بين الأشخاص .(Ionescu C.J.,Lachance J ,2000 ,p57)

6-1-2- مستوى البيانات الشكلية :

تتميز العميلة حسب F.Minkowska بطابع عقلاني: أقل عفوية بجزء من التثبيط والمراقبة. نمطية وتنظيم في الأشخاص،أنظمة تتميز بالصرامة، وما يؤكد عقلانيتها أيضا الرسم بالأسود للشكل الخارجي ثم تلوين المحتوى، كما يقول Rouyer (1984) عقلانية الانفعالات ثراء في الألوان واختيار دقيق يشير إلى العاطفة القوية مع الخجل، وقد أعطى Rouyer(1984) تفسير للألوان: يمثل اللون الأحمر العدوانية، الأزرق الحنان والطيبة، الأخضر الأمل، البني التثبيط والتناقض والأصفر يرمز إلى الحكمة والخيانة. غياب الشعر عند كلا من الجنسين يشير حسب Machover إلى نقص في القوة الجسدية.

4-1-3- مستوى المحتوى والتفسير التحليلي :

رسمت (م) عائلتها الحقيقية ، هذا يدل على خضوعها لمبدأ الواقع وعدم نسيان أي فرد حتّى الإخوة من الأب تقول :" أنا نعتبرهم خاوتي،هكذا نعيطلهم " إلا أنّها لم تمثلهم بمراكزهم وأدوارهم، كشكل من الإنكار لبعض الأشخاص .

لها ميول ايجابية : تتمثل في أحاسيس القبول والحب اتجاه عائلتها .

*** تقييم الأشخاص :**

تقييم (م) لجميع أفراد العائلة من خلال الشكل، التلوين وخاصة الأب الذّي وضعته في المركز الأول وهي أمامه، إلاّ أنّ الأم بعيدة عنهما ما يدل علي كبت الأحاسيس الأوديبية، عدوانية لا شعورية اتجاه الأم مع أحاسيس الحب، فقرب (منى) من الأب وابتعاد الأمّ هي رغبة عدوانية لأخذ مكانها جسدتها في رسم العائلة، لأنه في الواقع (م) متعلقة بالأمّ أكثر وتخاف من الأب .

5- العائلة الخيالية :

في المرحلة الثانية لرسم العائلة الخيالية، الرسم يتمركز بالجهة العلوية من الورقة ومن اليمين إلى اليسار، رسم الأشخاص الواحد تلو الآخر دون وجود لعلامات تفرق بين الجنسين سوى "الاسم" ، الرسم بخطوط قوية والبنيات الشكلية في العائلة الخيالية نفسها في العائلة الحقيقية، نمطية في الرسم وعقلانية، كذلك عدد أفرادها ستة مع غياب الأب والأمّ تقول أنّها عائلة الخال : منال، حسان، ملاك، محمد، عبد العالي إلاّ مصطفى فهو غريب عن العائلة بقولها: " هذا من عندي" . رسم الأفراد مفتوحين الأيدي كما في العائلة الحقيقية يدّل على حاجتها إلى الرعاية والحماية والرغبة في الحنان .

تقييم (م) لابنة الخال "ملاك" بوصفها أنّها الأكثر طيبة في العائلة، وعدم تقييم للأمّ والأب يعود إلى العلاقة الصراعية حيث أنّها أسقطت الدور الحقيقي للأب في العائلة الخيالية تحت اسم " مصطفى" عند السؤال :

- من هو الأقل طيبة ؟ مصطفى.
- لماذا ؟ لا خاطر يضرب أولادو ومرتو.
- من الأكثر سعادة ؟ كامل إلاّ مصطفى.
- من هو الأقل سعادة ؟ مصطفى .
- لماذا ؟ لا خاطر شرير.

بروز استجابة عدوانية ، وعدائية اتجاه "مصطفى" ممثل لدور أبوي في العائلة الخيالية، بالنسبة لـ Corman أنّ الشخص الأوّل الذّي يرسمه الطفل هو موضوع التقمص، إلاّ أنّ العملية تقمصت " منال" بقولها :" حابّة نكون منال " تقمص الميول والرغبات، النجاح في الدراسة.

6- تحليل GPS : من أنت ؟

(صمت) ، أنا بنت الصادق ومنيرة ، عندي خاوتي (أميرة ، أحمد ، يوسف) ، عندي صحاباتي (فاتن وخديجة) ، أنا منى

6-1- تقسيم وتصنيف :

- أنا بنت الصادق ومنيرة (تسميات بسيطة)
- عندي خاوتي (إمتلاك الأشخاص)
- عندي صحاباتي (امتلاك الأشخاص)
- أنا منى (تسميات)

*** الترتيب :**

- أنا بنت الصادق ومنيرة (تسميات بسيطة)
- عندي صحاباتي وخاوتي (ممتلكات)
- أنا منى (تسمية)

6-2- التنظيم الداخلي لعناصر مفهوم الذات :

البنيات	البنيات التحتية	الفئات
1- الذات المادية	الذات الجسدية الذات التملكية	- غياب المظهر والسمات الجسدية - امتلاك الأشخاص الإخوة الأصدقاء
2- الذات الشخصية	صورة الذات	- لا توجد تطلعات ولا إدراج للأنشطة - لا إهتمامات أو أذواق .

	هوية الذات	– لا توجد مراجع تخص النوعيات و الأخطاء – تسميات بسيطة ، مثل : "أنا منى "، " أنا بنت الصادق ومنيرة " – انعدام الأدوار والمراكز
3– **الذات التكيفية**	قيمة الذات نشاط الذات	ولا واحدة – أو سلبية لا كفاءات – و قيمة شخصية لا توجد استراتيجيات للتكيف
4– **الذات الاجتماعية**	اهتمامات و مواقف اجتماعية مرجع للجنسية	لا توجد – غياب مراجع تخص الجنسية
5– **الذات و اللاذات**	مراجع للآخرين آراء الآخرين	لا يوجد

في الجدول الخاص بمفهوم الذات لـ" منى" هناك تحديد واضح وحضور للعائلة (الوالدين، الإخوة، الأصدقاء)، إلاّ أنه يوجد غياب على مختلف أبعاد الذات .

الصورة الجسدية الخاصة بالعميلة مخفية، لم تذكر أي سمة جسدية ولا فيريقية، غياب أي مرجع يخص الاندماج الجسدي.

صورة الذات الأولى ضرورية للثقة بالذات، هذه الثقة والصور الأولى تسمح للطفل بالاندماج في محيطات أخرى وبالتفاعل مع الآخرين أدوار ومراكز تنتظم تدريجيا في مجموعة من صور الذات وبهذا يتوسع مفهوم الهوية إلاّ أنّها غائبة تماما عند العملية .

- **بنية الذات المادية :**

لم تكشف العملية عن أيّة سمة أومظهر جسدي، بعكس طرحها للذات التملكية وعلاقتها مع الآخرين (الإخوة والأصدقاء)

- **الذات الشخصية :**

تميزت بغياب التطلعات ومشاريع مستقبلية، لا يوجد أيّ وصف للذات عند منى، لا قدرات ولا مواقف، لا توجد نوعيات وأخطاء هوية الذات غائبة لا تحمل بالنسبة لها أيّ درجة من الأهمية.

- **الذات التكيفية :**

غياب استراتيجيات للتكيف مع تقييم سلبي للذات.

- **الذات الاجتماعية :**

هي أيضا غائبة بالرغم من أهميتها في كلّ الأعمار. لا توجد غيرية وقابلية غياب السيطرة والهيمنة.

- **الذات واللاذات :**

غائبة في هذه الحالة بالرغم من أهميتها ما بين 3 و 20 سنة .

خلاصة عن حالة منى :

تعدّ الصرا عات العائلية، القسوة العقلية، الضرب والإهمال هي يوميات (م) داخل المحيط العائلي ما جعلها تفقد ثقتها بذاتها، انطواء وخجل مفرط، تثبيط وصعوبات علائقية...

في اختبار رسم العائلة رسمت عائلتها الحقيقية بنمطية وعقلانية دون إنكار لوجود أي فرد ، أمّا في العائلة الخيالية حذفت كلّ عائلتها المتكونة من 6 أفراد برسم أولاد الخال دون تجسيد الأدوار الوالدية ، الأب والأمّ وقد أضافت شخص غريب عن العائلة لدور أبوي أظهرت عدوانية وكره اتجاهه وهذا يرجع لضربه الدائم لأولاده وزوجته .

أمّا في إختبار GPS أظهرت الحالة صورة ذات سلبية ، تميزت بغياب التطلعات ومشاريع مستقبلية، فلا يوجد أي وصف ذاتي عند "م"، مع فقدان للثقة بالنفس وتقييم سلبي للذات ناتج عن حوار ثري بالاحتقار والاذلال من جهة الأب .

ملاحظة رقم 04 : أيمن

1- تقديم الحالة :

أيمن هوذكر يبلغ من العمر 11 سنة، يدرس بالسنة الخامسة ابتدائي، هو الطفل الأصغر في عائلة تتكون من 5 أطفال (2 بنات و 3 ذكور)،الأب يعمل سائق سيارة أجرة، أمّا الأمّ ماكثة بالبيت.

يشكو أيمن تعرّضه الدائم لعنف وسوء معاملة الأب بالضرب خاصة، دون اللّجوء إلى الحوار و الاتصال، مع الإهمال على كلّ المستويات والقسوة العقلية .

- **السوابق العائلية:** لا توجد
- **السوابق الشخصية:** لا توجد

2- ملخص المقابلات مع أيمن (حكاية العميل):

أيمن هو طفل ذكي، عدواني، في أوّل لقاء له أفصح عن سوء معاملة الوالد، بقوله: " بابا يعاملني بعنف" يعاني منذ الطفولة الأولى الحرمان من إشباع حاجاته الأساسية : كاللعب، الرغبة في المعرفة "الفضول"، يقول:" كي كنت صغير يقولي بابا اقعد ما تتحرك ما والو، أنا نحب نغني نصفق نزهى في الطريق وهو يضربني، يقولي ما تتحركش " يظهر الأب كموضوع حاضر–غائب. حضوره يكون بالاعتداء الجسدي، التهديد والرفض ... أمّاغيابه يميزه الإهمال والحرمان من دوره كنموذج مثالي وأساسي للطفل في هذه المرحلة الزمنية من العمر. الاعتداء الجسدي الدائم بقوله :" يضربني بالعصا، عندو واحد العصا كبيرة، يسبني، يضربني، يكفر عليا دايما"، وهذا دون أسباب واضحة سوى عامل الدراسة. بالرغم من تحصله على معدل 7/10 خلال الثلاثي الأول والثاني، يقول أيمن:"أنا نحفظ وهو ما يصدقش، ما يهدرش معاي خلاص وكي يلقاني يقولي روح تحفظ"، أما الأمّ فتبقى صامتة ومساندة للأب إلاّ أنّ أيمن يفضل الأمّ بالرغم من ضربها له باعتبارها تعامله بطريقة أحسن من الأب الذّي يفضل الجنس الأنثوي.

سوء معاملة الأب، نقص الحوار والتفاهم ورفض الاتصال معه جعل (أ) يبحث في المحيط الخارجي عن الحرية، الحوار واللعب، كاستراتيجيات للتكيف مع هذه الظروف. كذلك بروز عند "أ" كره و عدوانية اتجاه الأب يرجع إلى سوء معاملته الجسدية وخاصة النفسية كالسب والشتم يقول :" الحاجة اللي

توجعني بزاف يقولي أنت داب، الأولاد خير منك، أنت آك حيوان وما يحكيش معاي خلاص". داخل هذه المعاناة يفضّل الأخ الأكبر يعتبره كصديق وأخ مميز له.

- **الأعراض:**

- عدوانية بارزة : تظهر بالرغبة في الاعتداء علي الآخرين.
- عدم الاستقرار الحركي.
- الغضب، الضحك، الهيجان كعلامة لقلق وحصر عند الحالة.

- **مستوي التثبيت:** في المرحلة السادية الفمية.
- **ميكانيزمات الدفاع:**

تقمص المعتدي: يظهر بتوجيه العدوان نحو العالم الخارجي. في قوله:" نحب أنا نضرب الغاشي".

الانكار: انكار "أ" للواقع يظهر برفض رسم أغلبية أفراد العائلة، كالأب والأخوات.

- **التشخيص:** حالة اكتئابية.

3- تحليل المقابلات :

أوّل مقابلة مع أيمن وضّحت وجود سوء معاملة من طرف الأب يقول :" بابا يعاملني بعنف" ، فالمصطلحات كانت متمركزة حول سلوكات ومواقف الوالد، إهماله، رفضه يقول :" بابا يضربني بالعصا، يكفر عليا و يسبني ديمة"، نتج عنها حضور كره وعدوانية اتجاه الأب جدّ ظاهرة في حوار (أ) ، مع الرغبة في إنكار وجود البنات كمواضيع منافسة له في حب الأب .

كلّ مواقف الرفض، التجاهل، الاعتداء اللفظي أدّت الي فقدان أيمن للثقة بالنفس مع تحطيم شخصي كلّي يصيب أحاسيسه ، يقول (أ) :" توجعني كي يقولي بابا أنت داب الأولاد خير منك، أنت حيوان " لا مبالاة قوية وغياب العاطفة من جهة الأب والأمّ ما خلق له صورة ذات سلبية، ضعف تقدير الذات وإحساس بعدم الأمن .

ظهور عدوانية اتجاه أقرانه وعلاقات اجتماعية مضطربة هي إستراتيجية للدفاع عن الذات و تزويده بالقوة، ما أثبتته الدراسات أنّ الطفل المساء معاملته له صعوبات في تكوين علاقات اجتماعية فالعدوانية اتجاه المحيط الخارجي وكلّ أنماط الاعتداء تصبح نمط حياته .

4-ملاحظات خلال اختبار رسم العائلة :

رسم أيمن عائلته الحقيقية، من اليمين إلى اليسار، يتمركز الرسم في الوسط بالجهة العلوية ، مع إنكار لأغلبية أفرادها، رسم ثلاث أشخاص من الجنس الذكري :

الشخص الأول : الأخ "أسامة"، رسم العينان، الأنف، الجذع، الرجلين واليدان وأخيرا أضاف الشوارب
الشخص الثاني : يمثل الأخ الأكبر في العائلة يصفة بالصديق والأكثر طيبة في العائلة .
الشخص الثالث : رسم نفسه بتفاصيل دقيقة : الرأس، الجذع، اليدان، الرجلين والأسنان .
هناك تمييز دقيق في رسم كلّ شخص واهتمام بالجانب الجمالي والتفاصيل كـ:" الشوارب، النظارات، تسريحة الشعر، الأزرار ، القبعة ...." بعد تفكير ومحاولة لإسقاط الصورة كما هي في الواقع .

4- تحليل رسم العائلة :

4-1-1- المستوى الخطي :

الرسم كبير يحتل تقريبا فضاء كبير من الورقة حسب Coman(P25) يكشف عن توسع رجعي يشير إلى اللاتوازن ، بخطوط قوية ومن وقت لآخر خفيفة (رمادي أو أسود) يتمركز في المنطقة الوسطى إلى الجهة العلوية تمثل منطقة الحالمين والخياليين. بدأ من اليسار إلى اليمين علامة لحركة تطورية .

4-1-2- مستوى البنيات الشكلية :

من حيث الشكل الرسم حيوي اهتم بالجانب الجمالي هذا ما يدلّ على امتلاكه لمستوى من النضج والذكاء، وجود الشعر يشير إلى ميولات رجولية والشوارب كذلك عند الأخ حسب (1984) Rouyer يدلّ على الذكورة واهتمامات جنسية .

- رسمه للرقبة بصفة واضحة حسب (1970) Aurlin كروابط بين الحياة الغريزية والحياة العقلية ، الأذنان: فضول وتعطش، كما يميز نفسه عن الآخرين برسم الأسنان هي إشارة إلى العدوانية و تثبيت في المرحلة السادية الفمية .

4-1-3- مستوى المحتوى والتفسير التحليلي :

رسم العائلة يعبر عن نوعان من الميولات العاطفية للموضوع :

- ميولات إيجابية : تترجم بإحساس بالحب والقبول اتجاه الأخ .
- ميولات سلبية : عدم إستثمار في الأشخاص كالكره والعدوانية، يخضع لمبدأ الواقع أو مبدأ اللذة واللالذة (حذف الأخوات ، الأب والأمّ) .

*** تقييم للشخص الأساسي :**

أعطى (أ) قيمة للأخ الأكبر في العائلة بالرغم من عدم رسمه هو الأوّل، إلاّ أنّه أظهر من خلال عنه الحديث أنّه الموضوع الذّي يستثمر فيه أكبر طاقة عاطفية، يقول :" هذا هو خويا اللّي نشتيه، هو كي صاحبي قريب ليا بزاف".

*** عدم التقييم :**

يترجم عدم التقييم بنقص أفراد من العائلة هم موجودين في الواقع ، إنكار لوجود الأب والأمّ يدل على العلاقة السيئة للطفل مع الوالدين إلاّ أنّه يترجمه بعقلانية ، في قوله : " بابا صعيب ما نقدرش نرسمو" .

عدم تقييم للجنس الأنثوي كمنافسين له وتفضيل الأب للبنات أكثر، بقول :" بابا كي عاد يشتي البنات، يعني خاطي الطريق " .

5- العائلة الخيالية :

تتكوّن العائلة الخيالية لأيمن من ثلاثة أفراد، الشخص الأول عمره 20سنة والثاني 11 سنة أمّا الأمّ هي الأخيرة عمرها 50 سنة .

- تقييم للشخص الأوّل في رسمه أوّلا واهتمام بالتفاصيل، كذلك من خلال جوابه عن الأسئلة :

- من هو الأكثر سعادة ؟ يقول : هذا اللّي في عمره 20 سنة ما يناسب عمر أخاه الأكبر
- من هو الأكثر طيبة في العائلة ؟ هذا وأشار إلى الأكبر
- كما أعطى قيمة لدور الأمّ من خلال شكلها ورسمها بكلّ عناية إلاّ أنّه أنكر وجود الأب في العائلة الخيالية هذا يعود إلى سوء معاملته له .

-عدم تقييم لذاته وهذا يظهر جليّا من خلال السؤال المتعلق بالتقمص، وأنت من تكون في هذه العائلة؟ يجيب: هذا أشار إلى الطفل الذّي له 11 سنة، عدم إعطاء قيمة لنفسه يصاحب صورة ذات سلبية ونقص تقدير الذات يظهر بـ :

- من هو الأقل سعادة في العائلة ؟ يقول "هذا "
- من هو الأقل طيّبة ؟ نفس الإجابة

فيما يتعلق بالتقمصات يتقمص "أ" الواقع: أعطى للطفل عمر 11 سنة ما يتناسب مع عمره

تقمص الدفاع: الرغبة في الدفاع على نفسه بقول: " لا خاطر قبيح يدافع على روحي"، تقمص لا شعوري يظهر تتقمص الذات.

للعميل استجابة عدوانية في تقمصه للفرد الغير طيّب ورغبة في الاعتداء على الآخرين، كما ميّزه عن الآخرين بأسنان بارزة في العائلة الحقيقية والخيالية .ظهور استجابة وميول إكتئابية اتّجاه الذات إلى غاية حضور حالة إكتئابية، في قوله أنّه الأقل سعادة والأقل طيبة .

6- تحليل GPS: من أنت ؟

أنا أيمن، عندي 11 سنة، نقرا في السنة الخامسة، نسكن في ولاية قسنطينة، أنا طاير، ما نشوف في روح والو، أنا طفل صغير، نحب نلعب، ندور ونقرا ، نكره الضرب، نحب أنا نضرب الغاشي .

6-1- تقييم و تصنيف :

- أنا أيمن (تسمية)
- عندي 11 سنة (تسميات بسيطة – العمر)
- نقرا في السنة الخامسة (تسمية)
- نسكن في ولاية قسنطينة (تسميات – المكان)
- أنا طاير (نوعيات وعيوب)
- ما نشوف في روحي والو (غياب تسميات)
- أنا طفل صغير (دور)
- نحب نلعب ، ندور ونقرا (إدراج الأنشطة – إهتمامات)

- نكره الضرب (أحاسيس وانفعالات)
- نحب أنا نضرب الغاشي (أحاسيس)

*** الترتيب :**

في الترتيب يحتفظ "أيمن" بالمعلومات الأولية التي تخص تسميات بسيطة في :

- أنا أيمن (تسمية)
- عندي 11 سنة (تسميات بسيطة – العمر)
- نسكن في ولاية قسنطينة (تسميات – المكان)

أمّا العناصر الأخرى لوصفه الخاص لذاته فسيتغنى عنها بقوله : "هاذو نحيوهم "

6-2- التنظيم الداخلي لعناصر مفهوم الذات :

البنيات	البنيات التحتية	الفئات
1- الذات المادية	الذات الجسدية الذات التملكية	-غياب المظهر و السمات الجسدية - غياب مراجع تخص إمتلاك المواضيع و الأشخاص
2- الذات الشخصية	صورة الذات هوية الذات	-لا توجد تطلعات -حضور واضح لأدراج الأنشطة:نلعب ، نقرا ، ندور . -أحاسيس وإنفعالات -نوعيات وأخطاء (1) "أنا طاير" -تسميات بسيطة ، مثل: -" أنا أيمن " - عندي 10 سنوات - نسكن في ولاية قسنطينة - نقرا في السنة 5 - لا أدوار ومراكز إلاّ :" أنا طفل صغير" - لا يوجد تماسك - لا إيديولوجية ولا هوية مجردة

3- الذات التكيفية	قيمة الذات نشاط الذات	- لا كفاءات - وقيمة شخصية - لا توجد
4- الذات الاجتماعية	اهتمامـــــــات و مواقف اجتماعية مرجع للجنسية	- لا توجد
5- الذات واللاذات	مراجع للآخرين آراء الآخرين	- غائبة

في حوار أيمن لمسنا تقييم سلبي ونقص تقدير للذات. استعمال لضمير "أنا" في حواره 4 مرات بطريقة إيجابية وسلبية كمحاولة لتأكيد الذات والتعبير عنها، إلاّ أنّ استجابة أيمن تختلف عن استجابة الحالات الأخرى يحاول أن يكون ضد المحيط والأب خاصة لتأكيد ذاته. وقد استعمل استراتيجيات للتكيف بتقمص المعتدي في قوله :"نحب أنا نضرب الغاشي" يخضع لذات مزيفة وعدوانية .

- **الذات الجسدية :**

للذات الجسدية أهمية كبري حسب L'Ecuyer إبتداءا من عمر 5 سنوات بالنسبة للذكور، أمّا السمات الجسدية في المراهقة تصبح مركزية وجدّ هامة، هذا الإدراك لم يظهر عند (أ) .

الذات التملكية غائبة، لا يوجد أي مرجع يخص امتلاك الأشخاص والمواضيع فهي غائبة و ملغاة تماما .

- **الذات الشخصية :**

بنياتها التحتية هي ادراكات مركزية إلى غاية 20 سنة، بنية صورة الذات سلبية (أنا طاير) ، لا وجود للتطلعات وبناء للمستقبل، غياب الأذواق والاهتمامات، وصف سلبي للذات وغياب إيديولوجي و الهوية المجردة بالرغم من أنّ الإحساس بها هام حسب L'Ecuyer(op.cit,P174) .

- **الذات التكيفية :**

حضور للذات التكيفية، وبروز قدرات للدفاع الذاتي استعملها في عمر 11 سنة للدفاع عن الحالة الاكتئابية.

- **الذات الاجتماعية :**

هي مركزية في كل الأعمار عند كلا من الجنسين إلاّ أنّها غائبة في هذه الحالة .

خلاصة عن حالة أيمن :

أيمن يبلغ من العمر 11 سنة له الرتبة الأخيرة في عدد الإخوة (5) ، خلال المقابلات أظهر معاناته من سوء معاملة الأب خاصة، وبعد تطبيق الاختبارات وتحليلها كشفنا مايلي :

- وجود إشكالية علائقية وعاطفية أشار إليها من خلال اختبار رسم العائلة بحذف (أ) للوالدين والأخوات كمنافسات له في حب الأب خاصة، بروز ميولات انفعالية سلبية اتجاه الأب وعدم تقييمه للأب والأمّ يشير إلي علاقته السيئة مع كلاهما.

ظهور عدوانية واضحة في حواره وسلوكاته ورغبة في الاعتداء على الآخرين بتقمص المعتدي في العائلة الخيالية، مع ظهور ميولات إكتئابية اتجاه الذات.

- أمّا في اختبار GPS سجلنا صورة ذات سلبية، نقص تقدير الذات ومحاولة لتأكيد ذاته، التكيف مع المحيط، والدفاع عن الحالة الإكتئابية بالرغبة في الاعتداء على الآخرين .

وجود فراغ في الإدراكات الأولية للبنيات والبنيات التحتية، الذات الجسدية، الذات التملكية بالغياب وامتلاك مواضيع يستثمر فهم الطاقة العاطفية وخاصة الوالدين.

2-التحليل العام للحالات الأربعة:

لقد اعتمدنا في هذا البحث علي دراسة 4 حالات لأطفال مساء معاملتهم 2 ذكور و2 بنات يتراوح أعمارهم ما بين 7 إلي 11 سنه. ضحايا للاعتداء والإهمال داخل الإطار العائلي من طرف الوالدين وبالدرجة الأولي الأب. خلال المقابلات عبّروا بكلّ حرية عن معاناتهم، وابتداء من اللقاء الأوّل أسسنا معهم رابطة من الثقة أظهروا انفعالات وأحاسيس مشحونة بالغضب، الشعور بالذنب، كره وعدوانية اتجاه الوالد المسيء المعاملة قد خفّت حدّتها ابتداء من الاتصال الثاني، إلاّ حالة " نصر الدين" كان له حوار وكلمات فارغة من العواطف يفضل الرسم عن الكلام للتعبير عن انفعالاته. هم أطفال ضحايا لظلم

وقسوة الراشد يستعملون كوعاء لتفريغ احباطات ومعاناة الوالدين النفسية، الاجتماعية، والاقتصادية وماضي حافل بالصدمات الحرمان وعدم النضج.

إساءة معاملتهم باختلاف أشكالها ودرجتها كان لها آثار حادّة ظهرت علي شكل أعراض خلال المقابلات تشمل: الانطواء صعوبات في بناء علاقات اجتماعية، اضطرابات في النوم وكوابيس، ضعف في التركيز ونقص الاستيعاب ضعف النتائج المدرسية كحالة " نصر الدين وليلي"، حصر وقلق اتجاه الوضعية المعاشة سوي في حالة " نصر الدين" كان يبدي برودة عاطفية ولا مبالاة خلال المقابلات تخفي إشكالية علائقية وعاطفية كشف عنها في الرسم.

كان اختبار رسم العائلة كاشف حقيقي عن معاناة الأطفال يترجمون من خلاله صراعاتهم الداخلية الناتجة عن سوء معاملتهم، إنكار لوجود الأب داخل العائلة أو عدم تقييمه بحذف لبعض أجزاء جسده كذلك الأمّ وهذا في حالة " نصر الدين"، غياب كليّ للوالدين في العائلة الحقيقة كحالة " أيمن" أو رفض رسم العائلة نهائيا من طرف " ليلي" لما تحرضّه عندها من قلق حصر وشعور بالذنب . تجسيد صورة الأب في دور المعتدي علي الأطفال في حالة " مني". حسب Corman يترجم هذا الإنكار للوالدين في رسم العائلة برفض الطفل وعدم قدرته علي مواجهة الاحباطات والواقع ، بخضوعه لمبدأ اللذه واللالذة وإنكاره لواقع صعب.

ظهور القلق كعلامة أساسية للاكتئاب حسب Sillamy: " القلق هو إحساس مؤلم لعدم الراحة عن طريق الإحساس بوقوع خطر كبير أين نقف عاجزين أمام هذا الوضع"
(Sillamy N,op.cit,p183)، الشعور بالنقص يظهر في الجرح النرجسي والشعور بعدم الأمن والحماية حسب Balint: " النرجسية احدي الميولات البدائية في النفس البشرية فهي تجعلنا نحس بأنفسنا قادرين ومهمين ومحبوبين وأنّه لصدمة معينه أو مرض ما نصبح عاجزين لا يمكن تحقيق آمالنا وأحلامنا". (Benony, op.cit,p37) يستقبلون العالم كعدائي مهدد لوجودهم، الحصر وإحساس بعدم الكفاءة ، انقطاع الاتصال واستجابات عدوانية مكبوتة عند " مني " غيرة واضحة اتجاه الأمّ كمنافس لها تعوضه بعاطفة وحب في الواقع. عدوانية واضحة اتجاه المحيط الاجتماعي وتقمص المعتدي في حالة " أيمن" للتخلص من القلق والشعور بالذنب اتجاه الأب.

أمّا تقنية " GPS " كشفت بكلّ وضوح عن إصابة في صورة الذات والكمال الجسدي والنفسي للضحايا. في هذا الاختبار لاحظنا فراغ كليّ ل 4 بنيات أساسية للذات من الادراكات المركزية و

الثانوية. وصف سلبي للذات، الذات الجسدية لم يكن لها أي وجود بالرغم من أهمية الصورة الجسدية . غياب الذات التملكية لا يوجد امتلاك للمواضيع والأشخاص. الذات الشخصية بين صورة وهوية الذات كشفت عن صورة ذات سلبية من خلال الانفعالات والأحاسيس،لا تطلعات ولا اهتمامات أو إدراج للأنشطة إلّا في حالة " أيمن" كاستراتيجيات لسدّ ثغرات الحرمان والرفض.

الذات التكيفية هي أيضا غامضة كالبنيات السابقة، البنيات التحتية والفئات هي غائبة / فارغة أو سلبية،لا توجد قيمة ايجابية للذات ولا إدراج للمواقف والمؤهلات، غياب لاستراتيجيات التكيف سوي حالة " أيمن" بتقمص المعتدي " الأب".

غياب وفراغ في الذات الاجتماعية بانقطاع في العلاقات أو فقدان أهمية الروابط الاجتماعية لا توجد غيرية ولا تسمية، لا مراجع جنسية، أمّا مراجع تخص الآخرين في الذات واللا ذات هي مباشرة سلبية. التنبؤ بهذه الحالات غامض بما أنّهم داخل الإطار العائلي لا زالت سوء المعاملة الوالدية ممارسة عليهم، لكنّ التكفل النفسي المبكر وإعادة الإصلاح سيكون له نتائج ايجابية في المستقبل.

الـخـــــاتـمـة

في ختام هذه الدراسة النظرية، الوصفية والتحليلية التّي حاولنا من خلالها التعمق في ظاهرة سوء المعاملة كقضية اجتماعية قوية وبارزة في مجتمعنا الجزائري بأشكال مختلفة ودرجات متفاوتة مع التطورات الاقتصادية والاجتماعية، ما أدّي إلي خلق فجوات وانقلاب الأدوار في العائلات الجزائرية تحول دون الوصول إلي بناء اتصالات سوية وتوافق نفسي للطفل خاصة.

لاحظنا حضور عوامل عديدة كالفقر، الجهل، أمراض نفسية وعقلية بالإضافة إلي الأفكار السلبية المتوارثة عبر الأجيال وأخطاء في أساليب التنشئة الاجتماعية تجسّد من خلال طريقة تعامل الوالدين مع الأطفال كان لها آثار جدّ سيئة علي المعاش النفسي العاطفي للضحية. ويظهر هدف بحثنا في إبراز العلاقة بين سوء معاملة الطفل وصورته الذاتية وهذا من خلال دراستنا لهذه الظاهرة علي مستوي المدارس الابتدائية ل 4 حالات أطفال ضحايا لسوء المعاملة من طرف الآباء بالدرجة الأولي، تأكدّ من خلالها صحة فرضياتنا وتوصلنا إلي مجموعة من النتائج انطلاقا من الملاحظة والمقابلة الاكلينيكية وتطبيق الاختبارات الاسقاطية كاختبار رسم العائلة وتقنية GPS.

- اختبار رسم العائلة لL.Corman كشف عن الصراعات النفسية الداخلية وعن العالم الذاتي الخاص بكل طفل، ظهور نوعية النمط العلائقي والعاطفي السلبي مع الوالدين بإنكار البعض لوجودهم أو عدم تقييم لهم نظرا لتبنيهم مواقف مسيئة اتجاه الطفل. بالاضافة الي بروز القلق، الحصر، استجابات اكتئابية، الانطواء والشعور بعدم الأمن والهجر.

- اختبار GPS "من أنت" لL'Ecuyer بدوره سمح لنا بالكشف عن انكسار وتشوه في بناء صورة ذات الطفل، ادراكات الذات سلبية تتأرجح بين فقدان تقدير الذات والثقة بالنفس. غياب للذات الجسدية مع تسميات بسيطة

- غياب مراجع تخص امتلاك المواضيع والأشخاص أو أقل أهمية.

- في الذات الشخصية: سجلنا صورة ذات سلبية ، فارغة من الاهتمامات دون تطلعات ، هوية الذات غير مؤسسة أو منكسرة.

- كشفت الذات التكيفية عن فقدان قيمة الذات، الضحايا لا يمتلكون أي مراجع تخص القيمة الشخصية أو الكفاءة لا يوجد أي نشاط.

- غياب الذات الاجتماعية بالرغم من أهميتها في كلّ الأعمار.

ما يميز هذه الحالات هم أطفال ضحايا لسوء المعاملة من طرف الوالدين بأشكال مختلفة: سوء المعاملة الجسدية سوء المعاملة النفسية بالتهديد والرفض، الإهانة والاحتقار، الإهمال علي مستويات مختلفة ترجع لظروف اجتماعية ثقافية ونفسية تتعلق بالوالدين فالآباء كأشخاص غير مؤهلين للزواج في عجز تام علي تبني تنشئة اجتماعية سوية داخل اتصالات عاطفية في ظلّ ضغوط الحياة ، التوترات النفسية واللاتوافق في الأدوار.

ونظرا لأهمية الجوّ العائلي في حياة الطفل كشخص هش في تبعية للراشد وبروز هذه الظاهرة حاليا بالمجتمع الجزائري نقترح مجموعة من التوصيات تخص موضوع سوء المعاملة تتمثل في:

1. الوقاية من سوء المعاملة كونها كارثة علي الجسد الاجتماعي وإصابة لصحة الفرد علي مختلف المستويات تستدعي تقديم برامج مساندة تهدف إلي مساعدة الآباء علي تنشئة الأطفال وتزويدهم بمجموعة من المعارف والمهارات تمكنّهم من التغلب علي التحديات والتوافق مع الأدوار الجديدة في تحسين لكفاءة الأسرة.

2. تقديم مجموعة من الخدمات والأنشطة للأسر التي تمتلك مؤشرات أو ظروف مهيأة لممارسة سوء المعاملة: كعدم الرغبة بالطفل، طفل معاق.... ووضعيات تشكل خطر علي الطفل ، والتدخل هنا يهدف إلي التخفيف من الإساءة وتحسين العلاقة أم–طفل و الكفاءة الوالدية للوصول إلي صفاء نفسي و اتزان عائلي.

3. وضع تشكيلة واسعة من الاستراتيجيات بإعداد محاضرات، مناقشات لتعليم الطفل ضرورة حماية نفسه وأنّ جسده ملكية خاصة، ننمي فيه القدرة علي المواجهة بتجنب الخوف والإعلان عن الأذي المتعرض له من طرف الراشد.

4. تكوين مجموعة من المختصين في الميادين المتعلقة بحماية الطفولة وتوعيتهم بخطورة آثار هذه الظاهرة.

5. تكوين أفراد مؤهلين للتكفل بالضحايا كما يقول Hartnup. : " لا نبحث في المقام الأول عن أسس العلاج النفسي ولكن عن أشخاص مؤهلين لتأسيس علاقة شخصية مماثلة في الإطار العائلي و

الاجتماعي" يكون هذا بعلاج فردي وعلاج عائلي يهدف إلي تحليل الاتصالات المضطربة والتفاعلات المرضية.

وفي الأخير أقترح ضرورة انجاز بحوث ودراسات جدّية واسعة تهدف خاصة إلي وضع استراتيجيات لحماية هذه الفئة الهشة من المجتمع، التكفل النفسي وعلاج حقيقي للطفل الضحية ويتحقق هذا بانطلاق حقيقي لدراسات في المخابر المهتمة بمختلف الظواهر الاجتماعية، لرصد العوامل المتحكمة في ظاهرة سوء المعاملة. وبهذا التقليل من تفشي جرائم أخري، وأخيرا التكفل بالطفل علي كلّ المستويات الطبية، الاجتماعية، نفسية وقضائية.

قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

- أحسن بوسقيعة، القانون الجنائي الخاص في التشريع الجزائري، الجزائر، منشورات بيرتي ، 2010.
- بدرة معتصم ميموني، الاضطرابات النفسية والعقلية عند الطفل والمراهق، الجزائر، ديوان المطبوعات الجزائرية، 2003.
- ثريا التركي، هدي رزيق، " تغير القيم في العائلة العربية"، سلسلة دراسات عن المرأة العربية في التنمية، رقم 21، عمان، الأمم المتحدة، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا 1995.
- ج.لابلانش وج.ب. بونتاليس، معجم مصطلحات التحليل النفسي، الطبعة الرابعة ، بيروت، مجد المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، 2002.
- جبرين علي الجبرين، العنف الأسري خلال مراحل الحياة، الطبعة الأولي، الرياض،2005.
- فيصل عباس،" علم النفس الطفل"، النمو النفسي والانفعالي للطفل، لبنان، دار الفكر العربية، 1997.
- مصطفي بوتفنوشت، ترجمة أحمد دمعي، العائلة الجزائرية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجزائرية، 1984.

- مذكرات:

- مزوز بركو، مساهمة في دراسة آراء الأطفال حول ظاهرة العنف عند الأطفال وأشكال العقاب الممارس علي الطفل العنيف، قسنطينة، 2005.

المراجع باللغة الفرنسية:

- Ajuriaguerra (J.De)., « Manuel de psychiatrie de l'enfant », paris, Masson 1947.
- Alary (J), Simand (M)., « comprendre la famille », actes du 5e symposium québéquois de recherche sur la famille, Québec,2000.
- Angélino (I)., « l'enfant, la famille, la maltraitance », Paris,Dunod, 2004.
- Aroua (A)., L'Islam et la morale des sexes, Alger, OPU, 1990.
- Baccino (E)., « Médecine de la violence »; prise en charge des victimes et des agresseurs, paris, Masson, 2006.
- Baudier (A),Celeste (B)., « le developpement affectif et social du jeunne enfant », Faits et théories, regards actuels sur les interactions, 2e édition, Paris, Nathan, 2005.
- Benony (H).,Le developpement de l'enfant et ses psychopathologie, Paris, Nathan, 2002
- Bioy (A), Fouque (D)., Manuel de psychologie du soin, Paris, Bréal, 2002
- Bowlby (J) .,Attachement et perte, Paris, PUF, 1878.
- Bouville (A) .,Nos enfants sont ils bien soigner, Paris, Masson, 2002
- Brigitte (C.R), Meunier (B), Epelbaum (C)., «la maltraitance à enfants et adolescents », paris, Doin, 2001.
- Castellan (Y)., psychologie de la famille, Paris, Privat, 1993.
- Chamberland (C), Collectif., « enfants à protéger, parents à aider », deux univers à rapprocher, canada, PU du Québec, 2007.
- Château (J),Gratiot (H), Alphandry, Zazzo (R)., Traité de psychologie de l'enfant, Paris, PUF, 1970 .

- Collectif., les sévices à enfants, Liberairie philosophique J. VRIN, 1979
- Corman (L)., Le test du dessin de famille, Paris, PUF, 1961.
- Cothenet (C)., « Faire face à la maltraitance infantile »,Formations et compétences collectives, L'Harmattan, 2004 .
- Collectif., les sévices à enfants, Liberairie philosophique J. VRIN, 1979
- Criville(A),Deschamps(M),Fernet (C),Festtler(M)., « l'inceste », comprendre pour intervenir, Paris, Dunod, 1996 .
- Cyssau (C)., L'entretien clinique,paris, 2003.
- Davis (Y), Wallbridge (D)., Winnicott introduction à son œuvre, Paris, PUF, 1992 .
- Deliége (R)., Anthropologie de la parenté, Paris, Masson, 1996.
- Denis (P)., la psychiatrie de l'enfant, 2 eme édition, Paris, PUF, 1980.
- Dedrix (J).,voix et estime, recherche – actions auprés l'enfant, Paris, L'Harmattan, 2010.
- Deldine (R), Vermelen (S)., le développement psychologique de l'enfant, Paris, Belin, 1988.
- Descloitres (R), Debzi (L), système de parenté et structure familiales en algérie, in Annuaire de l'afrique du nord, Paris, CNRS, 1963.
- Dolto (F)., La cause des enfants, Paris,Laffont, 1985.
- Dolto (F)., L'image inconsciente du corps, Paris, Seuil, 1984.
- Duruz (N)., « Narcisse en quéte de soin », étude des concepts de narcissime de soi en psychanalyse et en psychologie, Belgique, Bruxelles, 1985.
- Duche (D.J)., l'enfant au risque de la famille, Paris, Le centruion, 1983.
- Ferrai (P.P), Bonnot (G).,Maturation et vulnérabilité, Paris, Masson, 2002.
- Fontaine (R)., psychologie de l'agresseur, Paris, Dunod, 2003.

- Foughali (M. J)., l'image du père chez l'enfant algérois à travers le dessin de la famille et le test patte noire, Alger, AL Moujtamaa, 1984. Freud (A)., l'enfant dans la psychanalyse, Gallimard, PUF,1976.
- Freud (A)., l'enfant dans la psychanalyse, Gallimard, PUF,1976.
- Gosling (P), Ric (F).,« psychologie sociale », approches du sujet sociale et des relations interpersonelles, Tome 2, Paris, Bréal, 1996.
- Golse (B)., le developpement affectif et intellectuel de l'enfant, 4 eme édition, Paris, Masson, 2008.
- Haeseovoets (Y.H)., « Regard pluriel sur la maltraitance des enfants » , Vade mecum didactique, Ed Kluwer, 2003.
- Haeseovoets (Y.H)., « Traumatismes de l'enfance et de l'adolescence », un autre regard sur la souffrance psychique, 1er édition, Belgique, De boeck, 2008.
- Haseovoets (Y.H)., « l'enfant victime d'inceste »,De la séduction à la violencve sexuelle, 2 e édition, Belgique, De boeck, 2003.
- Haider (F), Attou (N)., Mutations et structures familiales et évolution du statut de la femme en algérie, Paris, Cicred ,FNUAP, 1987.
- Hierse (G).,«Le féminin et la langue étrangère »,une étude sur l'apprentissage des langues, Paris, L'Harmattan, 2007.
- Hooland (H.V)., Maltraitance communicationnelle, Paris, L'Harmattan, 2006.
- Ionescu (C.J), Lachance (J)., « le dessin de la famille », présentation, grille de catation ; élement d'interprétation, 1er trimestre, Paris, 2000.
- Jeambrun (P), Sergent (B)., « les enfants de la rue », Paris, INSERM, 1991.

- Kreisler (L), Fain (M), Soulé (M)., l'enfant et son corps, 1er éditions, Paris, PUF, 1974.
- Kurg (E.G) et Autres., rapport mondiale sur la violence de la santé, Géneve, OMS, 2002.
- Lafortune (L), Mongeau (P)., l'affectivité dans l'apprentissage, Canada, PU du Québec, 2002.
- Lebovici (S), Diatkine (R), Soulé (M)., Traité de psychologie de l'enfant et de l'adolescent, 2 e édition, Paris, PUF,
- L'Ecuyer (R)., le concept de soi, Paris, PUF, 1978 .
- L'Ecuyer (R)., « méthodologie de l'analyse developpementale de contenu », Méthodes GPS et concept de soi, Canada, PU du Québec, 1990.
- Lemaire (J.G)., le couple, sa vie, sa mort, Paris, Payot , 1979.
- Lemaire (A).,Jacques Lacan ,Mardaga,1977.
- Liberman (R)., les enfants devant le divorce, 1 er édition, Paris , PUF, 1979 .
- Marcilhacy (C)., productions graphiques et clinique infantile, Paris, L'Harmattan, 2009.
- Marcelli (D)., Enfance et psychopathologie, 7 e édition, Paris, Masson, 2003.
- Mausse (L.De)., l'histoire de l'enfance, Londers, 1976.
- Merdaci (M)., « une psychologie du champ algérien », élements de clinique sociale, Alger, Office des publications universitaires, 2010.
- Michel (G).,« la prise de risque à l'adolescence », pratique sportive et usage de substances psycho- active, Paris, Masson, 2001.
- Nevid (J), Collectif., psychopathologie, 7 e édition, France, Pearson, 2003.

- Osterrieth (P.A)., introduction à la psychologie de l'enfant, 17 e édition , Paris, De Boeck, 1997.
- Pahlavan (F)., les conduites agressives, Paris, Armand colin, 2002.
- Pasini (W) ,Bydlowsky (M),Papirmick (E),Beguim (F)., «Relations précoces », parents- enfants, SIMER, 1984.
- Pedinielli (J.L), Fernandez (L)., l'observation clinique et l'étude de cas , Espagne, Armand colin,2007.
- Pelletier (C)., pratiques des soins parentales et négligences infantile », des signes au sens, L'Harmattan, 2004.
- Perche (O)., «concours d'entrée travailleurs sociaux », assistant de services social éducateur de jeunnes enfants, 2 éditions, Paris, Masson, 2007.
- Pizza(S.D), Dan (B)., Handicaps et déficiences de l'enfant, Belgique, De Boeck, 2001
- Pourtois (J.P) ., « Blessure d'enfant », la maltraitance: théorie pratique et intervention, 2 e édition, Paris, De Boeck, 2000.
- Puyuelo (R)., «L'anxiété de l'enfant », ou le bonheur difficile, Toulouse, Privat, 1991.
- Rabzani (M).,« La vie familiale des femmes Algériennes salariées », Histoires et persepective méditeranéenne, Paris, L'Harmattan, 1997.
- Rouyer (M), Drouet (M) ., « L'enfant violenté », Des mauvais traitements à l'inceste, 2 e édition, Paris, PUF, 1986.
- Rudolph's(C.D).,Rudolph's pédiatric :21édition,Data ,Congress,2003.
- Senterre (J), Eeckels (R) ., Pediatrie-capita selecta, Belgique,Garant,1996.
- Shilder (P)., L'image du corps ,Edition Gallimard, 1986.
- Spitz (R)., De la naissance à la parole, 1er édition, Paris, PUF, 1968.

- Travris (C), Wade (C)., introduction à la psychologie. les grandes perspectives, Canada, De Boeck, 1997,
- Trabulsy (G.H), Provost (M.A)., l'évaluation psychosociale auprés des familles vulnérables, Canada, PU du Québec, 2008.
- Tsokni (D)., psychologie clinique et santé au cango, Paris, L'Harmattan, 2008.
- Vezin (J.F)., psychologie de l'enfant, l'enfant capable, Paris, L'Harmattan, 1994.
- Vian (R)., la motivation en contexte scolaire, Canada, De Boeck, 1994.
- Winnicott (D.W)., le bébé et sa mère, Paris, Payot, 1992.
- Winnicott (D.W)., l'enfant et sa famille, Paris, Payot, 1957
- Widlocher (D)., l'interprétation des dessin d'enfants, 2 em édition, , 2002.
- Zerdoumi (N)., l'enfant d'hier, l'éducation de l'enfant en milieu traditionnel Algérien, Paris, Maspero, 1976.

TSESHE :

- Abboud (H)., les effets immédiats de la violence sexuelles sur l'image de soi de l'enfant algérien, Constantine,2007.
- NiNi (M)., contribution à l'étude des structures identitaires chez l'adolescent Algérien à travers le test genése des perception de soi de R. L'Ecuyer, Paris, 1997.
- Kerbouche (A.H)., « La maltraitance physique des éffets en Algérie », une étude du phénoméne et ses effets sur le vécu psychologique, Constantine, 2001.

Revue et Articles :

- Fédération française de psychiatrie, Horassus (N), Mazet (Ph).,« conséquences des maltraitances sexuelles »; reconnaître, soigner, prévenir ; 2004.
- Malandain (C)., scolarité et developpement de la personnalité,2 eme édition, publication de l'université de Rouen, N224, 1997.
- Sauvagnaut (F)., « Trauma psychique » , Questions cliniques, ethiques et politique, série N224, Revue de l'association psychologie clinique, L'Harmattan, 2007.
- Article : La famille Algérienne recourt à la violence pour éduquer ses enfants, EL Acil, Janvier 2011.
- http: // www.Algérie 360.com / ar/ 8218.
- http: // www.Be.Free.Info/ parents/ Ar/ child protocolpa.html.
- http: // www.Ratteb.com / a/ nadaonline. com.

DICTIONNAIRES :

- Perlemuter (G) , Quevauvilliers (J), Perleumatier (L)., Dictionnaire medical de l'infermiére, 8 édition, Paris, Masson,2008.
- Sillamy (N)., Dictionnaire de psychologie, Paris, Masson ,2003.
- Sillamy (N)., Dictionnaire de psychologie, Ed Jaune Faire, Paris, Larousse,2004
- Williams (E).,Dictionnaire de sociologie ,Ed-M.Réviére,Paris,1970.

الملاحق

- **المقابلة مع قاضي الأحداث :**

1- من وجهة نظرك : ماهي سوء المعاملة الوالدية ؟

عند التحدث عن سوء المعاملة نتجه بالمفهوم أولاّ إلى الاعتداء الجسدي أو الجنسي، كما لا ننسى حالات الإهمال سواء على المستوى الغذائي، اللّباس، النظافة وحتّى الأساليب التربوية الصارمة والعنيفة الممارسة في حق الطفل .

2- خلال مسيرتك القضائية : هل واجهت حالات ضحية لهذه الظاهرة ؟

نعم، حالات عديدة ومتعددة

3- كيف يتم الكشف عنها ؟

الكشف عنها يتم عن طريق الإفصاح أو الإعلان من طرف :
أولا : الأولياء بحجة ضعف المستوى الاقتصادي: الفقر، البطالة وعدم القدرة على تلبية الحاجات الأساسية للطفل، يتقدّم الأب للقاضي قصد إيجاد حلّ لهذه الضحايا وهي خاصة عائلات ذات أفراد كثيرة
ثانيا : عن طريق أعوان الشرطة. إيجاد طفل معرض لخطر معنوي : كالتسول، التشرد .. يؤتى به إلى مصلحة القضاء للتكفل به .

إلا أنّه لا يمكن القول أنّ الفقر هو عامل أساسي لسوء معاملة الطفل فهذه العائلات لها حجّة تدني المستوى المعيشي وعدم القدرة على التكفل بالطفل من حيث المأكل، المشرب، الملبس... نجد أيضا عائلات مسيئة المعاملة من مستوى اقتصادي عالي لا تظهر للمجتمع والقضاء لكن أطفالها يعانون الكثير : نقص الحوار والاتصال، التجاهل ...

4- كيف هي نوعية التكفل بالطفل من طرف القضاء ؟ والإجراءات القضائية اللازمة في حق الطفل و الوالدين ؟

أولا : التكفل بالطفل أو الأطفال يكون عن طريق وضعهم في دار الطفولة المسعفة وبعد تحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية للعائلة يعود للمحيط حتّى لا يكون ضحية للحرمان العاطفي وتظهر عادة آفات وانحرافات أخرى في المستقبل .

- أو تبنّيه من طرف عائلات أخرى تكون موضع الثقة والاستطاعة وقدرة على تحمل مسؤوليته من جميع الجوانب .

5- هل هناك تكامل بين الهيئات القضائية، النفسية، الطبية ؟

نعم ، كما ذكرت سابقا بعد استقبال هذه الحالات والإعلان عنهم يكون هناك تكفل تام بالطفل وتكامل بين هذه الهيئات المعنية به. فنحن لا ندخل للعائلة أو المجتمع والبحث عنهم .

6- مع مرور السنوات، كيف تقيم حجم هذه الظاهرة ، هل هي في زيادة أو نقصان ؟

لا يمكن الجزم بزيادة أو نقصان في حجمها فهي كموضوع "طابو" مخفي ومحرم حتّى لو قمنا بإحصائيات لا نصل إلى النسبة المئوية الحقيقية لحجم تفاقم الظاهرة .

هذا بالطبع لارتباطها بالعرف والعادات والتقاليد الجزائرية ، فتجد آفات ومواضيع متعددة تخفيها العائلة تحدث في صمت تام داخل نظام العشيرة أو القبيلة، فتركيبية المجتمع الجزائري جدّ معقدة .

7- هل هناك إجتهادات من طرف القضاء لإعادة المواد العقابية المنصوص عنها ؟

لا، فكل المواد الدستورية المنصوص عليها ملّمة بكلّ النواحي فيما يخص :

- حالة تعريض الطفل للخطر.
- ترك وإهمال من طرف الوالد .
- اعتداء جنسي واستغلاله في أعمال مخلة بالحياء .

8- كقاضي أحداث : ما هي توقعاتك لمستقبل هؤلاء الأطفال ؟

المستقبل هو الانحراف، الإدمان على المخدرات، الانتحار، الاعتداء .....

7- ما هي اقتراحاتك أو الحلول المناسبة للتقليل من هذه المشكلة ؟

توعية كل هياكل المجتمع الجزائري :

- الأسرة بالدرجة الأولى ذلك بخطورة مختلف الاعتداءات والإيذاء الممارس في حق الطفل.

- الإفصاح عن وجود طفل مساء معاملته من طرف : الجيران، الأهل.....

- تعاون المعلمين والأطباء والمختصين مع القضاء بمعنى أن تكون ثقافة حماية الطفل من هذه الإساءة بما أنّه لا توجد جمعيات خاصة تتكفل بهم .

- **المقابلة مع الطبيب الشرعي :**

1- في رأيك : ما هي سوء المعاملة ؟

إنّ سوء المعاملة الممارسة اتجاه الطفل هو مفهوم جدّ واسع تدخل فيه أشكال كثيرة ، كالإهمال – سوء التغذية – التربية الصارمة وتطبيق مناهج تربوية جدّ صارمة وعنيفة ، الحرمان العاطفي في حالة الطفل ضحية طلاق الوالدين . لكنّ كطبيب ينصب اهتمامنا خاصة : بإيذاء واعتداء على الطفل جسديا وجنسيا .

2- هل تستقبلون أطفال مساء معاملتهم في المصلحة ؟

نعم، حالات عديدة .

3- صف لي حالة الأطفال المساء معاملتهم ؟

عادة ما نجدهم يحملون آثار جسدية على المدى القصير وحتّى آثار مزمنة خاصة تناذر Silverman : كسور، صدمات جمجمية، جروح، حروق ،آفات جلدية .....
توجد حتّى آفات وآثار ترجع إلى مرحلة مبكرة : كما في حالة الرضيع المرتج والتّي من الصعب تشخيصها .

4- حسب الحالات المعروضة عليك : ما هو العمر المتوسط الذّي يتعرض له الأطفال للإساءة؟

العمر المتوسط إبتداءا من عمر التمدرس (6- 10 سنوات) وحتّى المراهقين

5- أي من الجنسين الأكثر تعرضا لسوء المعاملة ؟

في الطفولة لا يوجد جنس معرض أكثر بل على نفس الدرجة الإناث كالذكور لكنّ الاختلاف في المراهقة فالجنس الأنثوي هو الأكثر تعرضا للإيذاء .

6- ما هي العوامل المساهمة في ظهور سوء المعاملة ؟

الكثير من العوامل في تداخل وتفاعل بينهما خاصة : العوامل الاجتماعية منها التفكك العائلي، عوامل نفسية ومرضية للوالدين .....

7- هل هناك مستوى ثقافي – اجتماعي واقتصادي محدد أكثر ممارسة لهذه الظاهرة ؟

نعم ، المحيط المتدني والضعيف اجتماعيا ، ثقافيا .

8- في العائلة من هو المعتدي ؟

غالبا " الأمّ" ، أقول الأمّ لأنّها الأكثر احتكاك بالطفل وكوسيط وناقل للسلطة الأبوية ، زوجة الأب أيضا في حالات كثيرة .

9- من هو الشخص الذّي يقوم باستعجاله ؟

يؤتى به عموما من طرف الأب، خاصة في حالات طلاق وانفصال الوالدين الأب هو المشتكي عن الإهمال وضرب الأمّ للأطفال.

10- حسب خبرتك في هذا المجال: هل سجلتم ارتفاع أو انخفاض في نسبة ممارسة هذه الظاهرة ؟

لا يمكن الجزم بارتفاع أو انخفاض بما أنّه لا يوجد دراسات إحصائية، وهناك حالات كثيرة تعاني داخل المحيط العائلي غير معلن عنها، فكلّ المواضيع تدخل في إطار " الطابوهات" .

11- ما هو دورك كمختص في هذه الحالات ؟

أمام هذه الظاهرة نحاول بالدرجة الأولى حماية الطفل نفسيا، عاطفيا كشخص له كيان ووجود .

هنا لا يوجد توجيه مباشر " لقاضي الأحداث " فكما نعلم انعدام جمعيات خاصة بالأطفال المساء معاملتهم تتكفل بهم نفسيا وحتىّ بالوالدين. فالتوجيه للقاضي ممكن أن يكون له آثار سلبية على الطفل بحجة " خطر معنوي" يكون مصيره " دار الأيتام " وهذا أصعب على نموه النفسي والعاطفي .

إلا أنّه توجد إجراءات أخرى كترهيب الوالد المسيء المعاملة بالقضاء .

12- هل هناك تكامل وتعاون بين الهيئات المعنية، " الطبية، النفسية والقضائية" ؟ فيما يخص الطفل المعتدى عليه ؟

نعم ، يوجد تعاون التكفل بهذا الطفل يكون بالدرجة الأولى عن طريق الإتصال بمختص نفسي ، يوجه دعوة للوالدين ويكون هناك متابعة نفسية خاصة به .

13- أمام الآثار الضارة لهذه الظاهرة ماذا تقترح كمختص لحماية هؤلاء الضحايا ؟

- توعية الوالدين بخطر هذه الاعتداءات على المدى القصير، والبعيد

- تكفل نفسي بالطفل فهو ضحية بريئة وضعيف في حاجة إلى محيط عائلي متزن يوفر له الحماية و نمو نفسي، عاطفي جيد وصحي.

14- لاخفاء هذه الظاهرة بصفة دائمة من طرف العائلة والمجتمع دور، فيما يتمثل هذا الدور ؟

الصمت الدائم أمام هذا الوضع يحمل مستقبل ضار تظهر عند هؤلاء الأطفال على المدى البعيد : السرقة الهروب، الدعارة، آفات اجتماعية عديدة : الإدمان، الانحراف، الإجرام....

- **المقابلة مع طبيب الأطفال:**

1- يمكن تحديدها في شكلان أساسيان : الجسدية والنفسية، إهمال الطفل، رفضه وتهديده، الاستغلال بأشكاله.

2- حاليا لا، في السنوات السابقة استقبلنا حالات عديدة بالمصلحة ، أمّا حاليا لا ربّما يستقبلون بصفة كبيرة في مصلحة الطب الشرعي والاستعجالات.

3- نجدهم يحملون آثار جسدية: كسور، جروح، صدمات جمجمية، نزع بقع من الشعر " L'opécie"، كسور العظام الصدرية الداخلية.....

4- أطفال ما بين 5 إلي 10 سنوات.

5- كلا من الجنسين، لا يوجد جنس غالب علي الاخر.

6- نعم عموما المحيط الاجتماعي – الاقتصادي الضعيف.

7- والدين متعاطين للكحول، المخدرات، مرضي عقليين.....

8- الأمّ والأب أيضا يشارك في الاعتداء.

9- غالبا الأجداد، الجدّة أو الجدة دون تزويدنا بالحقيقة يصرّحون فقط بسقوط الطفل أو أنّه ضرب في المدرسة أو الجيران...

10- كما قلت لك سابقا في السنوات الماضية سجلت أنا بنفسي حالات كثيرة أمّا اليوم نادرا و لكن هذا لا يعني نقص هذه الظاهرة فلا زالت ممارسة علي الأطفال إلي حدّ اليوم.

11- المساعدة، العلاج، نصح الوالدين بضرورة التكفل بالطفل نفسيا، تهديد بتقديم الشكوى.

12- نعم أوّلا في كل مصلحة لطب الأطفال توجد مربية اجتماعية وأيضا مختص نفساني التكفل يبدأ بتوعية الوالدين بخطورة أثار سوء المعاملة الممارسة علي الطفل سواء علي المدي القصير أو البعيد. و المربية الاجتماعية يكون لها اتصال بالقاضي أو الشرطة.

13- الصمت الدائم سيزيد من حدّة الظاهرة فعلي حدّ معرفتي أنّه لا توجد مصالح مساعدة الطفولة ، لا يوجد قانون صارم لحماية الأطفال المساء معاملتهم ولهذا فمستقبل الأطفال : الانحراف، الانطواء، الإدمان، الإجرام، الانحرافات الجنسية كالجنسية المثلية.

- **المقابلة مع طبيب الصحة المدرسية:**

1- لسوء المعاملة أشكال متعددة من غير الاعتداء الجسدي نجد الجانب النفسي كالإهمال للطفل و السب، الشتم، القهر، حرمان الطفل من اللعب والأكل .....

2- نعم، حالات متنوعة.

3- أولّا أنا قبل فحص الطفل ألاحظ عليه أعراض الخوف واضطراب فور الاقتراب منه، ما يفسر خوفه من الراشد هو تعرّضه للضرب في البيت بشدّة، بعدها في الفحص نجد آ ثار الضرب كالازرقاق علي مستوي الظهر، اليدان، آ ثار للحرق، العضّ.

أمّا الكسور والحالات المستعصية غالبا تستقبل بالمستشفيات.

4- العمر ما بين 5 إلي 11 سنة والمراهقين أيضا لكن بنسب قليلة هذا من خلال خبرتي في القطاع فكلّ منطقة تختلف عن أخرى.

5- الذكور أكثر.

6- نعم، نعم المستوي الاقتصادي – اجتماعي جدّ ضعيف ، الجهل ، الفقر، ضيق السكن.....

7- من أهمّ العوامل : الفقر، البطالة، الأب والأمّ عصبيان، الآباء هم أنفسهم كانوا ضحايا لسوء معاملة لهم ماضي شخصي جدّ سيء ، هذا ما يجعل هذه الظاهرة تنتقل من جيل لآخر.

8- الأب والأمّ الاثنان علي نفس الدرجة.

9- يوجد تكامل بين الهيئة الطبية والنفسية ، يوجه الطفل مباشرة إلي مكتب المختص النفساني للتكفل به بعد الفحص مباشرة أمّا القضاء لا و لا مرة.

10- أقول لك أنّه من الصعب القضاء علي هذه الظاهرة ، مستحيل ، مثلا: نبدأ بتوعية الوالدين و الطفل لكن الفقر، البطالة، ضيق السكن، تغيير ذهنية أفراد العائلة الجزائرية .....لا ،لا .

11- هذا الصمت سيكون له بالطبع آثار كارثية علي مستقبل الطفل فكما نري الآن: الانحراف، الإجرام، الشذوذ الجنسي، سوء الأخلاق، ترك مقاعد الدراسة، الإدمان، الانتحار، أمراض نفسية- جسدية.

- **المقابلة مع المختص النفسي رقم 01 :**

1- أمام الوضع الراهن وتفاقم ظاهرة العنف وسوء معاملة الأطفال: فحسب وجهة نظرك ما هي سوء المعاملة الوالدية ؟

سوء المعاملة الوالدية هو مفهوم جدّ واسع : عند قولنا سوء معاملة يظن أفراد المجتمع أنّها تتمثل في العنف الجسدي كالضرب، الحرق ....

إلا أنّها أوسع من هذا الشكل فمثلا : حالات الإهمال، عدم الرعاية الصحية والطبية للطفل .

-نقص التغدية، ترك الطفل وحده لساعات طويلة بالمنزل، عدم شراء الألبسة الخاصة بكلّ فصل عدم الاستماع للطفل وفهمه، تركه أمام التلفاز لساعات لمشاهدة أفلام العنف مثلا دون تفسير .

- سوء معاملة نفسية : السب والشتم، إشكالية إتصالية بين الوالدين والطفل تظهر على مستوى الخطاب كقول الأمّ مثلا لطفلها : (أنت عقّون، ما تعرفش تهدر، أنت ماشي مليح)، كلّها عبارات مضرة بالصحة النفسية للطفل .

- الاعتداء الجنسي وخاصة داخل الإطار العائلي : كزنا المحارم والذّي هو من الصعب الكشف عنه.

2- هل سبق لك وأن قمت بتكفل نفسي لأطفال مساء معاملتهم ؟

نعم، حالات كثيرة ومختلفة وهذا بالطبع ضمن مسيرة مهنية دامت أكثر من 13 سنة

3- ما هو وصفك للحالة النفسية للطفل ؟

هي حالات نفسية صعبة نجد الطفل منعزل ، يبدي عدم استقرار حركي، حالات هيجان وأزمات .

- متعطش للعاطفة Atopique.
- عدواني، حصري، مكتئب .
- عدم اللعب ،المشاركة والاستمتاع مع الأطفال الآخرين.

4- ما هي العوامل المتحكمة في سوء المعاملة الوالدية ؟

- الجهل وعدم الوعي بكيفية معاملة الطفل كمخلوق ضعيف بحاجة إلى رعاية الراشد .
- التجاهل لحاجاته وحقوقه

- عدم النضج وصغر سن الأمّ .
- الفقر
- عائلة ذات أفراد كثيرة وسكن ضيّق لا يجد الطفل فيه فضاء خاص به للعب .
- اضطرابات نفسية وعقلية : كالأمّ الحصرية، الإكتئابية، أب سيكوباتي – مدمن .
- عائلات ذات والد واحد مثلا : الأمّ المطلقة أو المهجورة من الأب وإسقاطها للصورة السلبية للأب على الطفل وتحمّله الشعور بالذنب .

من جهة أخرى : عدم الرغبة في الطفل و بناء مشروع والدي خاص به و إدخاله ضمن أسطورة عائلية .

- الطفل المعاق: حالات كثيرة نجد الوالدين يفضلون الطفل العادي على المعاق وإهمال كليّ له من جميع الجوانب .
- عوامل اجتماعية ثقافية : كتفضيل الذكر على الأنثى وذلك بالطبع لأنّ الذكر يحفظ اسم العائلة.

5- من خلال خبرتك : ما هي أكثر أشكال سوء المعاملة الممارسة على الطفل ؟

كلّ الأشكال ممارسة على نفس الدرجة نجد الاعتداء الجسدي يصاحبه الإهمال وسوء معاملة نفسية .
كذلك يوجد حالات اعتداء جنسي ولكنّها مخفية لا تظهر للمجتمع .

6- ما هي الاضطرابات النفسية الناجمة عن هذه الظاهرة ؟

نجد مثلا اضطرابات سلوكية : كالخجل، العدوانية، العزلة

- عدم الاستقرار الحسي الحركي .
- اضطرابات بسكوسوماتية: اضطرابات في النوم يصاحبها كوابيس التبول اللاإرادي ...في غياب الوظيفة الرمزية والتعبير.
- تكوين صورة ذات سلبية عند الطفل، مثال: اللباس يلعب دور على مستوى الثقافي تؤثر على صورته أمام المجتمع وكيف ينظرون إليه .

كحالة طفل مرت عليّ لم يرضى الأب أن يشتري له حذاء للدراسة واضطرّ للذهاب بحذاء الأم .

7- كيف يتم الكشف عن طفل ضحية سوء المعاملة ؟

الكشف عنهم يكون بإرسالهم من طرف قاضي الأحداث بسبب تعرضهم لخطر معنوي .

8- من العائلة : أي من الوالدين الأكثر ممارسة لسوء معاملة الطفل ؟

بالنسبة لي أنّ كلا منهما ممارس لسوء المعاملة بنفس الدرجة، إلاّ أنّ الإختلاف يكمن في تبني أشكالها .مثلا: الآباء أو الجنس الذكري يتجه إلى الضرب، الصفع، الركل ... عنف جسدي
أما الأمهات أكثر ممارسة لأشكال الإهمال : كترك الطفل دون حماية والتحدث في الهاتف أو مع الجارة .ربط بالحبل و ذلك بغية إنهاء أشغال البيت : تنظيف، طبخ ...

- نقص الحوار والاستماع وفهم الطفل .
- تجاهل كلّي له .

9- من خلال خبرتك: هل توجد مبادرة من طرف الوالدين لمحاولة التخفيف من هذه الظاهرة؟

نعم ، توجد حالات لكنّ لمساعدة الطفل من اضطرابات أخرى هي بالطبع ناتجة عن إساءة معاملته، إلاّ أن جهل الأم وعدم وعيها تظن أنّها غير مذنبة وتبرّر أفعالها على أساس أنّها مناهج تربوية سليمة في حق الطفل .كما تأتي أمهات لمساعدة الطفل ومساعدة أنفسهن كضحايا لعنف الزوج وسوء معاملته لهنّ.

10- هل توجد مراكز متخصصة لحماية الطفل المساء معاملته ؟

لا، هنا في قسنطينة لا توجد، ربّما في الجزائر العاصمة، وهران ولكن كجمعيات ووحدات لسماع الطفل.

11- تكفل نفسي بهؤلاء الأطفال في الجزائر، هل هو ممكن ؟

بالنسبة لتكفل نفسي جيد بهؤلاء الأطفال هو ضعيف لأنّنا لم نصل بعد إلى المستوى العلمي المطلوب و استعمال طرق علاجية وتحليلية جديدة ونافعة ولكن تبقى هناك طرق : كالرسم عند الطفل، السيكودراما ، اللعب .... فيمكن ذلك إن أردنا.

12- أمام خطر هذه الظاهرة : ما هي اقتراحاتك لحماية الطفل المساء معاملته ؟

- القيام بعلاج نفسي واختبارات نفسية للزوجان المقبلين على إنجاب الأطفال بمعنى تهيئتهم لتبني هذه الأدوار الجديدة (أب و أم) .

- إنجاز مدارس خاصة لتعليم الأولياء أساليب التربية السليمة وكيفية التعامل مع الطفل كإنجلترا .

- توسع نشاطات مديرية النشاط الاجتماعي (DAS) وذلك على مختلف المستويات بإجراء حملات تحسيسية على مستوى المدارس، وتثقيف الطفل بضرورة حماية نفسه وجسده كملكية خاصة.

- تعاون وتظافر الجهود بين مختلف المصالح والأخصائيين: الطبيب الشرعي، المدرسة "المعلمين"، قاضي الأحداث، المختص النفسي، والإعلان عن هذه الحالات فور اكتشافها ومعاقبة المعتدين وعلاجهم في نفس الوقت.

13- أمام الصمت الدائم عن هذه الظاهرة : ما هي توقعاتك لوضعية ومستقبل هؤلاء الأطفال؟

أمام هذا الصمت الدائم ينتج عنه اضطرابات جدّ مستعصية :

- كانحراف، الإدمان، الانتحار ....

- إعادة الصدمة والأشكال العدوانية عبر الأجيال .بالنسبة لي أيضا أنّ الفرد الصامت عن هذه الظاهرة هو مشارك فيها، ولكن نأمل أن تكون الجزائر من بين دول الأمم المتحدة تطبيقا لمواردها ولما لا تكون في الصدارة .... فكل شيء ممكن.

- **المقابلة مع المختص النفسي رقم 02:**

1- سوء المعاملة داخل المحيط الأسري هو مفهوم ينحصر في جانبين أساسيين :

جسدي: الاعتداء على المستوى الجسدي بمختلف أشكاله له آثار حادة : كالحرق، العض، ازرقاق في الظهر، الكتفان، البطن .....ومعنوي: السب، الشتم، التجاهل، الإهمال إلاّ أنّ الآثار النفسية لهذا الشكل هي أكثر حدّة من الاعتداء الجسدي.

2- نعم، حالات كثيرة، هذه الظاهرة موجودة بكثرة في المدارس الجزائرية

3- نجد الطفل في حالة نفسية جدّ صعبة، خجل مفرط، انطواء، عدوانية، إكتئاب، الخوف.

4- هناك عوامل عديدة تتداخل فيما بينها ، كمختصة في علم النفس نذكر بالدرجة الأولى : الإضطرابات النفسية والأمراض العقلية : كأب سيكوباتي، الإدمان على الكحول، أم حصرية، مطلقة .....

- ماضي طفولي للوالدين كانوا هم أنفسهم ضحية سوء معاملة و حرمان .
- عوامل اقتصادية واجتماعية : البطالة والفقر ....

5- غالبا ما نجد كلّ الأشكال مرتبطة ومتتابعة فالاعتداء الجسدي يصاحبه المعنوي ، أمّا الجنسية حالات قليلة لكن لا يمكن الجزم بندرتها فالعامل الحقيقي هو إخفائها الدائم من طرف المجتمع لكنها موجودة .

6- ينتج عنها الإضطرابات البسيكوسوماتية : كالتبرز اللاإرادي، التبول اللاإرادي ....

إضطرابات سلوكية : الخجل، العزلة، الإكتئاب، العدوانية، ضعف تقدير الذات، إضطرابات اللغة : كالتأتأة .

7- الكشف يكون من طرف UDS " وحدة الكشف والمتابعة " أثناء الفحص يكشف الطبيب عن وجود آثار: ضرب مبرح، حروق ....وحتّى حالات الإهمال الحاد تظهر بصفة واضحة على الطفل هذا من جهة، ومن جهة أخرى الإتيان بالطفل من طرف الوالدين لسبب آخر كالتبول اللاإرادي أو التبرز يكشف غالبا عن وجود سوء المعاملة الوالدية .

8- من خلال الحالات المعروضة "الأب" هو الأكثر ممارسة كممثل للسلطة والقانون داخل العائلة و يكون تحت ضغوطات العمل وحتى إضطرابات نفسية وعضوية .

9- نعم حالات كثيرة لكنّ غالبا الأمّ هي الوحيدة المهتمة بحالة الطفل وتكون هي نفسها ضحية لعنف وسوء معاملة من طرف الزوج، الأمّ في حالتها اللاشعورية تتلذذ بضرب الطفل لكنّ لمّا تكون في حالتها الشعورية ترغب في مساعدة الطفل.

10- لا ،لا توجد ربما في الجزائر العاصمة ولكنّها ليست كمراكز متخصصة بل خلية استماع .

11- نعم ممكن، ولكن إذا كان تكامل بين الهيئات القضائية والنفسية بوضع مختصين أساسيين للتكفل بهم ومربيات في رقابة مطلقة لهاته العائلات

12- بالنسبة لي: هو نزع هذا الطفل من الوالدين، كفرد له حاجات وحقوق لا بدّ من تطبيقها، وكذلك الحق في الأمن والاستقرار في محيط جيد .

- التكفل النفسي بالوالدين وهم العنصر الأساسي في بناء محيط عائلي متوازن.

13- نتوقع أمام هذا الصمت المتواصل ، مستقبل كارثي لهؤلاء الأطفال على المدى البعيد: الانحراف ، الإدمان، الجرائم، الانتحار ...عدوانية اتجاه الوالدين، إعادة الصدمة وغيرها .....

- **المقابلة مع المختص النفسي رقم 03:**

1- سوء المعاملة لها مفهوم جدّ واسع إلاّ أنّه يمكن حصرها في :

الجانب الجسدي: الاعتداء، الضرب، الحرق ....

والجانب النفسي: السب، الشتم، الإهمال .... وحسب رأيي أن لسوء المعاملة النفسية أثر أكبر على الحالة النفسية للطفل هي مخفية لكن أثارها جدّ حادة

2- نعم، حالات كثيرة

3- كطفل يظهر بحالة عادية كأنّه غير مدرك، غير واعي بما يحدث له حتّى ولو أنّ الآثار موجودة "الإزرقاق في الوجه، اليدين، الحرق .... إلاّ أنّه يبدو في حالة مستقرّة في غالب الأحيان يخفي مشكلته بقول :" أني سقطت من مكان ما " ويخفي حقيقة الوالد المسيء المعاملة يتبنى دور "المدافع" .

- من بين حالات تكفلت بها : الطفل يخفي عن الأب أنّ الأمّ هي المعتدية .

4- تكون من جهتين: عوامل متعلقة بالطفل وأخرى بالوالدين

مثلا : الطفل المفرط حركيا، نصادف حجة أنّ الطفل بمقتضى إفراطه الحركي يكون ضحية لمختلف أشكال الاعتداء .ومن جهة أخرى: الوالدين مصابين باضطرابات نفسية وعقلية :

- أم حصرية، قلقة، مكتئبة.
- أب مدمن، منحرف، مجرم .
- مستوى ثقافي واقتصادي ضعيف.
- طبيعة العمل والضغوطات الخارجية، خاصة الوالد العامل في المجال أو القطاع العسكري : تحت ضغوطات كبرى، يعيش أطفاله في خوف ورعب وشتم، خاصة إهمال عاطفي وسوء معاملة نفسية

5- بالنسبة لي أنّ كل أشكالها ممارسة بنفس الدرجة، وتكون غالبا مرتبطة ببعضها البعض، إلاّ في حالة سوء المعاملة الجنسية قليلة، واجهت حالة واحدة خلال مسيرتي المهنية ضحية " زنا محارم" من طرف الجدّ.

6- هناك اضطرابات نفسية سلوكية كالحصر، الخجل، الإنطواء، العدوانية .

- اضطرابات نفسية جسدية: كالشراهة، السكر .....

7- يتم الكشف عنها من طرف أعوان الصحة المدرسية : المعلمين، الحارس ...

في المحيط العائلي: الأم، الأب، الجدة، العمة.

8- لا يوجد جنس أكثر ممارسة لهذه الأفعال والمناهج التربوية العنيفة فكلا منهما على نفس المستوى ، في حالات الأمّ المتسلطة تكون هي مسيئة المعاملة والتكفل بالطفل يكون عن طريق الأب.

9- نعم هناك والدين يعترفون بتبنيهم لهذه السلوكات العدوانية، إلاّ أنّه يبقى تحت ميكانيزم التبرير كعدم قدرتهم على التحكم في أعصابهم، أو أنّ الطفل مفرط حركيا.

10- لا، الطفل المساء معاملته في الجزائر مهمل .

11- لا .لا

12- التوعية الدينية داخل المساجد يكلف الأئمة والعلماء بالتحذير من هذه الظاهرة وخطرها على الصحة. التوعية النفسية من طرف مختصين .

13- وضعية كارثية، على المدى البعيد خاصة في سن المراهقة يحدث انفجار يظهر :

- الهروب، الإجرام، الإدمان، الإنتحار، الصدمات.إضطرابات نفسية وأمراض عقلية.

- الحقد والضغينة اتجاه الوالد المعتدي: يبدي الضحية الشعور بالإنتقام " والرغبة في قتله، لقوله تعالى " .... كما رباني صغيرا"، فالتربية القاسية والعنيفة تعود بالسلب على الوالدين .

- **المقابلة مع المربية الاجتماعية:**

1- من هو الطفل المساء معاملته؟

هو طفل يعيش في ظروف غير مناسبة ، والدين عاجزين غير قادرين علي ضمان حياة علي نحو أفضل للطفل، والدين عديمي المسؤولية.

2- هل تستقبلون أطفال مساء معاملتهم في المصلحة؟

نعم حالات كثيرة، أطفال مهملين، يتعرّضون للعنف للاعتداء الجنسي، حالات زنا محارم من طرف الأب بين الأخ والأخت نتيجة إهمال الوالدين، أطفال كشاهدين للعنف الزوجي....

3- صفي لي الحالة الاجتماعية للأطفال؟

جسديا هم أطفال يحملون آثار للضرب، الحرق، التواءات بالمناطق المفصلية... أمّا علي المستوي النفسي ذو الاجتماعي هم جدّ عدوانيين في حالة انطواء وعزلة عن المجتمع.

4- ما هو العمر المتوسط؟

العمر المتوسط هنا في المصلحة ما بين 4-5 سنوات حتّي 14 سنة.

5- هل هناك مستوي اقتصادي اجتماعي محدد أكثر ممارسة لهذه الظاهرة؟

نعم، المستوي الاجتماعي- الاقتصادي هو ضعيف، شروط الحياة جدّ ضعيفة، الفقر، يعيشون في القري الجهل ضيق السكن.

6- ما هو دورك كمختص في هذه الحالات؟

أوّلا للمربية الاجتماعية دور جد أساسي فهي الرابط بين الوالدين والعدالة، الرابط بين الطبيب والطفل، الطبيب الشرعي، القاضي. فالطبيب لا يمكن أن يزوّد الآباء أو الطفل بحقوقه بحضور المربي الاجتماعي بعد إجراء مقابلة مع الوالدين مثلا: تسجيل عدم قدرة الوالدين علي أداء دورهم بأكمل وجه كالفقر غالبا هذه الحالات بعد الكشف عن الإساءة نجد أنّهم عائلات ذو أفراد كثر مع ضيق السكن والأب عاطل عن العمل... هنا يوجه الوالدين إلي قاضي الأحداث لمحاولة إيجاد عمل للأب أو سكن لائق بالعائلة،وو ضع الطفل بمؤسسات للرعاية أو يوجه إلي عائلة تتبناه. وهذا بالطبع بعد موافقة العائلة .

7- ما هي اقتراحاتك كمختصة اجتماعية لحماية الطفولة المساء معاملتها؟

- توعية الآباء
- إجراء دورات حول كيفية التعامل مع الطفل في مختلف الأعمار
- تجنيد كل الطاقات المجتمع للتغلب علي هذه الظاهرة التي أضحت البراءة ضحية لها.

- **المقابلة مع المعلم رقم "1" :**

1- في نظرك ما هي سوء المعاملة الو الدية ؟

من وجهة نظري أنّ سوء معاملة الوالدين للطفل تنحصر أساسا في عامل الفقر، فالوالد يعتمد على موقفين أساسيين :

أ- التسويف ويترك الطفل في انتظار دائم.

ب- إذا لم يستطيع شراء كل ما يرغب فيه الطفل، يقوم بتوبيخه وشتمه وحتّى ضربه ضربا مبرحا في حالة العجز.

2- هل سبق وأن كان لك في القسم أطفال مساء معاملتهم ؟

نعم، حالات كثيرة وهذا ضمن مشوار تعليمي دام أكثر من 18 سنة

3- هل هناك مستوى اجتماعي، اقتصادي محدد للعائلة الممارسة لهذه الظاهرة ؟

نعم مستوى اقتصادي واجتماعي ضعيف جدّا، بالإضافة إلى جهل الوالدين ونقص الوعي.

4- ما هي العوامل المؤدية لإساءة معاملتهم ؟

من العوامل الأساسية : الفقر، سوء التفاهم بين الزوجان

- عائلات ذات أفراد كثر.ضيق السكن، الإدمان.
- زوجة الأب خاصة هي كعامل أساسي في هذه الظاهرة ممارسة سواء الإهمال، الضرب، سوء معاملة نفسية.

5- ما بين الجنس الأنثوي والذكري: أيّ منهما الأكثر عرضة لمختلف أشكال الاعتداء ؟

الجنس الذكري هو الأكثر تعرضا للعنف، لأنّه بالنسبة لي هم الأكثر مشاغبة واعتراض ومحاولة فرض شخصيتهم على الوالدين. أمّا الفتاة ضعيفة وحنونة بفطرتها .

6- ما هو تأثير سوء المعاملة الو الدية على الجانب السلوكي، المدرسي، العلائقي والاجتماعي ؟

نجد غالبا الطفل في حالة : - انطواء على النفس .

- خجل مفرط .
- الإحساس بالنقص أمام الزملاء .
- ضعف المستوى الدراسي .

- ضعف التركيز.
- مكتئب لا يضحك كثيرا .

7- كيف يتم الكشف عن الطفل المساء معاملته من طرف الوالدين في المدرسة ؟

من خلال الملاحظة: مثلا ظهور آثار ضرب، جروح، حروق أو من جانب سلوكي : تغيّر سلوك الطفل داخل القسم يمكن عدوانية مفرطة أو انطواء وعزلة عن الجميع .أيضا كثرة التغيب دون أسباب نحاول الاستفسار عنها.

8- أنت كمعلم (ة): ما هو الدور الذّي تتبناه عند الكشف على أنّ هذا التلميذ أو الطفل ضحية اعتداء والدي ؟

أولا كمعلّم لا يمكنني التدخل في شؤون الخاصة بالطفل، فهذه تبقى أسرار الأسرة ومحرّم لأي شخص غريب التدخل فيها، إلاّ أنه إذا صادفتني حالة خطيرة ، كضرب مبرح يترك آثار جدّ مستعصية أستدعي وليّ الأمر محاولا الاستفسار ومحاولة مساعدته.

مثال : عن حالة فتاة كانت تدرس عندي في الصيف الحار تأتي بـ "Une Botte " وكان الأب مدمن مع مستوى اقتصادي جيد، لمّا استدعيته وقدّمت له النصيحة، صدقيني في أسبوع غيّر لها المدرسة

9- كيف تصف لي واقع هذه الظاهرة في المدرسة الجزائرية ؟

هي ظاهرة جدّ منتشرة في المحيط المدرسي بالجزائر، وخاصة مدارس المدن الجديدة مليئة بهذه الحالات وهذا يرجع أساسا إلى اختلاط الأحياء الشعبية بالمدن ، مع انتشار آفات كبيرة وإهمال الأطفال بضعف تزويده بالمبادئ التربوية فالشارع هو المربي بالدرجة الأولى.

10- حسب رأيك: ما هي الإجراءات اللازمة لحماية الأطفال المعتدى عليهم ؟

أولا- الدولة: كما نعلم أنّ قانون العقوبات الجزائري لم يقصّر في وضع مواد أساسية لحماية الطفل و ضرورة عقاب كلّ معتدي إلاّ أنّ التطبيقي لا يوجد فحسب رأيي على القرارات الصادرة أن تصدر أمر " بنزع الطفل المساء معاملته بصفة حادّة من الوالدين وهذا بالطبع لضعف المسؤولية .

من جهة أخرى توعية كلّ هياكل المجتمع الجزائري بضرورة الإعلان عن حماية الحالات : كالمستشفيات مثلا : مصلحة طب الأطفال ومصلحة الطب الشرعي .

11- في الأخير: ما هي توقعاتك لمستقبل هذه الظاهرة ؟

ستنقص، نعم ستخف حدّتها في المستقبل وأقول لك لماذا ؟

- أغلبية الآباء المستقبليين مكونين جامعيين وعلى درجة من الوعي والثقافة .
- تحديد النسل " عدد الأطفال محدود. على عكس العائلات السابقة من 12 إلى 15 فرد في العائلة " وأخيرا أ قول أنّ الجانب المادي " الفقر " هو أساس ممارسة سوء المعاملة .

- **المقابلة مع المعلم رقم "2":**

1- لسوء المعاملة الو الدية أشكالا عديدة : أذكر بالدرجة الأولى الاعتداء الجسدي بالإضافة إلى الأساليب التربوية الغير ملائمة لعمر وشخصية الطفل .

2- نعم، حالات كثيرة .

3- نعم المستوى الاقتصادي والاجتماعي ضعيف جدّا بالإضافة إلى نقص الوعي ، الجهل ومستوى ثقافي متدني .

4- من بين العوامل الأساسية : الفقر ، الجهل ، ضيق السكن

- تعاطي الوالد للكحول .
- الصراعات العائلية .

5- بالنسبة لي أنّ كلا من الجنسين معرض للخطر ، ممكن في السابق مع النمط التقليدي تفضيل الطفل " الذكر" أكثر من الأنثى أمّا اليوم فالعكس .

6- العزلة، اللامبالاة والشرود، ضعف النتائج المدرسية ....

7- نكشف عليه من خلال الملاحظة المباشرة : كوجود آثار ناتجة عن الضرب في الوجه خاصة .
تغير سلوك الطفل في القسم : كشروده، انطواء على النفس، وهنا أسأل التلميذ ومباشرة بحكم عفويته و ثقته في المعلم يكشف أنّه ضحية لاعتداء من طرف الأب، الأمّ أو الأخ .

8- بحكم أنّ المنطقة صغيرة وكلّ الوالدين أعرفهم أستدعي ولي الأمر أحاول توعيته .

9- هي ظاهرة موجودة ، كانت ولازالت، الإهمال بكثرة.

10- حسب رأيي لكي نقضي على ظاهرة سوء المعاملة بالجزائر يجب تغيير الذهنيات ، دون اللجوء إلى القضاء أو إنشاء مراكز خاصة بالطفل المساء معاملته كالدول الأوروبية فهم أيضا يعانون منها و بدرجة حادّة .

11- ربّما سنخفف درجتها وهذا إن تغيرت ثقافة المجتمع للمفاهيم التربوية .

ملخص:

تهدف هذه الدراسة حول: " أثر سوء المعاملة الوالدية علي صورة ذات الطفل" الي محاولة الكشف عن المعاناة النفسية للضحايا وفهم هذه الظاهرة الاجتماعية من وجهة نظر اكلينيكية والتّي تطرح نفسها خلال السنوات الأخيرة، تبرز بادماج العنف والعدوانية في الاتصالات الداخلية بالعائلة الجزائرية.

يعتبر موضوع سوء معاملة الأطفال الممارسة بمختلف أشكالها داخل الاطار العائلي من الطابوهات يتعامل معه المجتمع الجزائري بالتعاطف والحديث عنه دون تدّخل حقيقي لمحاولة التكفل بهذه الفئة الهشة من المجتمع. بالرغم من تنديد معظم المنظمات العالمية لصحة الطفل أمام الجرائم الشنيعة ما يستدعي ضرورة تجنيد كلّ الطاقات وهياكل المجتمع لمواجهتها والتصدي لها. فالمسؤولية تقع علي الآباء، الأطباء، علماء النفس والاجتماع يعتبرون كعامل أساسي في تحطيم الطفل نفسيا وعاطفيا. وهذا ما وضحناه في بحثنا الذي استهدف دراسة 4 حالات أطفال تتراوح أعمارهم ما بين 7- 11 سنة مدعمة بتطبيق اختبار رسم العائلة وتقنيةGPS ، ضحايا لظلم وقسوة الوالدين كان لهذه الأخيرة آثار سلبية علي صورة ذات الطفل.

الكلمات المفتاحية: سوء المعاملة الوالدية، صورة الذات، الطفل، اختبار رسم العائلة، تقنية GPS

Résumé:

Cette recherche a pour but d'identifier l'impact de la maltraitance parentale sur l'image de soi de l'enfant et la decouverte de la souffrance psychologique de cette nature maltraitée et de ce fait comprendre ce phénomène social du point de vue clinique qui se présente en ces derniéres années.Et nous avons souligné l'intégration de la violence et l'agressivité dans les communications internes de la famille algérienne.

La maltraitance des enfants est un sujet tabou sous ses formes et pratiqué au sein du cadre familial sans étre pris en consédération par la société algérienne qui doit étudier ce probléme en profondeur.Cette derniére doit intervenir inergiquement et d'urgence afin de porter secours à cette couche si fragile et vulnérable de la société. La condamnation de la plupart des organisations internationales pour la santé de l'enfant semble impuissante devant ces crimes odieux, toutes les énergies et les structures de la société doivent agir et fournir tous les efforts necessaires et éfficaces afin de palier à ce fléau. La résponsabilité incombe en premier lieu aux parents,médecins, psychologues et sociologues comme facteurs clés brisant l'enfant psychologiquement et émotionnellement. Notre étude à exposé quatre cas d'enfants agès entre sept et onze ans: cas réalisés à partir du test de la famille et de la technique GPS et designant ces ames sensibles victimes de la cruauté et de l'injustice des parents irresponsables. Cette attitude porte un préjudice considerable à la sérénité et au developpement de la nature innocente de l'enfant.

Mots-clés: maltraitance parentale, image de soi, l'enfant, test de la famille, technique GPS.

Abstract:

The main objective of this researche “impact of maltreatment parents at the child’s self-image” to try to detect mental suffering to the victims anunderstand the social phenomena from the view point of clinical, which presents it self in recent years,highlighting the integration of violence and aggression in the internal communications Algerian family.

The subject of maltreatment of children practices various forme with in framework of domestic taboo deal with tha Algerian society sympathy talk without intervention to try to unsure a real fragil category of community. Despite the condemnation of the most organizations for the health of the child the heinous crimes that require to mobilize all the energies and structures community to address them. The responsibility lies on parents,doctors, psychologists and sociologists consider the meeting as a key factor in breaking the child psychologically and emotionally.Our study which targeted 04 case of children aged between $07-11$ years ad suppoted the application of the family drawing test and GPS technique. The victim of injustice and cruely of parents to this last raised to the negative image of the child.

Keywords: maltreatment parents, self-image, child, GPS technique,family drawing test.